BERNARD LAW MONTGOMERY
VICTORY
THE STARS AND STRIPES
EXTRA
Nazis Reveal Surre
To Western A
مذكرات قادة الحرب العالمية الثانية
مذكرات
مونتجمري
B. L. Montgomery
General
Eighth Army
مكتبة النافذة

مذكرات قادة الحرب العالمية الثانية

مذكرات مونتجمري

مذكرات قادة الحرب العالمية الثانية

مذكرات مونتجمرى

عرض وتحليل وتقديم

د. أيمن محمد عادل

مكتبة النافذة

مذكرات مونتجمرى

الطبعة الأولى / ٢٠٠٧
رقم الإيداع ١١٦٣٤ / ٢٠٠٧

الطباعة

دار طيبة للطباعة - الجيزة



الناشر: مكتبة النافذة

المدير المسئول: سعيد عثمان

◆

الجيزة ٢شارع الشهيد أحمد حمدى
الثلاثينى(ميدان الساعة) - فيصل
تليفون وفاكس: ٧٢٤١٨٠٢
alnafezah@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الفيلد مارشال مونتجومرى.. هذا القائد العسكرى البريطانى الفذ، هذا القائد الذى خاض غمار معارك الحرب العالمية الأولى كضابط صغير، واشترك فى الحرب العالمية الثانية ووصل خلالها إلى أعلى المناصب العسكرية محققا النصر تلو الآخر.

لقد عاش حياته العسكرية، مخلصا لوطنه ومليكه، مدافعا عن الحق غير مبال لومة لائم، أو نقد حاسد.

وكان فكره العسكرى يسبق عصره، وقد جاهد كل الجهد ليحقق فكره، وليثبت لأقرانه ورؤسائه صحة رأيه.

عرفه العدو قبل الصديق، عرف مهارته وحذقه، واستطاع أن يكسب حب جنوده وضباطه، لإيمانه الشديد بأنهم أساس أى انتصار.

كما انتصر فى الحرب، انتصر فى السلم، فلقد كان مصرا كل الإصرار على تقوية وتحديث الجيش الإنجليزى، وعلى تنظيم الدفاع الغربى فى أوروبا.

إنه أحد القواد العسكريين العظام خلال القرن الماضى، والعسكرية الحديثة اليوم مدينة لهؤلاء بكل تقدم فى مجالها.

إن هذه المذكرات القيمة التى أقدمها لك أيها القارئ العزيز، **مذكرات الفيلد مارشال مونتجومرى** التى كتبها بنفسه، وانتهى من كتابتها فى سبتمبر ١٩٥٨ تروى أخطر فترة من فترات تاريخ العالم ١٩١٤ - ١٩٥٨، بما فيها من أحداث غيرت وجه التاريخ، فواجب كل مسئول وكل قائد، بل كل مواطن عربى، قراءة هذه المذكرات التاريخية الرائعة

أيمن محمد عادل

مقدمة المؤلف

لم أقدم على وضع هذا الكتاب لميل خاص إلى الأدب، ولا حاجة إلى شهرة أوسع، وإنما دفعني إلى ذلك رغبتي في أن بعض ما يشتمل عليه من أفكار قد يكون ذا نفع. وهدفي من هذا الكتاب، أن أنقل إلى الأجيال المقبلة الانطباعات التى تجمعت لدّى خلال حياة لم تكن تخلو من متعة، وأن أحدد المبادئ التى كانت تسدد خطاى فى الفكر والعمل.

ولقد كتبت كل أحرف هذا الكتاب فى البداية بقلمى، وكنت كلما أنهيت فصلا من فصوله دفعته إلى النسخ على الآلة الكاتبة، ثم يقرأه ثلاثة أصدقاء، لى فيهم كل الثقة ولآرائهم عندى كل التقدير، وكنت بعد ذلك أعود فأنقح هذه الفصول على ضوء ما يبدونه لى من تعليقات وملاحظات، وأخيرا عاد هؤلاء الأصدقاء الثلاثة أنفسهم النظر فى الكتاب بمجمله زيادة فى التدقيق.

وأبرز هؤلاء الأصدقاء البريجادير «أ. ت . وليامز» مدير رودس هاوس فى أوكسفورد، وقد ذكرته مرارا فى كتابى باسم بيل وليامز.

وثانيهم، السير «جايمس جريج»، الذى أشرت إليه أيضا فى عدة مواضع من الكتاب، **وأما الصديق الثالث**، فهو السير «أرثر بريانت»، ذلك المؤرخ الكبير الذى خصص جزءا من وقته لمراجعة فصول الكتاب.

فإلى هؤلاء الأصدقاء الثلاثة أوجه جزيل شكرى.

وأنا مدين بالشكر أيضا للذين عملوا فى النسخ على الآلة الكاتبة، والذين أذنوا لى بنشر مقتطفات من رسائلهم وكتبهم، وأعتذر فى الوقت نفسه عما قد يتضمنه الكتاب من مقتبسات نشرت دون إذن سابق.

لم أخش يوما أن أقول مـا أعتقد أنه حق، ولم أتردد يوما فى التـمسك بما أقول عندما أكون مقتنعا بصواب ما أقول، وأعترف بأن هذا كثير ما سبب لى إزعاجات.

ولم أقصد فى هذا الكتاب إلى الرد على الانتـقادات التى كانت توجه إلىّ، وإنما أردت أن أروى قصة حياتى العسكرية الطويلة على أبسط وجه ممكن.

ولقد سبقنى الكثير من رفقائى فى السلاح فى الحرب العالمية الثانية أن رووا قصة حياتهم واليوم يجىء دورى.

الفيلد مارشال مونتجومرى

آلتون - هامبشاير

سبتمبر ١٩٥٨

الفصل الأول
السنوات الأولى

ولدت فى لندن، بأبرشية سانت مارك فى السابع عشر من نوفمبر عام ١٨٨٧، وأستطيع أن أؤكد أن طفولتى كانت طفولة بائسة، وقد نتج ذلك عن اصطدام إرادتى بإرادة والدتى لقد كنا على ما أعلم، عائلة من العائلات الفيكتورية الأصيلة، وكان عمر والدتى حين خطبها والدى أربعة عشر عاماً، وما كادت تغادر المدرسة حتى تزوجته فى شهر يوليو ١٨٨١، وبعد شهر واحد من زواجها، احتفلت بعيد ميلادها السابع عشر فى ٢٣ أغسطس ١٨٨١، وكان والدى آنذاك راعى أبرشية سانت مارك، فى حى «كنتجن أوفال».

وما لبث الزوجان أن رزقا أولاداً، ولم تكن والدتى قد بلغت الخامسة والعشرين حين بلغ عدد أولادها خمسة، وفى ١٨٨٩، عين والدى أسقفا لتاسمانيا.

وكنت الولد الرابع، وبعد انقطاع عن الحمل دام سبع سنوات، رزق والدى طفلين آخرين فى تاسمانيا، وبعد خمس سنوات ولد لهما طفل آخر، بينما لم ير أخى الأصغر «بريان» النور إلا بعد عودتنا إلى لندن.

لقد أعطت والدتى الحياة إذن لتسعة أولاد، أما البكر، وكانت بنتا، فقد ماتت بعد وصولنا إلى تسمانيا بقليل، كما مات أحد أخوتى الصغار عام ١٩١٩، بينما كنت فى الهند ملتحقا بفيلقى، وهكذا بقى سبعة أولاد، جميعهم ما يزالون على قيد الحياة لليوم.

وكان أطفال آخرون يعيشون معنا، ففى بيت الخورى فى كنتجون، كان يعيش ثلاثة فتيان هم من أبناء العمومة البعيدة الذين ذهب آباؤهم إلى الهند، وفى

تاسمانيا، وصلنا من إنجلترا أبناء عم لنا منحرفوا الصحة يحتاجون إلى الهواء الطلق، وفي لندن، بعد عودتنا من تاسمانيا، كانت العائلة أيضا وافرة العدد باستمرار، فكان يستحيل بالفعل على والدتى أن تضطلع بواجباتها كزوجة راع لندنى، أو كزوجة أسقف، وأن تخصص وقتها فى آن واحد لأولادها وللأولاد الذين يعيشون معنا، وكان سبيلها إلى القيام بذلك فرض نظام قاس على العائلة كى تستطيع أن تجد الوقت الكافى لأداء مهمتها إزاء الأبرشية أو الأسقفية، التى هى مهمة أساسية.

أما بالنسبة إلينا نحن الأولاد، فكانت أصول النظام محددة بوضوح، وعلينا أن نتقيد بها بدقة، وكل من يعصاها ينال عقابه على الفور.

ولم يكن إخوتى وأخواتى مزعجين بمقدار ما كنت أنا، بل كانوا يتكيفون وفقا للنظام تكيفا أفضل ولا يخلقون المتاعب، أما أنا فكنت ولد العائلة الثائر المتمرد المتعب، وكانت النتيجة أننى تعلمت فى سن مبكرة أن أتحمل مسئولياتى، ولم نعرف نحن الأخوة الكبار روح العائلة إلا قليلاً، وربما حظى بها أخوتى الصغار، لأن والدتى أصبحت مع تقدمها فى السن أكثر لينا وتفهما.

وكانت والدتى امرأة ممتازة ذات مزاج يتميز بالنشاط وخلق يتحلى بالاستقامة، لقد نشأت أولادها على طريقتها، فعلمتنا أن نقول الحقيقة على الدوام مهما حصل.

ولقد كنت أخشى والدتى طوال سنى طفولتى الأولى، ثم جاء وقت لم تعد فيه سلطتها ذات تأثير على، فزالت الخشية وحل محلها الاحترام، ومنذ انتسابى إلى الجيش حتى وفاة والدتى، كان إعجابى بشخصيتها يزداد كل يوم، واتضح لى بوضوح أننى أنا كنت المسئول الأول عن المتاعب التى شهدتها طفولتى.

ومهما يكن من أمر، فلا عجب أن يتجه كل حبى وكل عاطفتى كطفل فى هذه الظروف نحو والدى، لقد كنت أحبه حتى العبادة، إذ كان صديقا لى.

وتوفى والدى فى عام ١٩٣٢ بينما كنت أقود الفوج الأول من فيلق وروكشاير الملكى فى مصر، وكانت وفاته خسارة كبرى، لقد كان والدى وزوجتى وابنى أشخاصاً لهم فى نفسى مقام إستثنائى.

وعندما عدنا من تاسمانيا فى آخر عام ١٩٠١، دخلت أنا وأخى دونالد مدرسة سانت بول فى لندن فى يناير ١٩٠٢، وكان عمرى آنذاك أربعة عشر عاماً، ولم أكن قد أعددت للحياة فى كلية إنجليزية، ففى تاسمانيا عهد بأمر تعليمى إلى أساتذة قادمين من إنجلترا، وتعلمت أشياء قليلة، وكنت أسبح كالسمكة، متين البنية قويا، بالغ النشاط، ولم أكن أعرف لا الكريكيت ولا كرة القدم، وانغمست فى الرياضة حتى أصبحت فى خلال ثلاث سنوات رئيس فريق الروغبى الخامس عشر وفريق الكريكت الحادى عشر، أما دروسى فكان نجاحى فيها ضئيلاً.

وكانت علاماتى الدراسية صدمة لى، فقد كنت أطمح إلى دخول الكلية العسكرية، ولذلك انصرفت بجد إلى الدرس، فاجتزت الإمتحان دون صعوبة، وقبلت فى يناير عام ١٩٠٧ فى كلية ساند هورست العسكرية الملكية.

وسانت بول مدرسة ممتازة شرط أن تتوفر لدى الطالب إرادة الدرس، ولأول مرة فى حياتى استطعت أن أقوم بعمل يبدو لى فيه سلطان، فلأول مرة أتيح لى أن أرسم خططى فى القتال على أرض ملعب كرة القدم، وكانت الانتقادات التى وجهت إلى هذه الخطط بالغة العنف، فقد وجد بعض زملائى تكتيكى غير مألوف.

وكان عمرى تسعة عشر عاما عندما تركت مدرسة سانت بول، وكانت الأعوام التى قضيتها فيها مفيدة للغاية،

والحرية فى الكلية أكبر منها فى المدرسة الإعدادية أو الخاصة، حيث يخشى أن يخلط الطفل بين الحرية وترك الحبل على الغارب، ولقد طبعت سانت بول أخلاقى بطابعها، وأسفت لفراقها أبلغ الأسف، وكانت المرحلة التالية لى فى ساند هورست.

وعندما أصبحت رجلا تركت الصبيانات كما يقال، ودخلت إلى ساند هورست في يناير ١٩٠٧.

إن بعض الناس يستطيعون بلا شك إذ يلقون نظرة جديدة على طفولتهم، أن يجدوا فيها ما يقولون مرة أخرى، أما فيما يتعلق بى فهناك أمران يدعوان إلى الأسف، وكلاهما يعودان إلى أن والدتى كانت هى التى تحكم العائلة، وأن والدى بقى فى الخط الخلفى، لقد تعلمت الخوف فى سن مبكرة جداً، فانكمشت شيئاً فشيئا داخل قوقعتى مدافعا عن نفسى وحيداً، وكان لهذا، بدون أدنى شك، نتائج عظمى أثرت على التطور اللاحق لمزاجى، أضف إلى ذلك أنه قد قذف بى فى كلية كبرى دون أن تفسر لى مسبقا بعض الأمور، فاضطررت لأن أبدأ فى فهمها فى مضطرب الحياة المدرسية القاسى دون أن أصل مع ذلك إلى معرفة كل شىء قبل دخولى إلى ساند هورست فى التاسعة عشرة من عمرى، وكان يمكن أن يكون لهذا الإهمال نتائج سيئة، ولكنى لا أظن أنه أدى فعلا إلى شىء منها، وعندما غادرت الكلية، كانت فكرة هامة قد أخذت تتجلى فى ذهنى، فحواها أن الحياة معركة قاسية، وأن على الفتى أن يكون قادراً على مواجهة الصراع ومواجهة النكسات، كما أنه عليه لكى ينجح أن يكتسب كثيرا من الصفات، أثنتان منها أساسيتان، هما العمل الجاد والتجرد المطلق، ولم تكن قد بدت لى بعد ضرورة الأساس الدينى، وكان والدى يأمل دائماً فى أن أصبح من رجال الدين، ولكن هذا لم يحدث، وما أزال أذكر خيبة والدى عندما قلت له: إننى أريد أن أصبح جنديا، ولم يحاول أبدا أن يبدل من اقتناعى، ولو أتيح لى أن أحيا حياتى مرة آخرى، لما تصرفت على غير هذا النحو، ولاخترت أن أكون جنديا.

* * * *

الفصل الثانى
أيامى الأولى فى الجيش

فى عام ١٩٠٧ ، كان الإلتحاق بكلية ساند هورست العسكرية الملكية يجرى إثر مسابقة، فكان هناك أولا إمتحان لابد أن يثبت المرشح فيه إمتلاكه لحد أدنى من الطاقات العقلية، ثم تجرى المسابقة بعد حوالى عام لاختيار المتفوقين، ولقد استطعت اجتياز هاتين العقبتين دون صعوبة، واحتللت المرتبة الثانية والسبعين من بين ١٧٠ ناجحاً.

وكانت التكاليف فى ساندهورست تبلغ ١٥٠ جنيها فى العام لمن كان من أبناء المدنيين، وتشتمل على نفقات الطعام والمسكن وغير ذلك من النفقات الضرورية، ولم يكن هناك غنى عن شىء من المال لنفقات الجيب، ووافق والداى على أن يعطيانى جنيهين فى كل شهر وفى فترات العطلة أيضا، وهكذا بلغ دخلى الخاص ٢٤ جنيها فى العام الواحد ولا شك فى أن يكون كثيرون من رفاقى على ما كنت عليه أنا من الفقر، ولكننى تكيفت مع هذا الوضع.

وحيث أن ألوان اللهو الخارجى كانت محجوبة عنى بسبب افتقارى إلى المال، فقد انغمست فى الرياضة، وفى الدرس، وكانت بداياتى فى الدرس تدعو إلى الارتياح، وكانت العادة جارية آنذاك بأن يسمى عدد من أفضل الطلاب عرفاء بعد مضى ستة أشهر على حضورهم الدروس، وكانت هذه التسمية تعتبر امتيازاً كبيراً، وهؤلاء العرفاء يصبحون دائماً رقباء خلال نصف السنة الثانى، وكان واحد أو اثنان منهم يسميان حاملين العلم، ويحمل كل منهما سيفا، وكانت هذه هى أعلى درجة يبلغها طالب من طلاب الكلية العسكرية.

وسميت عـريفا، وكان هذا سببـا لمتاعبى، وأيا ما كان الأمـر فإلى ذلك التاريخ يعود بدء سقوطى، فقد كان فـريق الفتيان من السرية (ب) الذى أتولاه، يضم عددا كبـيراً من الأشـداء الصاخـبين ذوى الأيد، فـأغرتنى سلطتـى بوصفى عـريفا أن اترأسهم، ودخلنا فى حرب مع فتيـان السرية (أ) المقيمين فى الطابق الأعلى، ونقلنا الحرب إلى قطاعات أخرى، وسميت سريتنا السـرية (ب) الدموية، وكثيرا ما جرت المعارك الشديدة فى الأروقة بعد إطفاء الأنوار، واستعملت فيها القضبان المعدنية وما شاكلها من الأسلحة، وكثيرا ما اضطر عدد من الطلاب لأن يتوجهوا إلى المستشفى لتضميد جراحهم.

وتركز الانتبـاه على السرية (ب) الدموية وعلىَّ، وبلغ هذا الانتباه أقـصاه حيث أصيب أحد الطلاب غـير المحبوبين بحروق شديدة فى مؤخـرته، وقد تصرف هذا الطالب بطريقة مثـالية حين رفض الإفصاح عن مـرتكب العمل المشين، ولكن كل ذلك لم يكن ليـفيد فى شىء، إذ أن الذنوب تـنتهى دائما إلى الانكـشاف، وهكذا أعدت إلى الصف وصـدرت مذكـرة فى الأمر اليومى بسـاند هورست، تعلن أن العريف مونتـجومرى قد كسرت رتبـته دون أن تذكر أى سبب لهذا التـدبير، وكان علىَّ أن أعتبـر نفسى سعيداً، لأننى لم أطرد من الكلـية، ويرجع الفضل فى ذلك إلى الماجور «فـوربس» من فرقة الرماة الأسكتلنديين الملكـية، كما يعود إلـيه فضل افتتاحى صفحة جديدة وعودتى إلى الصراط المستقيم.

وتلقيت مرة أخرى صدمة ثانية، فقد سمى عدد من زملائى الطلاب ضباطا فى ديسـمـبر ١٩٠٧ بعد أن قـضوا سنة كاملة فى سـاندهورست، ولم أكن بينهم، بل اضطررت إلى الانتظار ستـة أشـهـر بعـد ذلك، ولكن هذا الدرس كـان لى بالغ الفائدة، فقـد أقبلت على العمل بتـصميم خلال نصف هذا العـام عازما على أن أكون من بين الأوائل.

وكنت منذ بعض الوقت قد أدركت أننى لا أستطيع لأسباب مالية ان أقوم بالخدمة فى إنجلترا، وكانت المرتبات فى جيش الهند مرتفعة ويمكن العيش بها فى فوج بريطانى مقيم بتلك البلاد، وعلى ذلك سجلت اسمى للالتحاق بجيش الهند، ولكن التنافس كان شديداً للأسباب المالية التى ذكرتها، ولم أوفق فى الإلتحاق بجيش الهند، والتحقت بفيلق «وروكشاير» الملكى، ولم أندم يوماً على هذا الاختيار، ففى هذا الفليق اكتسبت المبادىء الرئيسية لمهنة السلاح، وكان يشجعنى على العمل قائد سريتى الأول الكولونيل «ماكدونالد»، المتقاعد اليوم بعد تجاوزه الثمانين، فقد كان لى صديقا على الدوام.

وفى ديسمبر ١٩٠٨، التحقت بالفوج الأول فى بيشاور على حدود الهند الشمالية الغربية، وكنت قد بلغت الحادية والعشرين منذ عهد قريب.

وكانت وسائل النقل لدى الفوج تتألف من عربات تجرها البغال، ومن بغال لحمل الأثقال، وكنت أجهل كل شىء يتعلق بهذه الحيوانات، وكان على أن أتعلم ذلك، وعند نهاية الدروس كان يجرى امتحان شفهى يتولاه فاحص من الخارج، وكان يأتى من الهند الوسطى، ومثلت أمام هذا الرجل المرعب لأجتاز الامتحان الشفهى، واجتزت الامتحان دون كثير من الصعوبات، وعدت إلى فيلقى بألكيل الغار الذى نلته بحق. ولقد غادر الفوج بيشاور فى آخر عام ١٩١٠ متوجها إلى بومباى، حيث كان عليه أن يمضى العامين الآخرين من أعوام خدمته فى الخارج، وانصرفت إلى العمل بكل جد، وعاد الفوج إلى إنجلترا عام ١٩١٣، وعين فيه ضابط من ضباط فوجنا الثانى لم يكد ينهى تدريبه لمدة عامين فى مدرسة أركان الحرب فى كامبرلى، وكان هذا الضابط هو الكابتن «لوفروى»، وكان أعزب، وقد اعتدت على أن تكون لى معه محادثات طويلة حول الجيش وأخطائه، وخصوصا حول السبيل إلى تعريفى فعلاً بفن الحرب، فأثارت حماستى اهتمامه على الفور

وأعطانى نصائح ثمينة محدداً لى الكتب التى يجب أن أقرأها والأسلوب الذى يجب علىَّ اعتماده فى العمل، وأعتقد أن «الوفروى» كان أول من دلنى على الطريق التى يجب على سلوكها وشجع حماسة الشباب فى، ولقد قتل فى حرب ١٩١٤ - ١٩١٨، وكان غيابه خسارة كبرى لى وللجيش.

وفى أغسطس ١٩١٤، بلغت السادسة والعشرين وكنت ملازما أول، ولقد عبىء «فوجى» فى شورنكليف، ونزلنا إلى البر فى فرنسا مع الفرقة الرابعة، متأخرين بضعة أيام عن معركة مونس، وتقدمنا على الطريق نحو كاتو.

وفى فجر اليوم السادس والعشرين من أغسطس ١٩١٤، عسكر اللواء العاشر الذى ينتمى إليه «فوجى» فى حقول القمح قرب قرية هوكور، بعد سير طويل أثناء الليل، وتمركز فوج على رابية مغطيا بقية اللواء الذى كان خلفه فى الوادى، وما لبث هذا أن هوجم من قبل الألمان الذين فتحوا النار عليه من مسافة قريبة، فهرول مسرعا على انحدار الرابية باتجاهنا فى فوضى كبيرة.

وكان فوجنا منتشرا على خطين، وكانت سريتى وسرية أخرى فى الخط الأمامى، والسريتان الأخريان غير مرئيتين على بعد بضع مئات من الأمتار إلى الوراء، وجاءنا قائد الفوج مهرولا صارخا يأمرنا بمهاجمة العدو فوراً على الرابية، وكان هذا الأمر الوحيد الذى تلقيناه، دون استطلاع مسبق، ولا خطة، ولا ستارة من النيران، فتسلقنا الرابية تحت نار شديدة، وجرح قائد سريتى وتكبدنا خسائر كثيرة، ولم يكن أحد يعرف ماذا يمكن أن يفعل، فأرتددنا إلى نقطة انطلاقنا، وإذا كانت فعلا هذه هى الحرب، فقد بدت لى بالغة الغرابة وليس لها أية صلة بما كنت قد قرأت عنها، وكانت الأيام التى تلت ذلك شديدة الإيلام، وقصتها أصبحت جزء مما يستدعى الانسحاب من مونس، ولم تتلق السريتين المتقدمتين اللتين باشرتا الهجوم أى أوامر أخرى، وتركونا فى الخلف عندما بدأ الانسحاب، وخلال ثلاثة

أيام سرنا بين ستـار الخيالة، وبين المجموعـة العظمى من قوات العدو، متـحركين أغلب الأحيان خـلال الليل، مختبـئين فى النهار، وأصبحـنا الآن بأمرة ضابط ذى وزن كبير هو الماجور (أ. ج . بول)، ولم نستطع إلا بفضله أن نلحق أخيراً بالحملة البريطانية ونلتحق بوحدتنا، وعلمنا آنئذ أن قائد فوجنا قد عزل، كما عزل أيضا قائد فوج آخر من أفـواج اللواء، وبعد تنحيـته دخل الليوتنان كولونيل «الكنـغتون» الذى كان يقود فوجنا، الفرقة الأجنبية الفرنسية حيث كانت له أعمال لامعة.

وبعد بضـعة اشتـباكات ثانويـة على جبهـة الأين، نقلنا مع ما تبـقى من الحملة البريطانيـة إلى الجناح الشمالى لجبـهة الحلفاء، ودارت بعدئذ معـارك شديدة هناك، وفى ١٣ أكتوبر أمرنا بالهجوم للمرة الثانية، لكن كان «بول» هو الذى يقودنا فى هذه المرة، وكانت هناك خطة وأوامر محددة، وكانـت هناك سريتان فى المقدمة، وكانت سريتى على الميـسرة موجـهة نحو مجـموعة من المبـانى فى جوار قرية (ميـتران)، وعندما دقت ساعـة الهجوم أخرجت سـيفى من غمده وصرخت فـى فصيلتى أن تـبعنى، وتقـدمنا فى المدينة بخطى سـريعة بينمـا كانت تنهـال علينا نيران شـديدة فأصيب رجالى بإصابات متعـددة ،ولكنا واصلنا سيرنا، وما كدنا نقترب من هدفنا حتى شاهدت فجأة خندقا مليئا بالألمان، ما لبث أحدهم أن شهر بندقيته باتجاهى.

وكان واضحا أن إتخاذ قرار سريع هو أمر حـيوى، فأندفعت بأقصى سرعة إلى الألمانى ضاربا إياه بقبـضة يدى بأعنف ما استطعت فى أسـفل بطنه، وكانت الضربة محكمة وفى مـوضع حساس، فوقع أرضا وقد آلمتـه الضربة أشد الإيلام، وهكذا اعتقلت أسيرى الأول.

وقاتلنا طوال النهار، وكانت مهمتنا تطهير القرية من الألمان الذين يحتلونها، وفى خلال الاشتـباكات التى دارت بين المنازل جرحت برصاصـة أصابتنى فى صدرى، ولكننا طردنا الألمان من القريـة، ومن أجل هذا العمل فى (ميتـران)، منحت وسام الخدمة الممتاز.

ولقد بقيت يومئذ حيا بفضل أحد جنود فصيلتى، فلقد سقطت على الأرض مكشوفاً، فرقدت بلا حراك آملا أن لا أثير انتباه الألمان، ولكن أحد جنودنا هرع إلى، وكان قد بدأ يضمد جرحى حين اخترقت رأسه رصاصة فهوى أمامى صريعاً، واستمر إطلاق النار علينا فأصبت بجرح فى ركبتى، وأصيب الجندى بعدة طلقات كانت موجهة لى، ولم تقم فصيلتى بأية محاولة أخرى لنجدتنا، فقد كان جنودنا فى الواقع يعتقدون أن كلانا قد مات، ونقلت إلى إنجلترا حيث لزمت المستشفى، ولم أشترك فى الحرب مدة بلغت بضعة أشهر.

وعندما شفيت التحقت بهيئة أركان حرب، وعدت إلى فرنسا فى بداية عام ١٩١٦ برتبة مقدم، وخلال معركة السوم فى الصيف التالى كان على أحد ألوية المشاة أن يكون هو اللواء الضارب فى هجوم تقوم به الفرقة، وكان من الأمور الهامة أن يتلقى قائد اللواء بسرعة معلومات عن التقدم الذى تحققه قواته المتقدمة، فعلى هذا التقدم تتوقف حركة القوات الاحتياطية فى المؤخرة، وكانت المشكلة فى معرفة الطريقة التى يجب أن تؤمن بها سرعة وصول المعلومات المتجمعة، وأظهر مقر اللواء العام اهتماماً كبيراً حين علم أن حمامة يمكن أن تستعمل لنقل الأخبار، وقد تسلمنا هذه الحمامة فى الوقت المناسب، وبقيت بضعة أيام فى قفص خاص، وعندما جاء يوم الهجوم عهد بالحمامة إلى جندى كان عليه أن يرافق وحدات الطليعة، وقيل له إن أحد الضباط سيكتب فى وقت من الأوقات رسالة تربط فى إحدى أرجل الحمامة، وعليه عندئذ أن يطلقها فتطير عائدة إلى قفصها فى مقر اللواء العام، وشن الهجوم، وأخذ قائد اللواء ينتظر بقلق عودة الحمامة، ولكن الوقت أخذ ينقضى دون أن تصل الحمامة، وأخيراً هبطت الحمامة هبوطا هادئاً نحو قفصها، وسلمت الرسالة إلى الجنرال، فإذا به لا يجد فيها إلا هذه العبارة: لقد سئمت من نقل هذا الطير المقدس معى فى أنحاء فرنسا ولقد قضيت الأشهر

الأخيـرة من الحرب كـرئيس لأركان حـرب الفرقة الـسابعة والأربعـين فى لندن، فدرست مطولا مشكلة معرفة كيفيـة الحصول بسرعة فى القوات العامة للفرق على المعلومات الدقـيقة بالغـة الأهمية حـول تطورات القتال، وهى المعلومـات التى تتيح للجنرال تكييف استعداداته وفقا للوضع التكتيكى كـما يتبدى، وأخيرا ابتدعنا طريقة تتلخص فى تزويد هيئات أركـان حرب أفواج الطليعة بضبـاط لديهم أجهزة إرسال ومكلفين بأن يبعثوا الرسائل باللاسـلكى، وكانت الصعوبة آنذاك فى الحصول على أجهزة إرســال ملائمة يمكن أن يحملها الجندى، ولم تكـن هذه الطريقة إلا وسيلة لبلوغ الغاية، ولكنها أعطت نتائج حسنة فى كثير من الأحيان.

وكان فى ذلك نواة الطريقة التى قـمت بتحسينها فى الحرب العالمـية الثانية، والتى أصبحت أخيـراً تتمثل فى فريق ضباط الاتصال المزودين بســيارات الجيب والعاملين إنطلاقا من المقرات العامة التكتية المتقدمة.

وفى تلك الفتـرة من حياتى اتخـذت قرارى القاضى بأن أنذر نفـسى كليا لمهنتى فأتعـمق فى جميع تفـاصيلها وأدع كل ما تبـقى جانبا، وكنت أجـهل آنذاك كيف أستطيع المضى فى ذلك، ولم أكن أعرف أحدا من كـبار قادة الجيش، ولكننى كنت مقتنعا بأن أول مـا يجب علىَّ فعله هو متابعة دروس مدرسـة الأركان، وقد عادت هذه المدرسة ففـتحت أبوابها عندما وضـعت الحرب أوزارها، وجرى اعطاء دروس الصف الأول التى لم يتم اختيارى لمتابعتها فى عام ١٩١٩ وكانت دروسا مختصرة، وعلقت آمالى على الصـف الثانى الذى كان يجب أن تبـدأ دروسه فى يناير ١٩٢٠ وتستمر سنة كـاملة على الأقل، ولكنى عندما نشرت أسماء المقـبولين لم يكن بينها اسمى كذلك، غير أن الفرصة مع هذا لم تفت بالكلية.

وكان القــائد العام للجـيش فى ألمانيا آنذاك الـسير «وليم روبرتــسون»، ولم أكن أعرفه، وكــان يعشق رياضة التنس، فدعـيت يوما من الأيام إلى ملاعبـته فى منزله

بكولونى، وقررت أن أجازف بـكل شىء للحصول على ما أريد، فأطـلعه على ما يشغل بالى بكل تفصيل، وكـان هو أيضا قد كافح كثيرا فى شبـابه، فهو لهذا يؤثر مساعدة الشباب، وكنت أعلم ذلك فيزيدنى علمى به امتلاء بالثقة والأمل.

وبعـد لعبـنا التنس بفتـرة قـصيـرة من الزمن، علمت أن اسـمى أضـيف إلى اللائحة، وتلقيت الأمـر بأن أحضر فى يناير ١٩٢٠ إلى مدرسـة أركان الحرب فى كامبرلى، فلقد فعل القائد العام ما كنت قد سألته أن يفعل.

وبدت السبل الآن ممهدة، ولكنها ما كانت بالغة اليسر.

* * * *

الفصل الثالث
بين الحربين

دخلت كلية أركــان الحرب فى كامبــرلى فى يناير ١٩٢٠ دون أن أدعى الذكاء، وإنما كنت أظن أننى أملك مقداراً معــينا من الحس السليم لم يتح له التدرب، وكان يبدو لى أن المهم هو امتلاك حس سليم مدرب.

وكان رفقائى فى كامبرلى يعتبرون نخبة الجيش والضباط المهيئين لأعلى القيادات، على أن قلة نادرة منهم استطاعت الوصول إلى هذه القــيادات، وكان المعلمون هم أيضا رجال مختارين، ولكن واحدا منهم بلغ القمة، هو الضابط اللامع ديل.

وكان لأحد رفقائى تأثير كبــير علىَّ، فقد كان ذو عقل من الطراز الأول وكانت طاقاته عظيمــة، ذلك هو «جورج لندسى» من لواء الرماة، وقد تقاعد بــرتبة ماجور جنرال.

وكان جنرالات الحرب الجيدون يحتلون كل المناصب العليا، ويستمرون فيها وقتا أطول كثيــرا مما ينبغى، فكان «ميلن» رئيسا لهــيئة أركان الحرب الامــبراطورية خلال سبع سنوات، من ١٩٢٦ حتى ١٩٣٣، ولم يحالف الجيش التــوفيق بعده فى اختيار قادته الكبار، فقد حل محل ميلن، مونتجومرى ما سنجبرد، الذى شغل منصبه فى فترة بالغة الأهمية لشئون الجيش ، من ١٩٣٣ حتى ١٩٣٦، وفى رأيى أن تعيينه كان خطأً كبيراً، إذ أن الجيش فقد تحت إمرته كل حــيويته وأصبح كسفينة من دون دفة، أما من كان مؤهلا آنذاك لهذه المهمة فهو «جوك بورنت ستيوارت»، ألمع جنرال فى الجيش البريطانى، ولو أنه كان رئيس الأركان، لكان الجــيش أفضل استعداد للحرب عام ١٩٣٩ .

وفى عام ١٩٣٦ ، خلف ديفرل، مـونتجومرى ماسنجـبرد، ولكنه لم يكن على تفاهم مع وزير الحربية، هوربليشا، وأعفى من منصبـه بعد ثمانية عشر شهراً، ولو أنه ظل فى هذا المنصب لقام بعمل ممتـاز بكل تأكيد، غير أن هوربليشـا فضل عليه غورت، الذي لم يكـن مناسباً لهـذا المكان إطلاقا، ولكنه احـتفظ به حـتى إعلان الحرب فى سبتمبر ١٩٣٩ .

وكان نتـاج هذا كله أن الجيش البـريطانى بلغ الحرب العـالمية الثانيـة عام ١٩٣٩ بتنظيم وعتاد يصلحان لحرب ١٩١٤ ، وعلى رأسه قادة غير أكفاء.

وفى ديـسمبر ١٩٢٠ ، اجتزت إمتحان التخرج فى كلية أركان الحرب، وأظن أن علاماتى كانت جيدة.

ولقد أرسلت برتبة مـاجور إلى لواء المشاة السابع عشر فى كـورك للاشتراك فى حرب أخرى هى الحرب ضد السن فاين فى إيرلـندا الشمالية، وكانت هذه الحرب من أوجه كثيرة أسوأ من الحرب الكبرى التى انتهت عام ١٩١٨ .

وبعد انتهـاء القتال ضد السن فاين فى عـام ١٩٢٢ ، شغلت فى إنجلترا مناصب مخـتلفة فى أركان الحرب إلى أن أرسلـت فى عام ١٩٢٦ لأعمل مدرسـا فى كلية الأركان.

وفى عام ١٩٣٠ ، اختارتنى وزارة الحربية لتـعديل كتاب المشاة الموجز، وكان فى هذا بادرة كبـيرة من بوادر التقدير، فـقررت أن أجعل من هذا الكتـاب رسالة فى الحرب يسـتطيع أن يفهمـها ضابط المشـاة، وكان لابد من أن تقـر الكتاب لجنة من وزارة الحربية، فجـرت مناقشات حامية حول بعض النقـاط ولم استطع الموافقة على معظم التـعديلات التى تناولت عقـيدتى بشأن اسـتخدام المشـاة فى زمن الحرب، واقتـرحت آنئذ أن تنفض اجتمـاعات اللجنة لأنصرف إلى إعـادة النظر فى الكتاب

بهدوء، فقبل اقتراحي، ووضعت بعد ذلك النص النهائي الذى حذفت منه كل التعديلات المقترحة من اللجنة، وعندما نشر الكتاب اعتبره الناس ممتازاً، وفى طليعة من اعتبره كذلك مؤلفه.

وبينما كنت مدرسا فى كلية الأركان فى كامبرلى، وقعت فى شباك الحب، وتزوجت فى ٢٧ يوليو ١٩٢٧، وولد ابنى دايفد فى ١٨ أغسطس ١٩٢٨، وتوفيت زوجتى ١٩ أكتوبر ١٩٣٧.

وفى أكتوبر ١٩٣٨، بعد أن قضيت ما يزيد قليلا على العام فى بورتسموث، تلقيت الأمر باستلام قيادة الوحدات المشتركة فى شمالى فلسطين فى قمع الثورة العربية، وكان على أن أنشىء منها فرقة جديدة، الفرقة الثامنة التى ستتخذ مقرها العام فى حيفا، وكانت هذه مهمة سرتنى أعظم السرور، فأنا الآن برتبة ماجور جنرال، ولكن الإقامة فى فلسطين ستفصلنى عن دايفد، فتطوع بعض أصدقائى المخلصين بأن ينوبوا عنى بالنسبة إليه، ومنذ ذلك التاريخ لم يكن باستطاعتى أن أوفر له جو المنزل قبل عام ١٩٤٨، إذ أن الحرب اندلعت عام ١٩٣٩ بعد ذهابى إلى فلسطين بوقت قصير. وفى شتاء ١٩٣٨ - ١٩٣٩، بينما كنت أقاتل فى فلسطين، عينت قائداً للفرقة الثالثة فى إنجلترا، وكانت هذه الفرقة نظامية مقرها العام فى سهل سالسبورى، وكانت تضم لواء المشاة التاسع الذى قدته فى بورتسموث قبل أن أرسل إلى فلسطين، وكان علىّ أن أتولى قيادة هذه الفرقة فى شهر أغسطس ١٩٣٩، ولكنى مرضت فجأة فى شهر مايو، ونقلت فى سيارة إسعاف إلى مستشفى حيفا، أن الصورة الشعاعية أظهرت لطخة فى الرئة، فقد ذهب الظن إلى أنى مصاب بالسل، ولما لم تتحسن صحتى طلبت أن أعود إلى إنجلترا، وكنت مقتنعا بأننى سأستعيد عافيتى عندما أترك مناخ حيفا الحار الرطب، وتوجهت رأسا إلى مستشفى

ميلبـانك فى لندن، حيث طلبت إجراء فـحص طبى مدقق، واستمـر هذا الفحص ثلاثة أيام صدر بعدها القرار بأننى لا أشكو شيئاً.

وبعد أن قضيت بضعة أيام فى الـراحة، توجهت إلى وزارة الحربية، وسألت إذا كان باستطاعتى الآن أن أتسلم قـيادة الفرقة الثالثة، وكانت غـيوم الحرب قد أخذت تتلبد فى تلك الأثناء، وكان الجيش على أهبة التعبـئة، وقيل لى إن التعيينات السابقة تلغى أتوماتيكيا فى حـالة التعبئة ويبقى كل قـائد فى قيادته، وكان قائد الفرقـة الثالثة على وشك الإلتـحاق بمنصـبه الجـديد، ولكنه بقى الآن فى قيـادة الفرقـة، فطلبت عندئذ أن أعود إلى فلسطين لأستعيد قيـادة الفرقة الثامنة، ولكن الجواب كان كلا، إذ قد حل مـحلى قائد آخر على رأس هذه الفـرقة، وقيل لى إننى أصبـحت أحد الضباط برتبة ماجور جنرال ممـن هم تحت التصرف، ولم يكن ذلك يناسبنى مطلقا، فبريطانيـا العظمى تعبأ للحرب، وأنا تحت التصرف، وأخـذت ألاحق وزارة الحربية وألح فى الطلب، وفى آخر المطاف تولى الجنرال تمورت وظيفة حاكم المستعمرات، وتسلمت أنا قيادة الفرقة الثالثة قبل بضعة أيام من إعلان الحرب.

* * * *

الفصل الرابع
بريطانيا تدخل الحرب العالمية الثانية

فى ٢٨ أغسطس، تسلمت قيادة الفرقة الثالثة، وكانت التعبئة الجزئية يومئذ جارية، أما التعبئة الكاملة فقد تقررت فى أول سبتمبر وهو اليوم الذى غزا فيه الألمان بولونيا، ووجه الحلفاء فيه إنذاراً إلى ألمانيا.

كان كثير من وسائل النقل فى فرقتى يتألف من شاحنات أتى بها من مدن مختلفة بإنجلترا وكانت فى حالة سيئة، وعندما انتقلت فرقتى من موانىء إنزالها نحو منطقة احتشادها القريبة من الحدود الفرنسية البلجيكية، أخذت السيارات المحطمة تنتثر على أرض الريف الفرنسى.

أما العتاد المضاد للدبابات فى فرقتى، فكان يتألف من مدافع من عيار(٢ ليبرا)، وكان سلاح المشاة ضد الدبابات البنادق من عيار (٠,٨ بوصة)، وسارعنا إلى شراء بضعة مدافع صغيرة على عربات ذات أيد من الفرنسيين، وأعطى كل فوج مشاة عدداً منها، وفيما عدا ذلك كانت هناك قطع من عيار (٢٥ ليبرا) فى مدفعية فرقتى، مفروض أن تلعب دوراً فى القتال ضد الدبابات، وكان فى مكان ما من فرنسا تحت تصرف مقر القيادة العليا لواء دبابات.

وبدأت العمليات الفعلية فى ١٠ مايو ١٩٤٠، وفى اليوم التالى كان تشكيل الجبهة من لونجوى إلى البحر على النحو الآتى من الشمال إلى الجنوب:

١ - مجموعة الجيوش رقم (١) بقيادة الجنرال بيلوت، مؤلفة من الجيش الفرنسى الثانى، والجيش الفرنسى التاسع، والجيش الفرنسى الأول، وكانت هذه الجيوش ترابط على جبهة ممتدة من لونجوى حتى وافر، مرورا بسيدان،

وكان فى قسم الأردين - الموز من هذه الجبهة الجيشان الثانى والتاسع الفرنسيان المؤلفان على الأخص من فرق من المرتبة الثانية، وكان الجيش الأول الفرنسى يجاور جيش الحملة البريطانية، ويتألف معظمه من فرق من المرتبة الأولى.

٢ - قوات الحملة البريطانية، وهى ليست تحت قيادة الجنرال «بيلوت»، بل تتلقى أوامرها مباشرة من الجنرال «جورج»، وكانت فرقتى الثالثة هى فرقة الميسرة لقوات الحملة البريطانية، وكان إلى يسارها الجيش البلجيكى.

٣ - الجيش البلجيكى، مستقلا وبقيادة ملك بلجيكا.

٤ - الجيش السابع الفرنسى، بقيادة «جيرو»، وكان فى الأصل ملحقا بمجموعة الجيوش رقم (١)، واتجهت نية الجنرال «جورج» إلى إبقائه كاحتياطى خلف الجناح الأيسر، وكان قرار الجنرال جورج هذا صحيحا، ولكن «غاملان» قرر خلاف ذلك، فأصدر أمره بأن يعمل هذا الجيش المؤلف من سبع فرق مجتازا بلجيكا باتجاه أنفرس، بغرض دعم القوات البلجيكية والهولندية، فتكبد خسائر فادحة، وعانى من نقص الذخائر، ولم يستطع أن يحصل على أية نتيجة.

وبصرف النظر عن خطأ القيادة هذا، لم تكن حالة المخابرات لتسهل الأمور، فمنذ اليوم الذى أعلنت فيه الحرب، أصر الفرنسيون إصراراً بالغا على أن تلزم جميع الموجات الصمت حتى أصبح من الصعب إن لم يكن من المستحيل إجراء الاتصالات على هذا النحو، ولهذا السبب كانت القوات الحليفة تكاد لا تجرى اتصالاتها فيما بينها إلا بواسطة الهاتف المدنى مما كان يشتمل على مخاطر كبيرة.

أضف إلى ذلك، أن مقر القيادة العليا لقوات الحملة البريطانية لم يقم أبدا بإدارة أية تمرينات، بجيوش أو بغير جيوش، بين اليوم الذى نزلنا فيه فرنسا عام ١٩٣٩،

واليوم الذى بدأت فيه العمليات الفعلية في أيار ١٩٤٠، وكانت نتيجة ذلك عدم وجود خطة مشتركة أو مبدأ تكتيكى فى جميع قوات الحملة البريطانية.

وفى يوم ١٢ مايو، جرى الاتفاق على أن يقوم الجنرال «بيلوت» باسم الجنرال «جورج» بتنسيق عمليات قوات الحملة البريطانية والجيش البلجيكى، وهذا التنسيق لم يكن أبدا قيادة فعلية لجميع القوات المعنية، ومثل هذه القيادة شأن أساسى فى القتال وغاب الجنرال «بيلوت» فى ٢١ مايو بعد أن أصيب بجروح خطيرة فى حادث سيارة وتوفى بعد يومين، ولم يبق عندئذ أحد ينسق العمليات الفرنسية والبريطانية والبلجيكية، وبعد ثلاثة أيام عين أخيراً الجنرال بلانشار قائد الجيش الفرنسى الأول خلفا للجنرال «بيلوت»، ولكن بعد فوات الأوان.

واستمر الهاتف المدنى الوسيلة الرئيسية للمخابرات، يتمم عمله ضباط الاتصال والزيارات التى يقوم بها القواد وأركان حربهم، وابتداء من ١٦ مايو أخذ التقدم الألمانى يقطع الخطوط الجوية، وفى اليوم نفسه توقفت الاتصالات الهاتفية بين مقر القيادة العليا «غاملان» والمقر العام للجبهة الشرقية «جورج» ، وفى اليوم نفسه أيضا قطعت جميع المخابرات المباشرة بين الجنرال جورج ومجموعة الجيوش رقم (١) «بيلوت»، ومنذ ١٧ مايو لم يبق تحت تصرف «غورت» خطوط هاتفية للإتصال بالمقر العام البلجيكى على ميسرته، وبالجيش الأول الفرنسى على ميمنته وبالمقر العام للجبهة الشمالية الشرقية «جورج» فى مؤخرته.

وأخيراً جرى حل مصلحة الاستخبارات ، وفى ١٥ مايو أخذ الفرنسيون يواجهون المصاعب على ميمنة قوات الحملة البريطانية، وجرى الاختراق الألمانى على جبهة الجيش الفرنسى التاسع، ولم يكن لمقر القيادة العليا فى مقر هذا الجيش العام ضابط اتصال كما كان له لدى الجيش الفرنسى الأول المرابط مباشرة على ميمنة قوات الحملة البريطانية، ونتيجة ذلك لم يحصل مقر القيادة العليا فورا على

تفاصيل عن عملية الاختراق، ولم يبلغه الفرنسيون معلومات لا عن أوضاع جيوشهم الخاصة ولا عن وضع العدو، واتخذ عندئذ قراراً مذهلاً، إذ أستدعى غورت رئيس مصلحة استخباراته، الماجور جنرال «ماسون ماك فالين» ، وأسند إليه قيادة قوة صغيرة مكلفة بحماية المؤخرة اليمنى لقوات الحملة البريطانية، وأخذ الجنرال معه أقدم ضابط أركان حرب فى هذه المصلحة بصفة ضابط عام فى أركان حرب سلاح الجو، وهو الليوتنان كولونيل «جرالد تمبلر»، واستتبع ذلك أن «غورت» أصبح أكثر الوقت دون معلومات دقيقة عن العدو، ففى كل مكان، كان توزيع مهمات أركان الحرب، بين مقر القيادة العليا ومنصب القيادة، توزيعا سيئ التنظيم منذ البداية، وكانت الخطة مجرد عمل من أعمال الهواية، وتفتقر أكثر ما تفتقر إلى اللمسة المهنية، وما قلته كاف لكى يدرك القارىء أننا- من حيث القيادة والإشراف على القوات الموجودة فى فرنسا فى مايو ١٩٤٠- كنا قد خسرنا المعركة فعلا قبل أن تبدأ ، وكانت المنطقة المنوطة بفرقتى تقع جنوبى مدينة (ليل)، وكانت مهمتى فى العمليات العمل فى التحصينات الدفاعية التى يجب أن يمتد بها خط (ماجينو) وراء الحدود البلجيكية، وحتى ١٠ مايو كانت بلجيكا بلدا يلتزم الحياد بدقة، وكنا ننتظر بصبر أن يهاجمنا العدو، وكان علينا إذا هوجم البلجيكيون أن نتقدم ونحتل قطاعا على جانبى مدينة لوفان، وراء نهر ديل، ودربت الفرقة على هذه المهمة على مسافة مماثلة باتجاه الغرب، أى فى فرنسا، وأصبحنا خبراء فيما يتعلق بالانتقال مسافة طويلة أثناء الليل، محتلين موقعا دفاعيا فى الظلام ومنجزين تشكيلنا الكامل لدى الفجر ومستعدين لمواجهة الهجوم.

وفى الشتاء قرر مقرر القيادة العليا أن ترسل بعض الفرق، كل بدورها، ألوية مشاة إلى جبهة اليسار، لاحتلال مواقع أمام خط «ماجينو» تحتك بالمواقع الألمانية على خط (سيغفريد)، وقد توجهت فى يناير ١٩٤٠ لتفتيش أحد ألويتى وقضيت

هناك بضعة أيام لأقوم بجولة عامة، وكانت هذه أول خبرة لى حول الجيش الفرنسى فى حال العمل، فأنتابنى قلق جدى، وتوجهت لدى عودتى لمواجهة قائد جحفلى، الجنرال «بروك»، فعرضت عليه مخاوفى بشأن الجيش الفرنسى وما يمكننا أن نتوقعه من هذا القطاع فى المستقبل، وكان بروك قد زار هذا القطاع بنفسه وعاد منه بالرأى ذاته.

ولست أنوى أن أصف بالتفصيل عمليات الفرقة الثالثة فى الحملة التى بدأت فى ١٠ مايو ١٩٤٠، ولكن بعض الحوادث تثير الاهتمام، فقد كانت أول مهمة علينا أن ننفذها تلك التى كنت أتوقعها بالضبط، وهى التقدم واحتلال قطاع على نهر ديل على جانبى مدينة لوفان، وقد نفذت الفرقة المهمة أحسن تنفيذ، وكان القطاع على نهر ديل محتلا من جانب فرقة بلجيكية لم تكن قد اشتبكت آنئذ مع الألمان، وعندما استيقظ الجنود البلجيكيون صباح يوم ١١ مايو وجدوا فرقة بريطانية تساندهم فى القطاع، وقد وصلنا بهدوء أثناء الليل وكان أكثر البلجيكيين نياما.

وذهبت لأقابل الجنرال البلجيكى وطلبت منه أن يسحب فرقته ويسمح لى باستلام الجبهة والمحافظة عليها، فرفض قائلا: إنه لم يتلق أوامر بهذا الصدد، وأضاف أن من واجب القوات البلجيكية الحفاظ على مدينة لوفان القديمة، وكان الألمان يتقدمون، والجيش البلجيكى الذى كانت جبهته على خط قناة آلبرت يتراجع بسرعة، وكان فى القطاع كثير من القوات فوضعت لذلك فرقتى كاحتياطى خلف الفرقة البلجيكية، وارتأيت أن أفضل سبيل لجعل البلجيكيين يرحلون والحلول محلهم هو دغدغة كبريائهم بعض الشيء، فقلت للجنرال البلجيكى: إنه لأمر أساسى ألا يكون فى هذا القطاع إلا قائد واحد مسئول هو الجنرال الذى ترابط فرقته فى الجبهة، ووضعت نفسى على هذا الأساس تحت إمرته فسر أبلغ السرور.

وبلغ النبأ مقر القيادة العليا حيث أحدث دهشة بالغة، وجاء قائد جحفلى يرانى، ولكننى قلت له أن يطمئن بالا، فأنا أهدف إلى تنحية البلجيكيين وعندئذ سأتولى أنا الجبهة وأصبح أنا القائد المسئول.

وعندما وصل الألمان إلى نقطة يطالهـا مدى المدفعية وبـدأ القصف ، لم أجد أية صعوبة فى احتلال الجـبهة التى ترابط فيها الفرقة البلجـيكية، فقد انكفأت هذه إلى موقع الأحـتياطى، ثم توجهت نحـو الشمال والتحـقت بمجموعة الجـيش البلجيكى العظمى.

ولقد رويت كثـيرا قصة إنسحـاب قوات الحملة البريطانية، والمعـارك اليائسة التى نشبت، والجلاء الأخيـر بطريق دنكرك وشاطئها، ولقد قامت فـرقتى بكل ما طلب إليها القيام به، وأعتقد أن أصـعب عملية نفذناها كانت تلك التى جرت فى ٢٧ مايو عندما تلقيت الأمر بوضع الفـرقة على ميـرة الجبهة البريطانيـة وسد ثغرة كانت قد فتحت بين الفـرقة الخمسين والقـوات البلجيكية، وكانت هذه العمليـة تشتمل على تحرك الفرقة كلها ليلا على مـسافة كيلو مترين تقريباً من جبهة الفرقة الخامسة، حيث كانت لا تزال تدور معركة شديدة احتـدمت طوال النهار، ولقد نفذت العملية دون أية عقبة، وسدت الثغرة فى فجر ٢٨ مـايو، وكم كانت مفاجأتى كبيرة حين علمت فى صباح اليوم نفسه أن ملك بلجـيكا سلم جيشه للألمان فى ٢٧ مايو عند منتصف الليل، بينما كنت أنا أنتقل بفرقتى لأسد الثغرة المفتوحة، وإذا بى فى وضع محرج، إذ بدلا من أن يكون على ميسرتى جيش بلـجيكى، لم يعد هناك أحد، وكان علىَّ أن أتخذ قراراً سريعاً.

وقد أخذت فرقتى الثالثة مـركزها على ميمنة رأس جسر دنكرك فى ليل ٢٩ - ٣٠ مايو، ورابطنا على خط القناة بين (فورن) و(نيوبورت)، وكان مقرى العام يوجد فى الروابى الرملية بجـوار لابان، أما مقـر القيادة العليـا- أو ما بقى منه- فكان فى منزل من منازل جبهـة البحر، ولم يكن يضم إلا «غورت» نفسه وعـددا من ضباط أركان الحرب.

وفى صبيحة ٣٠ مايو، جـاء «بروك» يزورنى فى مقرى العام، وقال لى إنه تلقى الأمر بالـعودة إلى إنجلتـرا، وكان شديد الإنـزعاج، وقال لى إنـنى سأتولى قـيادة

جحفله، (الجحفل الثانى)، ففوجئت بذلك إذ كنت أصغر ماجور جنرال فى هذا الجحفل، وسافر «بروك» إلى إنجلترا فى المساء ذاته.

وعقد اللورد «غورت» آخر مؤتمر فى مقر قيادته العليا بجبهة البحر ظهر ٣٠ مايو لإعطاء أوامره، وحيث أننى أصبحت أقود الآن الجحفل الثانى فقد حضرت المؤتمر، وتلى علينا «غورت» البرقية التى تتضمن تعليمات الحكومة الأخيرة.

وفى مساء ٣٠ مايو، جمعت قواد فرق الجحفل الثانى، وأصدرت إليهم أوامرى من أجل الإنسحاب والجلاء بطريق الشاطىء فى الليلة التالية، وفى الليلة التالية أجليت الجحفل الثانى، ولم يكن الوضع حسنا، ذلك أن بعض العَّبارات المرتجلة التى أنشأناها لنبلغ عليها السفن أخذت تتحطم، واضطر كثير من الجنود إلى الذهاب إلى دنكرك، وأخيراً توجهنا نحن أنفسنا سيرا على الأقدام، إلى دنكرك التى كانت تبعد عن ذلك المكان ٥ أو ٦ أميال، ومعنا البغادير «ريتشى» وسائق سيارتى، ووصلنا عند الفجر، وركبنا مدمرة ونزلنا فى دوفر صباح اليوم الأول من يونيو.

وبفضل وضوح الرؤية البالغ لدى «غورت» فى مجاله المحدود، استطعنا أن نغادر جميعا دنكرك، لقد رأى «غورت» بوضوح أنه قد كان عليه، - على الأقل- العودة بجنود الحملة إلى بريطانيا ومع كل فرد منهم أسلحته، وأنا معترف بفضله كليا فى ذلك، وأرجو أن يكون التاريخ شاكراً له هذا الفضل أيضا، لقد أنقذ رجال الحملة البريطانية، أما وقد أنقذوا فقد أصبح بإمكانهم أن يعودوا إلى القتال من جديد يوماً من الأيام، وهذا ما فعلوه فى سبيل هدف معين على نحو ما استطاع الألمان بعد ذلك أن يتبينوا.

* * * *

الفصل الخامس
الجيش فى إنجلترا بعد دنكرك

وصلت إلى لندن مساء اليوم الأول من يونيو، وتوجهت صباح اليوم التالى إلى وزارة الحربية كى أقدم تقريراً شخصيا إلى صديقى القديم «جاك ديل».

وعلى الرغم من أننى توليت قيادة جحفل فى دنكرك، فقد طلبت وأجبت إلى طلبى أن أعود إلى فرقتى الثالثة لإصلاحها وإعدادها لما سيحدث فى المستقبل.

ولم يكن فى إنجلترا آنئذ كسلاح وكوسائل نقل إلا ما يكفى لإعادة تجهيز فرقة واحدة تجهيزاً كاملا، واتخذ القرار بإعطائها للفرقة الثالثة، وجعل هذه الفرقة جاهزة لاجتيار المانش مرة أخرى للإنضمام إلى الوحدات البريطانية القليلة التى ما تزال تقاتل إلى جانب الجيش الفرنسى، وقد عين «بروك» القائد الأعلى الجديد.

وأصلحنا حال الفرقة فى (سمرست)، وتلقينا عتادنا الجديد وكنا جميعاً على استعداد لاجتيار المانش فى حوالى منتصف يونيو، ولكن فى ذلك الوقت وقعت فرنسا الهدنة فى ١٧ يونيو، فتلقت فرقتى عندئذ الأمر بالتوجه إلى ساحل إنجلترا الجنوبى، وإحتلال قطاع يضم برايتون والمنطقة الواقعة غربى هذه المدينة، وجعل هذه المنطقة فى حالة دفاع لكى تستطيع مقاومة غزو كان يعتبر وشيك الوقوع، فاكتسحنا إذن الساحل الجنوبى متساقطين تساقط مجرى الثلج الزاحف من أعالى الجبال على سكان تلك المنطقة.

كان مقر فرقتى العام قرب ستاينج، فى منزل يقع شمال الروابى الرملية، وعلمت أن «ونستون تشرشل» رئيس الوزراء، يرغب فى زيارة فرقتى بعد ظهر يوم ٢ يوليو، وأنه سيصل فى سيارة ويكمل جولته فى برايتون بحيث يستطيع العودة إلى

لندن بالقطار فى المساء، وكنت متلهفا لرؤية هذا الرجل، ولقد ذهبت به إلى كلية الرماية التى يحتلها رماة «أولستر» الملكيين، وأشهدته هجوما مضادا على أرض الطيران الصغيرة الواقعة على الشاطىء والتى كان يفترض أن الألمان قد استولوا عليها، فسر أبلغ السرور، ثم تابعنا زيارتنا على طول الشاطىء لنصل إلى برايتون فى حوالى الساعة ١٩,٣٠، فاقترح تشرشل أن نتناول طعام العشاء معا فى فندق «رويال ألبيون»، وتحدثنا عن مشاكلى، خاصة عن جمود فرقتى، فقد كانت هذه الفرقة فى إنجلترا هى الفرقة الوحيدة الكاملة التجهيز والوحيدة القادرة على قتال العدو أينما كان، ومع ذلك فنحن نقوم هنا بدور جامد مكلفين بحفر الخنادق على الساحل الجنوبى، لقد كان يجب أن تحل محلنا قوات أخرى وأن نعطى سيارات وأن يحتفظ بنا كاحتياطى متحرك للقيام بدور الهجوم المضاد، فلماذا هذا الجمود؟ واعترف رئيس الوزراء أن اقتراحى لا يخلو من الرأى السديد.

وهكذا قرر واضعوا الخطط فى يوم من الأيام أن علَّى أن أستعد لأتوجه بفرقتى إلى ما وراء البحار للاستيلاء على أرخبيل أسورس، ثم أبلغت أن الأمر لا يتعلق بأرخبيل أسورس، بل بجزر الرأس الأخضر، واخيراً بعد عمل شاق، طلب إلى أن أعد خطة للاستيلاء على كورك وكوينستون فى أيرلندا الجنوبية بحيث يمكن استخدام المرفأ فى كل منهما كقاعدة بحرية للحرب ضد الغواصات فى المحيط الأطلسى، ولم توضع أية خطة من هذه الخطط موضع التنفيذ.

وفى يوليو ١٩٤٠ عينت قائداً للجحفل الخامس، وإلى ذلك التاريخ يعود بدء تأثيرى الفعلى على تدريب الجيش، وفى أبريل ١٩٤١ تسلمت قيادة الجحفل الثانى عشر فى مقاطعة (كنت) حيث كان من المتوقع حصول غزو لإنجلترا، وفى ديسمبر ١٩٤١ عينت قائداً لجيش الجنوب الشرقى الذى كانت منطقته تشمل مقاطعات كنت وسارى وساسكس.

وفى مستهل أغسطس ١٩٤٢، كان يجب أن يجرى تمرين على نطاق واسع فى استكلندا، واقترح الجنرال باجيت- الذى كان آنئذ قائداً أعلى لقوات الداخل- أن أحضر هذا التمرين برفقته.

وكنت سعيداً بأن تتاح لى فرصة مشاهدة ما تستطيع قوات أخرى أن تفعله، فتوجهت إلى الشمال فى القطار الخاص بالقائد الأعلى، وعندئذ أخذت الأحداث تتعاقب بسرعة، ففى اليوم الثانى من أيام التمرين اتصلت بى وزارة الحربية طالبة إلى العودة فوراً إلى لندن، فقد كان علىَّ أن أخلف «الكسندر» على رأس الجيش الأول وأبدأ فى العمل تحت إمرة «إيزنهاور» فى خطط الإنزال فى شمال أفريقيا الذى سيجرى فى نوفمبر ١٩٤٢، وقد اتفق على تسميته بعملية المشعل.

وحوالى الساعة السابعة من صباح اليوم التالى(٨ أغسطس) كنت أحلق ذقنى عندما اتصلت بى وزارة الحربية هاتفيا لتقول لى إن الأوامر التى أعطيت لى فى الليلة السابقة فى موضوع الجيش الأول وعملية المشعل قد ألغيت وأن علىّ أن أستعد للذهاب فورا إلى مصر لتسلم قيادة الجيش فى الصحراء، وكان «الكسندر» قد سبقنى إلى مصر ليصبح قائداً أعلى للشرق الأوسط، وسأعمل تحت إمرته.

ولقد غادرت إنجلترا بطريق الجو فى ليل العاشر من أغسطس، ووصلت إلى جبل طارق فى فجر اليوم التالى، وبقينا فى جبل طارق طوال النهار وأستأنفنا الرحلة مساء الحادى عشر من أغسطس إلى القاهرة.

وفى أثناء الرحلة فكرت فى المشاكل التى تواجهنى، وكونت فكرة فى خطوطها الكبرى، عن الطريقة التى يجب أن أحاول حلها بها.

* * * *

الفصل السادس
عقيدتى فى القيادة

غادرت بريطانيا لأمارس مهام قيادة عليا لقوات تخوض المعارك، ولقد ذكر هارى ترومان فى مذكراته أن دراسة التاريخ علمته أن القائد هو الرجل الذى يملك القدرة على جعل الناس يفعلون ما لا يريدون أن يفعلوا، وأن يحملهم على إيلاف ذلك.

وتعريفى الخاص للقيادة، هو أنها القدرة والعزم على جمع الرجال والنساء حول هدف مشترك، يضاف إليهما الخلق الذى يوحى بالثقة.

ولكن امتلاك هذه القدرة لا يكفى، فالقائد عليه أن يقول الحقيقة لأتباعه أو لمرؤوسيه، فإذا هو لم يفعل فسرعان ما سيظهر لهم ذلك وتتضاءل ثقتهم فيه، أما أنا فلم أقل دائما كل الحقيقة لجنودى أثناء الحرب، فلو أنى فعلت لتعرض سر العمليات للخطر، ولم يكن ذلك ضروريا، وإنما قلت لهم كل ما يجب أن يعرفوه لكى ينفذوا مهماتهم تنفيذا فعالا، على أن كل ما قلته لهم كان دائما هو الحقيقة، وكانوا يعرفون ذلك، فنتج عن هذا قيام الثقة المتبادلة بيننا.

وعلى القائد العسكرى الحق أن يسيطر على الأحداث، فإذا هو سمح لها بأن تسيطر عليه فقد ثقة رجاله، وفى هذه الحال يكف عن أن يكون قائدا حقا.

وعلى القائد، بعد أن يكون كل شىء قد قيل وعمل، أن يمارس تأثيرا فعالا، ومدى هذا التأثير يتوقف على شخصية الرجل، على مقدار الحماس الذى هو قادر على إبدائه، وعلى اللهب الذى يشتعل فى نفسه، والجاذبية التى تشع منه وتدخل قلوب جميع الذين هم تحت إمرته.

والذى كنت أود شخصيا أن أعرفه عن القائد هو الآتى:

إلى أين هو ذاهب؟

هل يمضى فى سيره حتى الغاية؟

هل يملك الموهبة والعلم والخبرة والشجاعة؟

هل يتخذ مقراراته متقبلا كل المسئولية ،مجازفا بالأخطار إذا اقتضى الأمر؟

هل هو قادر على تخويل سلطاته لسواه، وعلى اعتماد اللامركزية فى المنظمة التى يكون هو قد أنشأها أولا وتضم مراكز متعددة لاتخاذ قرارات معينة على نحو يجعل من الممكن تنفيذ الخطة بيسر وسرعة؟

إن مسألة التقرير مسألة حيوية، والاتجاه الحديث هو إلى تجنب اتخاذ القرارات، وتأجيل اتخاذها أملا بتغير الأحوال، والنهج الوحيد الذى يتبعه القائد العسكرى هو التقرير أثناء العمل، والدم البارد أثناء الأزمة، وليس هذا كذلك نهجا سيئاً للقائد السياسى.

وعلى القائد أن يعرف ما يريد، إن عليه أن يرى هدفه بوضوح، ويجتهد من ثم فى بلوغه، وعليه أن يتصرف بحيث يعرف كل واحد ماذا يريد، ويعرف الأسس الجوهرية للخطة، إن عليه فى الواقع أن يعطى توجيهات واضحة وأوامر جازمة، ومن الضرورى أن يخلق ما أدعوه مناخا يعيش فيه مرؤوسوه ويعملون.

إن المعركة الحديثة يمكن أن تخرج عن الخط بسرعة، ولضمان النجاح يتوجب على القائد الأعلى أن يؤمن لنفسه منذ البداية قبضة حازمة على آلته العسكرية، فعلى هذا النحو فقط تحافظ قواته على التوازن والتماسك وتنمى طاقتها على القتال تنمية كاملة، وهذه القبضة لا يجوز أن تعنى التدخل فى مبادرات المرؤوسين أو مضايقتهم، فالمعركة إنما تربح فى النهاية بفضل مبادرتهم هم، ولكن الحزم ضرورى

لتجنب نسف الخطة الأساسية بأفكار شخصية لأحد المرؤوسين فى وقت من أوقات المعركة، فالعمليات يجب أن تجرى وفقا لخطة عمل مقررة مسبقا، فإذا لم يكن هذا هو الوضع فسيفسر الأمر عن تسوية بين الأفكار الشخصية حول الطريقة التى يجب أن تجرى بها العمليات، أو هى تجرى بنتيجة المواقف الناشئة عن عمل المرؤوسين وبطريقة لا تكون مطابقة للخطة المبدئية، وهناك افتراض ثالث هو انتقال المبادرة إلى العدو.

والخطة المبدئية يجب أن لا تكون أبدا جامدة إلى حد لا يستطيع معه القائد الأعلى تعديلها أو تكييفها وفق وضع تكتيكى جديد، ولكن يجب أن لا يسمح لأى أحد سواه بأن يعد لها كما يشاء، وأن لا يسمح بذلك خصوصا للعدو.

ومن المهم تحديد المكان الذى يمكن أن يعقد فيه مؤتمر عندما تكون العمليات الفعلية جارية، وعلى القائد أن يعرف ماذا يريد أن يفعل وماذا يمكن فعله، وذلك بالتنبؤ وبالبحث مع أركان حربه، وبالبقاء على اتصال وثيق مع قواد وحدته، فإذا وجد من الضرورى عقد مؤتمر معهم فيجب دائماً أن يتجنب استدعائهم لإعطائهم أوامره، إذ عليه هو أن يذهب إليهم، فمثل هذا المؤتمر المعقود بغية إلتقاط الأفكار لا يدعو إليه إلا قائد ضعيف.

ومن الخطأ الاعتقاد أنه يكفى إعطاء الأمر، فإن عليك أن تتأكد من أنه قد نفذ بالروح التى أصدرته أنت بها.

وعندما ينهى القائد الأعلى رسم الخطوط الكبرى لخطته وطريقة تنفيذ هذه الخطة، عليه أن يكتب بنفسه الأوامر الأولى والتوجيهات الخاصة بالعمليات، ولا يسمح لأركان حربه بأن يقوموا مقامه فى ذلك، وإنما ينصرف أركان حربه ومرؤوسوه إلى عملهم فى التفاصيل مستندين إلى أوامر القائد الأعلى الخطية، وهكذا تقل الأخطاء إلى أدنى حد.

وليس هناك قائد مهما بلغت عظمته يستطيع الحفاظ على مركزه إذا لم يحرز إنتصارات، إن القتال يقرر كل شيء، فكيف تحوله إلى إنتصار؟

والمادة الأولية التى يجب أن يستخدمها القائد هى الإنسان، وكثير من القادة لم يدركوا هذه المسألة الأساسية إدراكا كاملا، ولم يفهموا كل تشعباتها، وكان هذا أحد الأسباب التى أدت إلى ما منوا به من فشل.

وفى الحرب يجب أن يكون الجيش صلبا كالفولاذ، أما عنصره الأساسى فهو الرجال، ولاستخدامه استخداما ملائما لابد من فهم الطبيعة البشرية، فإذا كان احتكاكك بالعنصر البشرى باردا وغير شخصى فلن يكون بإمكانك أن تحرز شيئاً، أما إذا كسبت ثقة رجالك فأصبحوا يشعرون أن مصالحهم فى أمان بين يديك فعندئذ تكون قد امتلكت قوة لا تقدر، حتى لتصبح أعظم المطالب ممكنة التحقيق.

ومعنويات الجندى هى أهم عامل فى الحرب، وأفضل سبيل للحصول على معنويات عالية هى النجاح فى القتال، والقائد الجيد هو الذى يكسب معاركه بأقل ما يمكن من الخسائر، ولكن المعنويات تبقى مرتفعة حتى بعد تكبد خسائر كبيرة شرط أن تربح المعركة، وأن يعرف الجنود أن الأرواح لم يفرط بها، وأن كل ألوان العناية تقدم إلى الجرحى، وإن القتلى قد جمعت جثثهم ودفنت بكل احترام.

ومن المهم أن يدرك القائد أن جميع الرجال مختلفون ، بعض الجنود يفضلون القتال نهارا، وبعضهم يؤثرون القتال ليلا، وبعضهم أفضل فى معركة متحركة سريعة، وبعضهم ذوو مزاج أنسب للقتال فى ميدان محدود، ولذلك تختلف جميع الفرق، والأمر نفسه ينطبق على القادة، فجميعهم مختلفون، بعضهم مهيأ للقتال المتحرك، وبعضهم مهيأ للقتال الثابت، والقادة هم أيضا يجب أن يتم اختيارهم حسب المهمة التى يكلفون بتأديتها.

والنقطة التالية على الصعيد البشرى أيضاً هى اختيار القادة، وكنت أقوم شخصياً بتسمية الضباط الذين سيتولون قيادة من القيادات، بما فيهم قواد الفوج أو الفليق،

والمعيار الوحيد الذى اعتمدته، كان الجدارة وموهبة القيادة والقدرة على الاضطلاع بالواجب وحرصت على أن أعرف جميع القواد وعلى أن يكون مستواهم عاليا.

إن من أهم مزايا القائد العام قدرته - دون ريب - على إشعاع الثقة التى له فى الخطة وفى العمليات حتى عندما لا يكون هو فى ذات نفسه متأكداً كل التأكد من النتيجة فعلى القائد الأعلى أو قائد الجيش إذن أن يكون خبيراً بالرجال وأن يكون قادراً على وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب وفى الوقت المناسب. ولكى تطبق هذه الفلسفة إزاء الذين يعملون تحت إمرتك، عليك أن تراقب معنوياتك أنت مراقبة دقيقة، فكل معركة هى فى الواقع صراع بين إرادتين: إرادتك، وإرادة القائد الخصم، فإذا أخذ الهلع يستولى على قلبك عندما تكون النتيجة غير أكيدة فمن المحتمل أن يربح المعركة خصمك.

وإنها لضرورة مطلقة أن يتجنب القائد الغرق فى التفاصيل، وفى إبان المعركة على القائد الأعلى أن يفكر باستمرار فى الطريقة التى يستطيع أن يهزم بها العدو فإذا غرق فى التفاصيل تعذر عليه ذلك، إذ يغيب عن ناظره ما هو جوهرى، ويرى نفسه مسوقاً إلى اتخاذ قرارات لن يكون لها إلا تأثير ضئيل على المعركة، إن التفاصيل هى من شأن أركان الحرب، وما من قائد أعلى يهتم يوميا بالتفاصيل ولا يجد الوقت للتفكير فى جو من الهدوء، يستطيع أن يضع خطة سليمة لمعركة من المعارك على مستوى عال، أو إدارة العمليات بفعالية على نطاق واسع.

أما لجهة العمليات فعلى القائد الأعلى أن يضع خطة أساسية للحملة التى يواجهها، وعليه دائما أن يحتاط لكل معركة، وعليه أن يحاول قراءة فكر خصمه، ويشعر سلفا بردود فعل العدو على حركاته هو، ويتخذ التدابير السريعة لتفادى حدوث تدخل من جانب العدو فى خططه، ويجب أن يكون فكره واضحا، وأن يكون قادراً على تمييز ما هو أساسى من بين مجموعة العوامل التى تغشى كل مشكلة.

وخطة العمليات يجب أن يضعها دائما القائد الأعلى، ولا يجوز أن يفرضها عليه أركان الحرب أو تفرضها عليه الظروف أو يفرضها العدو، وعليه أن يوفق بين ما هو مرغوب فيه استراتيجيا وبين ما هو ممكن تكتيكيا بالقوى المتوفرة لديه، فإذا هو لم يفعل ذلك فالأمل ضعيف فى أن يربح، وعليه أن يميز بين ما هو ممكن مع شىء من الحظ وما هو مستحيل، فهاهنا تكمن دائما المشكلة، وفى المعركة يجب أن تكون قيادة العمليات مباشرة وشخصية عن طريق قيام القائد الأعلى بزيارات لمختلف المقرات العامة حيث يعطى الأوامر شفهيا.

والقيادة يجب أن تكون مباشرة وشخصية، وفى سبيل هذه الغاية ليس أثمن من جهاز مؤلف من ضباط اتصال أثناء المعركة.

ومن المهم إدراك أن المعارك إنما تربح قبل كل شىء فى قلوب الرجال، فإذا فهم القائد العسكرى ذلك وتصرف وفقا له فسيكسب دون عناء ثقة رجاله.

وخلاصة القول أننى لا أعتقد أن بإمكان قائد أعلى اليوم أن يلهم جيوشا كبيرة أو وحدات بسيطة أو حتى الجنود، وأن يجعلهم يحققون انتصارات عظمى إذا لم يكن يتحلى بالإيمان، إن عليه أن ينفخ إيمانه فى قواته ويقودها بهذه الروح.

وعليه أن يتأكد باستمرار من أن الهدف الذى تسعى إليه هذه القوات، وقد عرض لها بوضوح، هو بالفعل الهدف الصالح، فإذا هو لم يفعل ذلك لا يمكنه الأمل بنجاح مستديم.

إن هذا ليس إلا شرحا موجزاً لموضوع كبير للغاية.

* * * *

الفصل السابع
الجيش الثامن

هبطت فى مطار قريب من القاهرة فى صباح يوم ١٢ أغسطس، فاستقبلت هناك، ثم توجهت إلى فندق ميناهاوس قرب الهرم الأكبر، حيث كان ينزل الجنرال «أوكنلك»، وبعد أن استحممت وتناولت الفطور، توجهت إلى المقر العام لقيادة الشرق الأوسط فى القاهرة، وقد وصلت إليه بعد الساعة العاشرة بقليل وما لبثت أن أدخلت إلى مكتب «أوكنلك»، وأدخلنى «أوكنلك» إلى غرفة الخرائط التابعة لمكتبه وأقفل الباب، وكنا وحيدين، فسألنى هل أنا أعلم بأنه راحل، فأجبته بالإيجاب، ثم عرض لى خطته فى العمليات، تستند على غاية واحدة هى أن الجيش الثامن يجب أن نحافظ عليه بأى ثمن، فلا يجوز أن يعرض للتدمير فى المعركة، فإذا هاجم «رومل» بقوة - كما كان يتوقع أن يحدث قريبا- فعلى الجيش الثامن أن يتراجع إلى الدلتا، وإذا لم يكن ممكنا الاحتفاظ بالدلتا والقاهرة فعلى الجيش الثامن أن يتراجع باتجاه الجنوب نحو النيل، أو يتراجع - كامكانية أخرى- إلى فلسطين، وقد أعدت الخطط الأحتياطية لنقل المقر العام لقيادة الجيش الثامن إلى النيل، وقد استمعت بدهشة إلى هذه الخطط، وطرحت على الجنرال «أوكنلك» سؤالا أو سؤالين، ولكن سرعان ما شعرت أنه إنما يجد فى كل سؤال تعديلا مباشراً للخطة التى أختارها، ولذلك عدت فلزمت الصمت، فقال لى عندئذ: إن علىّ أن أذهب فى اليوم التالى إلى الصحراء، وأقضى يومين فى المقر العام لقيادة الجيش الثامن كى آخذ فكرة عن الموقف، وأضاف إنه ما يزال قائداً للجيش الثامن، وقد كلف «رامسدن» بأن ينوب عنه، وأن على ألا أتسلم القيادة قبل ١٥ أغسطس، وهو التاريخ الذى سيسلم فيه هو قيادته إلى «الكسندر»، وأضاف: أنه فى حال قيام العدو

بهجـوم أو حدوث أزمة مـا فسيـتوجه فـوراً إلى المقر العـام لقيادة الجـيش الثامن، ويستعيـد القيادة من أيدى «رامسدن»، وقد ظهر لى كل ذلك غريبـا، فما لبثت أن انسحبت بأسرع ما استطعت وبكل تهذيب.

وذهبت أبحث عن الكسندر، فوجدته فى المقر العام هادئاً واثقا، وعرضت عليه خطتى على الفور، وكانت تتلخص فى أن ننشئ أولا قوة احتياطية للجيش الثامن، مدرعة إلى حد بعيد، شبيهة بقوة «روميل» المدرعة، فأعلن موافقته على ذلك ولكنه لم يكن قد أصبح بعد هو القائد الأعـلى، وكان واضحا أنه لا فائدة من بحث هذا الموضوع مع «أوكنلك» أو رئيس أركان حـربه اللذين سيترك كلاهما منصـبه قريبا، فرحت لذلك أرى نائب رئيس الأركان الماجـور جنرال «السرجوت هاردنج»، وكان يجهل ماذا نفعل، (الكسندر وأنا)، فى القـاهرة فأخبرته بذلك، ثم عرضت له كل خطتى وسـألته إذا كان يسـتطيع تشكيل القـوة التى أرغب فى إنشائهـا من الأجزاء والقطع المبعثرة فى مصر، وكـان ينتظر وصول ٣٠٠ دبابة «تشيرمن» من أمريكا إلى السويس فى ٣ سبتمبر، وهذه الدبابات يمكن أن تجهز الفرق المدرعة، فأجابنى بأنه سيـهتم بالأمر، واتفقنا على أن أعـود لآخذ جوابه فى السـاعة السادسة من مـساء اليوم نفسه، مضيفا أننى سأطلب من «السكندر» أن يرافقنى.

وفى الساعة الـسادسة مساء عـدنا، «الكسندر» وأنا إلى مقر القيـادة العليا لرؤية «هاردنج»، فقال لنا: أنه يـستطيع أن يشكل الجحفل الذى نريده، وسـيكون الجحفل العاشر ويتألف من:

* الفرقة المدرعة الأولى.
* الفرقة المدرعة الثامنة.
* الفرقة المدرعة العاشرة.

وكل واحدة من هذه الفرق تشتمل على لواء مصفح واحد، ولواء مشاة واحد، وقوات تابعة للفرق.

* فرقة نيوزيلندية مؤلفة من لوائى مشاة ولواء مصفح واحد.

ووجدنا هذا رائعا بالفعل، فطلبنا من «هاردنج» أن يمضى قدما فى تحقيقه.

وفى الساعة الخامسة من صباح ١٣ أغسطس غادرت بالسيارة سفارة بريطانيا العظمى متوجها إلى الصحراء.

واستقبلنى الجنرال «رامسدن» المتسلم عمليا قيادة الجيش الثامن، وقد عرض لى الموقف وطرحت عليه أسئلة عن خطط تراجع الجيش فى حال قيام «رومل» بهجوم، وكانت بعض أوامر التراجع قد أعطيت فعلا ولكنها كانت غير واضحه، وبذلت قصارى جهدى لأحمله على أن يقول لى بالضبط ماذا تم فعله؟، فقد كان يسود كل ذلك جو من الغموض.

ولم يكن المقر العام للجيش على صلات وثيقة مع المقر العام لسلاح الجو الصحراوى، وظهر لى بوضوح أن الوضع كان غير منطقى على الإطلاق، بل هو فى الواقع وضع خطر، فقررت العمل على الفور، وكنت تلقيت الأمر بألا اتسلم قيادة الجيش الثامن قبل ١٥ أغسطس، وكنا لا نزال فى ١٣ منه، وكنت أعلم أنه لا فائدة من استشارة مقر القيادة العليا، وإن علىَّ أن آخذ المسئولية كاملة، فطلبت من الجنرال «رامسدن» أن يعود فورا إلى جحفله، فظهرت عليه الدهشة، إذ كان قد عهد إليه بالقيادة العملية للجيش، ولكنه نفذ طلبى، وبعد الغداء، أرسلت ببرقية إلى مقر القيادة العليا أقول فيها: إننى تسلمت قيادة الجيش الثامن اليوم الثالث عشر من أغسطس، ابتداء من الساعة ١٤، وكان فى ذلك تجاوز من جانبى وعدم طاعة للأوامر، ولكنه لم يكن هناك مجال للعودة إلى الوراء، وألغيت على الفور كل الأوامر السابقة المعطاة فيما يتعلق بالتراجع، وأوضحت أنه لن يكون هناك تراجع فى

حال قيـام العدو بهجوم، وإنما سنقـاتل على الأرض التى تحت أيدينا ونفضل الموت فى أماكننا.

وفى تمام السـاعـة ١٨,٣٠ اجتـمـعت مع أركان الحـرب، وأوضـحت لهم أن الأوامر التى تلقـيتها من «الكسندر» بسـيطة جدا، إنها تتلخص فى تدمـير «روميل» وجيـشه، وأعلنت تعيين «دى غـوينغواند» فى منصب رئيس أركان حـرب الجيش الثامن، وقلت إن كل أمـر صادر عنه يجب أن يعـتبر صادرا عـنى ويجب أن ينفذ على الفور.

وسرعان ما ثبت لى بعد أن تحدثت مع «دى غوينغواند» أن جميع الدلائل تحمل على توقع قيام «روميل» بهجـوم قريب، فهو سيحاول محاولة أخـيرة الاستيلاء على القاهرة والأسكندرية، وتأمين الدلتا لنفسه، وفى هذه الحال قد يوجه جهده الرئيسى إلى الجناح الجنوبى، منعطفـا بعد ذلك إلى اليمـين ليلتف وراء الجيش الشـامن ليبلغ القاهرة فـعليه قـبل كل شىء تدمـيـر هذا الجيش، وهكذا تبـدت لى بكل وضوح ملامح خطتى فـالجناح الشمالى يجب أن يعزز على جـبهة الجحـفل الثلاثين، وأن يحصن تحصينا كبيرا بواسطة حقـول الألغام والأسلاك الشائكة بحيث يمكن حمايته بأقل عـدد ممكن من القوات، ولم أكن بـحاجـة بعد لزيارة هذه الجـبهـة فى هذا الحين، أما الجناح الجنوبى فيجب أن يدرس بعناية، وإليه يجب أن أتوجه دون تأخير، وكان يلزمنى كذلك قـائد جديد للجحفل الثالث عـشر على هذا الجناح، فلم يكن أحد قد عُين بعد خلفا لغوت.

وأمضـيت النهار فى تفـتيش الأرض على الجناح الجنوبى وفى ربط الجـحفلين، وتبينت على الفور أهمية نقطتين مشرفتين هما: مرتفعات الرويسات ومرتفعات علم حلفا، وكـانت كلتاهما هامـة، ولكن مفتـاح كل موقع (العلمـين) هو علم حلفا، وهى مـرتفعـات تقع على بعـد عـدة أميـال وراء خط العلمـين وجنوب شـرقى الرويسات، ولم يكن فيها دفاع، إذ لم تكن هناك قوات متوفرة لهذا المطلب.

وفكرت طويلاً فيما سمعتــه عن معارك المدرعات فى الصحراء، وبدا لى أن ما يحبه رومل هو أن يدعنا نهــاجمه بدباباتنا، فيستعـمل عندئذ دباباته خلف ستار من المدفعية المضادة للدبابات، فيخضع دباباتنا ويبـقى أخيرا هو سيد الساحة، وحرصت على أن يحدث الأمر على خلاف ذلك إذا ما قرر «رومل» مهاجمتنا قبل أن نصبح مسـتعدين لشن هجـوم واسع النطاق ضده، فلن أسمح لدباباتـنا باللحاق به، وإنما سنبقى ثابتين فى موقع العلمين، وسنحـافظ على مرتفعات الرويسات وعلم حلفا، وندع «رومل» يستميت ضـدهما، وسنخوض معركة ثابتة فـلا تتحرك قواتى أبدا، وعندئذ ستتقدم دباباتنا نصف المدفونة فى التخم الغربى لعلم حلفا.

إن كل الخطوط العامة لخططى الفورية من أجل تعزيز موقع العلمين قد أصبحت واضحة فى ذهنى، فلقد كنت مصممــا على أن أجعل هذا الموقع على جانب كبير من القوة كى نستطيع أن نبـدأ استعداداتنا لشن هجومنا الكبـير دون أن ننشغل بأى هجوم يـقرره «رومل»، وكانت كـل المعلومات تحـمل على الاعتـقاد بأنه سـيشن الهـجوم فى أواخـر الشـهر إذ يكـون القمـر بدرا، وكنت أريد أن أبدأ قــبل ذلك استعداداتى لمعركة العلمين والمضى فى الاستعدادات مهما فعل «رومل».

وبحثت الموضوع مع «دى غوينغواند»، وكررنا مطالبة مقر القيادة العليا بأن يرسل فورا الفرقة الرابعة والأربعين إلى الجيش الثامن وبأن تتمركز بطريقة تتمكن معها من الدفاع عن مـرتفعات علم حلفــا، فلن يبقى لدى أى قلق مـتى حافظت على هذه المرتفعات فرقة كاملة محصنة خير تحصين وتدعمها دبابات ثابته دعما ملائما.

وطلبت أن ترسل إلىَّ بعد ذلك فرقة أخرى هى الفـرقة الحادية والخمسين ، وقد بدأت هذه الفرقة تصل إلى السويس، وكان على أن أدع للجـحفل الثالث عشر أمر الاهتمــام بتفاصــيل الخطة التكتيكية على الجناح الجنـوبى، ولكن فى ذلك الحين لم يكن لهذا الجحفل قائد، فقررت أن أطلب إلى «الكسندر» أن يستقدم على الفور من إنجلترا وبالطائرة الجنرال «هورروكس» ويسلمه قيادة الجحفل الثالث عشر.

وقد قـام رئيس الوزراء بزيارة الجيش الثـامن فى ١٩ أغسطس لـدى عودته من موسكو، فأريته الجبهة وشرحت له خططى لإحباط هجوم «روميل» المنتظر، وأفكارى فيما يتعلق بهجومنا نحن، وقـضى الليل معى فى مقرنا الجديد على الشاطىء قرب برج العرب، واستحم فى المتوسط قبل تناول العشاء.

وعندما أصبـح فى اليوم التالى على وشك الرحيل، رجـوته أن يسطر لى كلمة فى سجلى الخاص، فخط فيه الأسطر التالية ذات الطابع الشخصى:

«عسى أن تحمل ذكرى بلنهايم التى تصادف مع البدء بمباشرة القيادة الجديدة إلى قائد الجيش الثامن وقواته، المجد والحظ اللذين يستحقونهما بكل تأكيد».

٢٠ أغسطس ١٩٤٢ — **ونستون . س . تشرشل**

* * * *

الفصل الثامن
معركة علم حلفا
٣١ أغسطس - ٦ سبتمبر ١٩٤٢

لم أكن استطيع أن أباشر الهجوم، بل كان يجب أن يتيح لى «رومل» فرصة ذلك، لكن كان لابد للحصول على كل الفائدة من أن أتنبأ على وجه الضبط بخطة هجومه. وأحدد مسبقا كيف أتمكن من دحره، ولم يكن هذا بالمطلب غير العسير.

وكان جهاز الاستخبارات لدى مقتنعا بأن اختراق مواقعنا سيحدث فى الجناح الجنوبى، يتبعه إنعطاف نحو اليسار على أن تتجه مدرعات رومل نحو مرتفعات علم حلفا والرويسات، وكان هذا هو أيضا رأيى، وقد استندت خططى إلى هذه الرؤية. وقررت أن تحتل الفرقة الرابعة والأربعون بقوة مرتفع علم حلفا، وأن أضع دباباتى بالضبط جنوبى طرفه الغربى، وإذا ثبت لى إن هجوم العدو الرئيسى سيتجه نحو المرتفع فقد وضعت مشروعا لتحرك مدرعات المنطقة الواقعة بين غربى المرتقع والمواقع النيوزيلندية من خط العلمين الرئيسى، وبلغ يقينى بأننى سأضطر إلى حمل دباباتى على القيام بهذه الحركة، حداً جعلنى آمر بإجراء تجربة عليه، وعندما جرت هذه التجربة بالفعل صبيحة اليوم الأول من سبتمبر كان لدى نحو ٤٠٠ دبابة نصف مدفونة فى التراب ومنتشرة وراء ستار من المدافع المضادة للدبابات من عيار ٦ ليبرا.

وأعطيت الأوامر الصارمة بأن لا تندفع الدبابات ضد قوات «روميل»، بل عليها أن لا تغادر مكانها، وأن يتحطم العدو ضدها ويتحمل خسائر فادحة.

وكان واضحا أن «رومل» لن يتجاهل بسهولة وجود قواتى فيتجه نحو القاهرة مندفعا فى خط مستقيم نحو الشرق، إذ لو فعل ذلك لانقضت ٤٠٠ دبابة على مؤخراته وقضت على جيشه.

إذن فقد قررت أن يبقى جناحى الجنوبى الأقصى متحركا، وأن تتولى الفرقة المدرعة السابعة جبهة واسعة وتتراجع إذا حصل الهجوم ، فإذا قام جيش رومل بانعطاف نحو اليسار و(علم حلفا)، فعلى الفرقة المدرعة السابعة أن تضايقه من الشرق ومن الجنوب.

وخضنا المعركة حسب الخطة الموضوعة، فعندما اصطدمت قوات «رومل» بمواقعنا القوية لم تتمكن من التحرك، وفتحنا عليها النار من جميع الجهات وقذفها سلاح الطيران الصحراوى بالقنابل، وكانت النتائج مشهودة، فبعد بضعة أيام اضطر العدو أمام خسائره الجسيمة فى الدبابات والسيارات غير المصفحة إلى الانسحاب.

ولقد كان من أهم العوامل التى ساعدت على إجبار العدو على الانسحاب نشاط سلاح الطيران الصحراوى بإمرة مارشال الجو «كاننجهام»، وقد عمل الجيش وسلاح الطيران وفق خطة واحدة مترابطين أوثق الترابط.

وكان هناك عامل ذو أهمية كبرى على الصعيد الجوى، هو القرار الذى اتخذه مارشال الجو «تيدر» بإرسال قاذفاته من طراز «ولنجتون» تقصف (طبرق) وراء هجوم «رومل» بحيث تبخر أمل القائد الألمانى بالتموين السريع، وكان هذا هو الحافز الذى جعل «رومل» يقرر التخلى عن الهجوم، فلقد حاقت به الهزيمة، ونقص البترول كان يعنى بالنسبة إليه استحالة النهوض، فقد كان «تيدر» يحول بينه وبين ذلك.

ولقد حدث هجوم «رومل» فى ليل ٣١ أغسطس، وعندما علمت أن قوات رومل آخذة الوجهة المرتقبة، أصدرت أمرى بالقيام باندفاعة جنوبى قطاع الفرقة النيوزيلندية لإغلاق الثغرة التى دخل منها العدو إلى مواقعنا، وكان رد فعل العدو فوريا وعنيفا، إذ تراجع بسرعة نحو منطقة حقول ألغامنا التى منها جاء، فتركناه هناك وأوقفت إندفاعاتنا وكان يناسبنى على كل حال أن تتجمع قوى جيشه على الجناح الجنوبى، إذ كنت أنوى أن أوجه ضربتى الرئيسية فيما بعد على القسم الشمالى من الجبهة.

وهكذا انتهت معركة علم حلفا على النحو الذى أردته، وكان عمل الجحفل الثالث عشر على الجناح الجنوبى مطابقا لما كنت أرغب فيه، فقد عمل هورروكس وفق الخطة الأساسية كليا.

وأخيرا فإن المعركة أعطت ما كنت أتوقع منها، فالجيش الثامن، بالإضافة إلى أنه استعاد معنوياته، قد أثبت كفاءاته تحت إمرة قائده الجديد، فلقد أحرزنا النصر قوادا وأركان حرب وقوات بالتعاون مع سلاح الطيران.

وأستأنفنا استعداداتنا لمعركة العلمين، ولكن بعض المسائل كانت تتطلب قرارا فوريا قبل الانتقال إلى التنفيذ.

وقررت أنه، لتشكيل الجيش الثامن فى سبيل الغاية الموكولة إليه، يجب أن أركز اهتمامى على ثلاث نقاط أساسية هى: القيادة، والتجهيز، والتدريب، وكان فى كل من هذه النقاط نقص.

وكنت بحاجة إلى ثلاثة قواد جحافل من الطراز الأول، وكان «هورروكس» واحداً منهم للجحفل الثالث عشر، وقد أثبت جدارته فى معركة علم حلفا، وقدرت أنه من الضرورى إبدال لامسدن على رأس الجحفل الثلاثين، فطلبت الماجور جنرال السر «أوليفرليز»، الذى كان يقود فى إنجلترا فرقة الحرس المدرعة ، فجاء بالطائرة دون تأخير، وبعد مشاورات طويلة مع «الكسندر»، وافقت على تسليم قيادة الجحفل العاشر إلى «لامسدن»، وكان قائدا للفرقة المدرعة الأولى فى الصحراء، وقررت كذلك أنه من الضرورى تعيين قائد جديد للفرقة المدرعة السابعة، فطلبت «هاردنج» من مقر القيادة العليا فى القاهرة.

وإذا نجحنا فى أن نفتح فى خطوط «رومل» الدفاعية ثغرة نتدفق من خلالها، فسيكون للمدفعية دور هام بشكل خاص، وخلصت إلى أنه يجب أن يكون لى ضابط مدفعية جديد فى مقرى العام، وطلبت أن يستدعى من إنجلترا البريغادير «كيركمان»، الذى كنت أعتبره أفضل ضابط مدفعية فى الجيش البريطانى.

وكنت أحتاج أيضاً إلى رئيس للكهنة الواعظين من الدرجة الأولى، وبعد تحريات واسعة وجدت الرجل الذى أبحث عنه فى شخص «هيوز» الذى كان رئيس واعظين فى إحدى الفرق، وقد ظل «هيوز» معى حتى نهاية الحرب، ثم أصبح الكاهن العام للجيش، وكان على رأس جهازى الإدارى البريغادير «روبرتسون»، وكان ضابطا من أقدر الضبـاط، ولم تراودنى يوما أية مخـاوف فيما يتـعلق بالمصلحة التى يديرها ، وكان تحت إمرته مسـاعد فعال جدا فى شخص الليوتنان كـولونيل «مايلزجراهام»، وعندمـا غـادرنا «روبرتسـون» على إثر ترقـيتـه حل مـحله «جـراهام» على رأس المصلحة، وبقى معى حتى نهاية الحرب.

ويجب أن أذكر أيضاً «بلتشم»، وكان مكلفـا بشئون أركان الحرب والتنظيم عندما وصلت إلى الصحراء، وكان ضابطا لامعـا، وبعد أن تركنى فترة من الزمن ليصبح أولا ماجور (لواء) ثم قائدا لفيلق مدرع، عاد إلى مقر قيادتى العليا وبقى معى حتى نهاية الحرب كرئيس لأركان حرب العمليات.

وأخيـرا ألقيت نظرة على تنظيم مصلحـة الاستخبـارات فى مقر قيـادتى العليا، فاكتشفت فيه ماجـورا من حرس التنين الملكى، يدعى «وليامز»، ولـم يكن «وليامز» على رأس مصلحة الاستخبـارات عندى، ولكنى عزمت على أن يصبح رئيسا لهذه المصلحة قريبا، وقد أمضى بقية الحرب كلها معى.

وبعد أن حللت مشكلة القيادة، وأجريت التغييرات الضرورية، ارتاحت نفسى إذ وجدت بين يدى هيـئة تستطيع دون صـعوبة القيـام بالمهمة التى تـنتظرها، وقد بقى كثيـرون من أعضاء هذه الهيـئة فى أركان حربى حتى نـهاية الحرب، وأبرزهـم «دى غوينغواند»، و«جراهام»، و«هيوز»، و«بلتشم»، و«وليامز».

لقد لحـق بى الضبـاط الخمسـة المذكورون آنفـا إلى مجـموعـة الجيـوش الحادية والعشرين عندما تركت الجيش الثامن، فمـا كان يمكن أن يتاح الوقت لتشكيل هيئة جديدة قبل النزول فى نورماندى.

* * * *

الفصل التاسع
معركة العلمين
٢٣ أكتوبر - ٤ نوفمبر ١٩٤٢

لقد وقعت معركة علم حلفا إبان إستعداداتنا لشن هجومنا، فأخرتنا بعض الشيء، وكانت المشكلة الأساسية التى واجهتنا بعد معركة (علم حلفا) صعبة الحل، فقد وجدنا أنفسنا وجها لوجه مع قوات «رومل» بين البحر ومنخفض القطارة على مسافة ٤٥ ميلا، وحصن العدو خطوطه الدفاعية إلى درجة لم يعرف لها مثيل حتى ذلك التاريخ فى الصحراء، وشمل هذا التحصين حقول ألغام عميقة وواسعة حتى لم يبق هناك جناح مكشوف.

وكانت المشكلة ما يلى:

١ - وجوب فتح ثغرة فى مواقع العدو.

٢ - استخدام هذه الثغرة لعبور الجحفل العاشر المدرع والمؤلف من قوات متحركة إلى أراضى العدو.

٣ - القيام بعد ذلك بعمليات من شأنها تدمير قوات «رومل».

وكانت هذه عملية ضخمة، فكيف السبيل إلى تحقيق أثر المفاجأة؟

لقد كاد يكون مستحيلا أن نخفى عن العدو أننا ننوى شن هجوم، فقررت وضع خطة للمفاجأة التكتيكية بأن نخفى عن العدو الأماكن الحقيقية المضبوطة التى سنوجه إليها الضربة وتاريخ توجيهها، وكان هذا يقتضى خطة هامة تستهدف خداع العدو. وكان يلزمنا وقت لكى نستطيع أن ننتصر، وكنا ننتظر كمية من العتاد، وكان على الجيش أن يتدرب على استعمالها ويتمرن على المهمات التى يجب أن يؤديها،

ولدى وصولى وعدت الجيش الثامن بألا نشن هجومنا قبل استكمال الاستعداد، ولم يكن ذلك ممكنا قبل أكتوبر الذى يصادف البدر ٢٤ منه، وقررت أن أشن الهجوم فى ليل ٢٣ أكتوبر، وأبلغت بذلك «الكسندر»، وكان جواب «هوايتهول» سريعا، تلقى «الكسندر» رأيا من رئيس الوزراء يقول بوجوب حدوث الهجوم فى سبتمبر بحيث يتوافق مع بعض الهجمات الروسية، ومع عمليات الإنزال الحليفة التى كان يجب أن تحدث فى مطلع نوفمبر فى الطرف الغربى من ساحل شمال أفريقيا «عملية المشعل»، وجاء «الكسندر» لنتفق على الجواب الذى يجب أن يرسل، فقلت له: أن استعداداتنا لا يمكن أن تنتهى فى الوقت المناسب لشن هجوم فى سبتمبر، وأن القيام بهجوم فى هذا التاريخ سيصاب بالفشل، وقد أيدنى «الكسندر» فى ذلك، وأرسل الجواب بالمعنى الذى تمنيت أن يصاغ فيه، وكانت أسهمى مرتفعة بعد معركة علم حلفا، فلم نعد نسمع بعد ذلك أبدا من يتحدث عن هجوم فى أيلول.

ولقد علمت بأنه قيل إن خطط معركة العلمين وخطط سير الحرب فى إفريقيا بعد هذه المعركة قد وضعها «الكسندر» فى مقر القيادة العليا للشرق الأوسط، وأننى لم أفعل شيئا سوى تنفيذ هذه الخطط، وهذا غير صحيح، فجميع خطط العلمين والخطط التى وضعت فيما بعد، إنما وضعت فى مقر قيادة الجيش الثامن، ولقد كنت دائما حريصا أن يكون «الكسندر» على اطلاع كامل، ولكن لم يناقش خططى فى تفاصيلها، فضلا عن أنه لم يقترح خططا شخصية، فلقد كانت له بى وبأركان حربى أيضا ثقة مطلقة، فما يكاد يعرف ماذا نريد حتى يساعدنا مساعدة رائعة ولم يرفض لنا يوما من الأيام شيئا، ولولا هذا الدعم الكريم الذى لم ينقطع فى أى وقت لما تمكنا بالتأكيد من تأدية مهمتنا، لقد كان «الكسندر» القائد الأعلى المثالى، وقد وضع فى شخصى ثقته الكاملة.

وفى الساعة ٢١,٤٠ من مساء يوم ٢٣ أكتوبر، بدأ نحو ألف مدفع إطلاق النيران فى رماية سديدة، وانتقل الجيش الثامن، الذى كان لديه نحو ١٢٠٠ دبابة،

إلى الهجوم شن الهجوم فى ٢٣ أكتوبر طبقا للخطة الموضوعة، وكانت المنطقة كلها حقل ألغام ضخم، والممران فى الشمال لم تكمل الفرق المدرعة التابعة للجحفل العاشر فتحهما فى الساعة الثامنة من صباح ٢٤ أكتوبر، وكنت معتمدا على أن تعمد الفرق المدرعة وفقا لأوامرى إلى شق طريقها بمقاتلة العدو، ولكنها أبدت بعض التلكؤ فى فعل ذلك، وشعرت قبل الظهر أنها بقيت جامدة، فاستدعيت «لامسدن» وأعطيته الأمر بأن يحث قواد فرقه مضيفا أنهم إذا استمروا فى التردد فسأنحيهم عن قياداتهم وأعين مكانهم قادة أكثر حيوية، وأسفر هذا التدخل من جانبى عن نتائج سريعة لدى أحد الفرق المدرعة، ففى حوالى الساعة ١٨، وجد اللواء المدرع التابع للفرقة الأولى نفسه وقد خرج من الممر فى أرض مكشوفة، فهاجمته فرقة البانزر الخامسة عشرة، وهذا ما كنت أريده بالضبط، وفى الجنوب بدأت الفرقة النيوزيلندية تحركها باتجاه الجنوب الغربى وشرعت فى عملية الفصل والتجزئة، وفى الجنوب أيضاً لعب الجحفل الثالث عشر دوره وفقا للخطة.

وفى الساعة ٢,٣٠ من يوم ٢٥ أكتوبر، أبلغ الجحفل العاشر أن إندفاعة الفرقة المدرعة العاشرة فى الممر الجنوبى من قطاع الجحفل الثلاثين لا تتقدم تقدما حسنا، إذ أن حقول الألغام وصعوبات أخرى تعرقل هذا التقدم، وقال قائد الفرقة إنه لم يكن مرتاحا للخطة، وإنه حتى لو خرج من الممر فسيجد نفسه فى مركز غير مناسب على حصون مرتفعات ميطرية، وكانت فرقته سيئة التدريب وقليلة الخبرة فى عمليات بمثل هذه الصعوبة، وكان يرغب فى أن يبقى حيث هو، وكان «لامسدن» ميالا إلى الموافقة على ذلك، وفى الممر الشمالى كانت الفرقة المدرعة الأولى فى أرض مكشوفة ودبابات العدو تهاجمها بضراوة.

وقرر «دى غوينغواند» أنه من الضرورى أن أرى قائدى الجحفلين المذكورين وأن أتسلم بيدى زمام الموقف، فاستدعاهما إلى مقر قيادتى فى الساعة ٣,٣٠ صباحا، ووصل «ليزولامسدن» فى الوقت المعين وطلبت منهما أن يعرضا لى الموقف.

وعلمت أن أحد الفيالق المدرعة التابعة للفرقة العاشرة قد خرج من الممر، وأن من المنتظر أن تحذو فيالق غيره حذوه عند الفجر، وكان قائد الفرقة يرغب فى إعادتها جميعا إلى وراء الألغام متخليا بذلك عن الفوائد التى أحرزها، والسبب الذى قدمه لذلك هو أن وضعه فى أرض مكشوفة سيعرض فرقته إلى خسائر جسيمة، وكان «لامسدن» من رأيه، وطلب منى أن أتحدث شخصيا بالهاتف مع قائد الفرقة، ففعلت ذلك على الفور، وصعقت حين اكتشفت أنه موجود على بعد ١٦ كيلو مترا خلف ألويته المدرعة الأمامية، فأمرته بأن يتوجه على الفور إلى الأمام وأن يهتم بمعركته، وأن يشق الطريق لمقاتلة العدو، وأن يقود فرقته على الجبهة لا فى المؤخرة.

وأكدت لقائدى الجحفلين أن أوامرى لم تتغير، وأبقيت «لامسدن» بعد أن ذهب الآخرون وخاطبته بوضوح، قائلا إننى مصمم على وجوب خروج الفرق المدرعة من حقول الألغام لتتمكن من المناورة، وأن كل تردد وكل فقدان لرباطة الجأش يمكن أن يكون الآن مميتا، وإذا كان هو نفسه أو قائد الفرقة المدرعة العاشرة لا يشعران أنهما قادران، فسأعين غيرهما فى مكانهما.

وحوالى الساعة الثامنة صباحا، كانت جميع الدبابات فى أرض حرة، ووجدنا أنفسنا فى الوضع الذى رجوت بلوغه فى نفس الساعة من الليلة السابقة.

وعند الظهر جمعت قواد الجحافل فى مقر قيادة الفرقة النيوزيلندية، وأصبح واضحا أن تحرك الفرقة النيوزيلندية نحو الجنوب الغربى سيكون عملية باهظة الثمن، فقررت التخلى عنها فورا، وأعطيت بدلا منها أمرا بمباشرة عمليات فصل وتجزئة لقوات العدو فى قطاع الفرقة التاسعة الأسترالية باتجاه الشمال نحو الشاطىء، وخط الإندفاعة الجديد هذا، أعنى محور العمليات الجديدة، كان يقتضى تغييرا فى الاتجاه يبلغ ١٨٠ درجة، مما سيأخذ العدو، فيما أرجو، على حين غرة.

جرت خلال الأيام الثلاثة السابقة معارك شديدة، وأخذت أشعر استنادا إلى الخسائر أن عليَّ أن أكون حذراً، وكنت أعلم أن الضربة النهائية يجب أن توجه على جبهة الجحفل الثلاثين، ولكننى لم أكن أرى - فى ذلك الوقت - أين على وجه الضبط، ومع ذلك فعلى أن أستعد لها، ولذا قررت أن أعيد جناحى الجنوبى، (الجحفل الثالث عشر)، إلى الدفاع باستثناء بعض أعمال الدوريات، وأن أوسع جبهات الفرق وأحتفظ كاحتياطى بالفرق التى سأحتاج إليها للضربة النهائية، وكنت قد وضعت فى الاحتياطى الفرقة النيوزيلندية.

وقد أصبح الآن كل جيش «رومل» (البانزر) فى مقابلة الممر الشمالى، وكنت أعرف أننا لن نستطيع أبدا أن نقوم باندفاعتنا من هناك، فجعلت من هذا القطاع لذلك جبهة دفاعية، ووضعت الفرقة المدرعة الأولى فى الاحتياطى، وقررت أيضا ألا أستخدم فى الوقت الحاضر إلا الجحفل الثلاثين لخوض المعركة فى الشمال، ووضعت فى الاحتياطى المقر العام لقيادة الجحفل العاشر لكى يكون مستعدا للقيام بالاندفاعة.

وأعطيت الأوامر بتقوية العمليات التى تقوم بها الفرقة التاسعة الاسترالية باتجاه الشاطىء، ذلك أننى كنت أنوى آنئذ القيام بعملية القطع النهائية فى خط الطرق الساحلية.

لقد أصبح واضحا أكثر فأكثر قبل ظهر يوم ٢٩ أكتوبر أن جملة قوات «رومل» متجمعة فى القسم الشمالى من الجبهة، فنشاط الفرقة المدرعة باتجاه الشاطىء جعلته يظن أننا ننوى القيام باندفاعة فى الشمال على طول الساحل، مما كان بالفعل خطتى فى ذلك الحين.

ولكننا نفذنا الآن ما أوصى به «بيل وليامز»، فقد اندفع الألمان ضد جناحنا الأيمن، ولم يعودوا يضغطون بالمشد على الإيطاليين، إذ كان الألمان فى الشمال

والإيطاليـون فى الجنوب، والخط الذى يفـصل بينهم يمـر مـبـاشرة شـمـالى ممرنا الشمـالى، فسارعت إلى تعديل خطتى وقـررت أن أوجه الضربة النهـائية إلى نقطة الالتقـاء هذه، لكن بوضع الثقل الأكـبر على الجبـهة الإيطالية، وقـد اتخذت هذا القرار فى الساعة الحادية عشرة من يوم ٢٨ تشرين الأول.

لكن متى سنستطيع توجيه هذه الضربة؟

لقـد كنت أعلم أن عمليـة المشعل، المـهيـأة فى إنجلترا، تقـضى بالنزول فى ٨ نوفمـبر فى قطاع الدار البيضـاء - وهران، فعلينا أن نقاتل العـدو ونبيد جيـشه فى الوقت المطلوب لمساندة عمليـة المشعل مساندة فعـالة، وهذا بغض النظر عن رغبتنا فى أن نكون أولا فى طرابلس، ولكن بعد فـترة عاجلة تأثر توقيتـنا بضرورة تأمين أراضى الطيران فى مرطوبة لتـوفير غطاء جوى لآخر قـافلة ممكنة نحو مالطة، إذ أن الجزيرة كـان ينقصهـا الوقود والأغذية للطيـران، وكان على هذه القـافلة أن تغادر الاسكندرية فى حوالى منتصف نوفمبر.

وقررت أن تهاجم الفرقة الأسترالية بعنف فى ليل ٣٠ - ٣١ أكتوبر باتجاه الشمال لبلوغ البحر، وهذا سيـركز انتباه العدو على الشمال، ثم أحـدث فى الليلة التالية، من ٣١ أكتوبر إلى أول نوفمبـر، ثغرة عميقة فى جبهة العدو مـباشرة شمالى الممر الأصلى، على أن تتـولى الفرقـة الثانية النـيوزيلندية يدعـمها اللواء الـتاسع المدرع ولواءان من المشاة، وستوضع العملية تحت قيادة الجحفل الثلاثين، وعبر هذه الثغرة سأدفع بالجحـفل العاشر مع فرقـه المدرعة، وقد أطلق على العمـلية اسم (الإغارة الكبرى).

فى ٢ نوفمبر، بدأنا عملية الإغارة الكبـرى فى الساعة الواحدة، وجرى الهجوم على جبهة طولها ٤٠٠٠ متر بعمق قدره ٦٠٠٠ متر، وكان ناجحا، وعندما هبط الظلام كنا أخذنا ١٥٠٠ أسير.

وفى الساعة الثـانية من صباح الأربعاء ٤ نوفـمبر، وجهت ضربتـين إلى مفصلة منطقة الاخـتراق، حيث حاول العـدو منعنا من توسيع الثغرة التى أحـدثناها، وقد أنهت هاتان الضربتان المعـركة، وتقدمت فيالق الدبابـات عندما أرخى الليل سدوله وبعد قليل تبعـتها الفرق المدرعة الموجودة فـى الصحراء فى منطقة ليس فيهـا حقول ألغام، حيث تستطيع أن تناور وتعمل ضد مؤخرات العدو وطوابيره المنسحبة.

وتقدمت الدبابات نحـو الغرب مندفعة بعـيدا جدا على خط إنسحـاب العدو، وفى الجنوب لم يكن أمـام الفرق الإيطاليـة على جبـهة الجـحفل الـثالث عـشر إلا الاستسلام، فلم يكن بإمكانها النجاة إذ أخذ منها الألمان كل وسائل النقل، وكلفت هورروكس بتجميعها، أمـا أنا فوجهت اهتمامى كله إلى مطاردة قوات «رومل» التى كانت تسرع هاربة نحو الغرب.

ولو لم أبق ثابتـا لا أتزعـزع،ولو لم أصر علـى أن تنفذ خطتى لـما أنتصـرنا فى العلمين. وعلى الرغم من أن «روميل» كثـيرا ما احتاج إلى البتـرول، فإنه لم يهزم أبدا حتى الآن، أما هذه المرة فقد هزم بصورة حاسـمة، وتقرر مصير قوات المحور فى أفريقيا، شرط ألا نرتكب أية أخطاء.

* * * *

الفصل العاشر
من العلمين إلى تونس
٥ نوفمبر ١٩٤٢ - ٧ مايو ١٩٤٣

المطاردة إلى العقيلة:

بدأت المطاردة الحقيقـية فى ٥ تشرين الثانى، وكان الجحفل العـاشر فى الطليعة، وتركت الجحفل الثلاثين، بقيادة «ليز»، يعيد فى الغرب تنظيم منطقة الاختراق.

أما الجـحفل الثالث عـشر، بقيـادة «هورروكس»، فكانت مهـمته تنظيف سـاحة معركة العلمين، وجمع عتاد العـدو الحربى وعتادنا، وكان عليه أيضا أن يجمع كل الأسرى الإيطاليين، وكان هدفى الأخير طرابلس.

ولحسن سـير العـمليات، إتفـقت مع القائد الأعلى لسـلاح الجو الصـحراوى، «كاننجـهام»، على الخطة التفصـيلية التاليـة: وهى أننا نستطيع أن نستخـدم الطيران كسلاح بعيد المدى عاملا بالتعاون الوثيق مع فيالق الدبابات، على أن تعمل أسراب المقاتلات مستخدمة ميادين الهبوط الأمامية حالما تبلغها الدبابات طالما أن هذه الميادين خالية، وأن تعمل أيضا أمام مجموعـة القوات العظمى مسافة بعيدة، وهذا التكتيك سيـسمح بإرهاق العـدو فى تراجعه، بينمـا تكون قواتنا مـتمتـعة بغطاء جـيد من الطائرات المقاتلة.

ولم أكن اعتقـد أننا سنخوض معارك جدية قـبل العقيلة، فرومل سيـعمد دون أدنى شك إلى الانكفاء نحـو هذا الموقع وسيحاول إيقافنا هنـاك، فبذلك يكون خط تموينه قد أصـبح أقصر، بينـما يكون خط تموينا قد طال، وعلـى هذا النحو يكون الوضع المتعلق بالتموين على عكس ما كان عليه فى العلمين.

وعلى هذا، فقد خططت لترك الجحفل العاشر يواصل المطاردة حتى الجبل، ثم لتوقيفه وأمره بالتقدم بقوات خفيفة نحو بنغازى وإجدابية، وكنت أعتقد أن «لامسدن» قد يقوم بهذه العمليات بطريقة مرضية، فكلفت لذلك الجحفل الثلاثين بمهاجمة موقع العقيلة والشروع بالتحرك نحو طرابلس، وقررت أيضا أن أعهد بقيادة الجحفل العاشر إلى «هورروكس»، حالما يستقر هذا الجحفل فى الجبل، وأن أعيد «لامسدن» إلى إنجلترا، وقررت أن أطلب إرسال «دمبسى» من إنجلترا ليحل محل هورروكس على رأس الجحفل الثالث عشر، وهكذا يكون لى فى «ليز» و«هورروكس» و«دمبسى» ثلاثة قواد جحافل أستطيع أن أثق بهم.

ومهما يكن من أمر، فقد دفعت الجيش الثامن إلى الأمام بقوة، والأرقام التالية تظهر سرعة تحركه:

٥ نوفمبر: بدأت المطاردة إنطلاقا من العلمين.

١١ نوفمبر: بلغنا السلوم (٢٧٠ ميلا).

١٢ نوفمبر: بلغنا طبرق (٣٦٠ ميلا).

١٧ نوفمبر: بلغنا مسوس (٥٦٠ ميلا).

وفى خلال ثلاثة أسابيع، سحقنا الجيش الألمانى الإيطالى سحقا كاملا، وطردنا من مصر الباقين على قيد الحياة من الفارين، متقدمين من جانبنا ما يقرب من ٣٣٠٠ ميل حتى الحدود وما وراء الحدود.

معركة العقيلة: ١٣ - ١٧ ديسمبر ١٩٤٢:

باقترابنا إلى موقع العقيلة اكتشفت شعورا بالقلق فى صفوف الجيش الثامن، فقد سبق أن كان فيها كثير من الجنود مرتين، وفى المرتين انبعث رومل وطردهم، ولذلك قررت أن أفتتح بسرعة موقع العقيلة، فالمعنويات يمكن أن تهبط إذا نحن

ترددنا طويلا، ولقد كان ذلك الموقع موقعا تصعب مهاجمته، ففضلت أن أعمد إلى البلف والمناورة، وأن أدفع «روممل» إلى الوراء دفعا يجعله يعتقد أنه سيفقد فى القتال كل ما تبقى من جيشه.

وبسبب الأرض غير الملائمة فى الجنوب وصعوبات القيام بهجوم مواجه، كان من المفضل بالطبع أن نناور «روممل» حتى يخرج من موقع العقيلة ونهاجمه إلى الغرب على أرض أصلح، وبالنظر للهبوط المحتمل فى معنويات قوات روممل، قدرت أن هذا الأسلوب ممكن اعتماده إذا نحن لم ننتظر طويلا.

وقد حل الآن الجحفل الثلاثون محل الجحفل العاشر، ولقد استكشفت الموقع مع ليز فى الأسبوع الأخير من نوفمبر، وأعطيته أوامرى تاركا كل التفاصيل لمقدرته فى المناورة، والحلقة الرئيسية يجب أن تكون تحرك فرايبورج وقواته النيوزيلندية حول جناح العدو الجنوبى نحو موقع يقع شمالى مراده، ومن هناك العمل ضد مؤخرة قوات «روممل»، على أن يجرى هذا فى وقت واحد مع هجوم مواجه تقوم به الفرقة الحادية والخمسون «هايلند» والفرقة السابعة المدرعة، وحددت يوم ١٥ ديسمبر موعداً للشروع فى العملية، وقررت بعد ذلك أن أتوجه بالطائرة إلى القاهرة لمناقشة خطط أخرى مع «الكسندر»، ولدى عودتى إلى مقر قيادتى العام- إلى الشرق من بنغازى مباشرة - وجدت الاستعدادات للهجوم على موقع العقيلة متقدما تقدما حسنا، وكان يبدو واضحا أن العدو أصبح عصبيا تجاه هذه الاستعدادات، وقد بدأ ينقل قواته الإيطالية الثابتة نحو موقع البويرات، وهو أقرب موقع دفاعى جيد إلى الوراء، ولذلك قررت أن أقدم يومين الموعد المتفق عليه سابقا.

وسار كل شىء حسنا، فقد أخذ العدو فى الانسحاب حالما بدأ هجومنا المواجه، ولكن النيوزيلنديين كانوا فى أعقابه، وفى وقت من الأوقات فى ١٥ ديسمبر، كان كل جيش «روممل» المدرع «البانزر» بين الفرقة النيوزيلندية، والفرقة السابعة المدرعة

التى كانت تتقدم بقوة، وتسلل الألمان بمجموعات صغيرة شاقين طريقهم بثغرات أحدثوها فى المواقع النيوزيلندية المتطاولة، وكان الصراع شديدا ومشوشا طوال نهار ١٦ ديسمبر، وقد أسر جنود كثيرون ثم حرروا من الجانبين، وأخيرا تمكن جيش البانزر من النجاة نحو الغرب، ولكن النيوزيلنديين كانوا قد أمعنوا فى الإساءة إليه وأنزلت به الغارات الجوية خسائر جسيمة.

وأعطيت الفرقة النيوزيلندية أمرا بالتوقف وإعادة تنظيم نفسها فى النوفلية، وطاردت جيش «رومل» بقوات خفيفة مشتبكا معه فى موقع البويرات الذى كان يدافع عنه بقوة، وانتهت معركة العقيلة وأصبح هذا الموقع فى أيدينا بصورة ثابتة.

وكان الجحفل العاشر، بقيادة «هورروكس»، وهو الجحفل المدرع إلى حد بعيد، موجودا فى الجبل قرب مكيلى، وكان سلاح الطيران الصحراوى يدعم عملياتنا بقوة من ميادين الطيران فى مرطوبة وفى جنوبى بنغازى وبالقرب من أجدابية.

وهكذا بلغنا هدفنا، ونقلت مقر قيادتى التكتيكية إلى (قوس الرخام) قرب ميادين الطيران فى مردومة، إلى جوار المقر العام لقيادة الجحفل الثلاثين، ومن هذا المكان المتقدم كنت فى مركز حسن لإدارة عمليات استكشاف موقع البويرات ولوضع خطة التقدم نحو طرابلس، وها نحن الآن فى ولاية طرابلس الغرب، على بعد أكثر من ١٢٠٠ ميل من العلمين، أى من حيث انطلقنا، لقد هزم «رومل» وهزمت قوات المحور بصورة حاسمة، وأصبحت مصر فى أمان طوال مدة الحرب.

وقدرت أن الجيش الثامن أصبح الآن بحاجة إلى مهلة يستطيع خلالها أن يستجمع نشاطه كى يصبح مستعدا للوثبة النهائية على مدينة طرابلس، وكان الضباط والجنود يستحقون بعض الراحة، فقررت أن يكون لهم ذلك، وأمرت القوات بالتوقف حيث هى، وتركتها تعلم أن العمليات الهجومية لن تستأنف إلا بعد عيد الميلاد.

الزحف على طرابلس: ١٥ - ٢٣ ديسمبر ١٩٤٢:

عندما تراجع العدو من منطقة العقيلة انسحب إلى موقع البويرات وأخذ ينظم الدفاع عنها، وكانت خطتى تعتمد على إتمام تموينانا فى ١٤ ديسمبر، ثم الهجوم بقوة على العدو فى صباح ١٥ ديسمبر الباكر، والزحف مباشرة على طرابلس وبلوغ هذه المدينة فى عشرة أيام.

وفى ٤ ديسمبر، أخذت رياح شديدة تهب فى المتوسط، وأحدثت العاصفة فى بنغازى أضرارا كثيرة وهدمت منشآت هامة، وتقطعت حبال السفن فاندفعت على الأرصفة، وهدمت السد أمواج عنيفة مكتسحة داخل المرفأ، وأصيب عدد من الجرارات والمواعين ومراكز التفريغ بكثير من الأضرار، وبات استعمال بنغازى كمرفأ أساسى غير ممكن عمليا، فقد هبطت طاقته فى ١٢ ديسمبر إلى ٤٠٠ طن فقط.

فما العمل؟ لقد أصبحنا الآن مضطرين للاعتماد على طبرق التى تقع على بعد ألف ميل من طرابلس بطريق البر، وبعد أن نبلغ طرابلس سيتحتم علينا أن ننشىء مستودعات كبرى للعمليات اللاحقة، وقررت أن ليس هناك إلا أمر واحد يمكن عمله، وهو الزحف على طرابلس دون تغيير التوقيت، ولهذا الغرض عزمت على استدعاء فرق الجحفل العاشر الثلاث التى كانت موجودة فى الجبل قرب مكيلى، واستخدام كل وسائل النقل التى لديها لجلب المؤن التى نحتاج إليها فى ١٤ ديسمبر من طبرق وبنغازى، وكلفت «هورروكس» بالعملية كلها، فنذر لها نفسه بكل حماس ونظم مصلحة نقليات من الطراز الأول، فاستطعنا بذلك أن نحافظ على مواعيدنا.

وبدأ الزحف فى ١٥ ديسمبر، وسار كل شىء حسنا فى البداية، وفى ١٩ ديسمبر وجدنا أنفسنا مقابل موقع حمص - طرحونة، وكان يبدو أن العدو ينوى الاحتفاظ به إذا استطاع، ودخلت القوات المتقدمة طرابلس فى الساعة الرابعة من

صباح ٢٤ ديسمبر ١٩٤٣، أى بعد ثلاثة أشهر بالضبط من بدء معركة العلمين، وعينت البريغادير جنرال «لاش» رئيسا سياسيا معاونا لولاية طرابلس، وكلفته بأن يتسلم الإدارة المدنية، حالما يستطيع، بالتعاون مع السلطات الإيطالية.

وقد زار رئيس الوزراء، ورئيس هيئة أركان الحرب الامبراطورية طرابلس فى ٣ و٤ فبراير، فأقمنا لهما عرضا لفرقة هايلند وللفرقة النيوزيلندية مع بعض وحدات الجحفل الملكى المدرع، وكان «ونستون تشرشل» مسرورا للغاية وتأثر أبلغ التأثر عندما مرت القوات أمامه.

وبعد وصولى إلى طرابلس فى ٢٣ يناير، كان شغلى الأول أن أفتح المرفأ لتدخل السفن فأتمكن من تفريغ كمية كبيرة من الأطنان يوميا، وكانت هذه مهمة الأسطول الملكى، وهى مهمة صعبة بلا ريب، وكانت السرعة أساسية، ودخلت أول سفينة فى المرفأ فى ٣ فبراير، أما أول قافلة فدخلته فى ٩ فبراير، وحوالى آخر شهر فبراير كان مرفأ طرابلس يعمل جيدا، وكنا نفرغ ما يبلغ ٣٥٠٠ طن يوميا، وزالت همومى الإدارية فتمكنت من استدعاء الجحفل العاشر من منطقة طبرق - بنغازى إلى طرابلس.

ووفقا للمقررات المتخذة فى مؤتمر الدار البيضاء، الذى كان قد انعقد فى يناير، كان على الجيش الثامن أن يضع نفسه تحت قيادة الجنرال «إيزنهاور» لحملة تونس، وعين «الكسندر» معاونا للقائد الأعلى وقائدا للقوات البرية، وأصبح تدر قائدا أعلى لجميع القوات الجوية فى مسرح العمليات بالمتوسط، وهكذا أصبح يمكن الآن حشد القوة الجوية فى تونس، وفى مالطة، وحشد الجيش الثامن فى سبيل القيام بعملية واحدة.

وجاء «كنتجهام» ينضم إلى «تدر» كقائد للطيران التكتيكى، وتسلم «هارى برودهورست» قيادة سلاح الجو الصحراوى الذى كان يتعاون مع الجيش الثامن.

وقد ذكر لى «اكسندر» أنه وجد الأمور فى تشوش فظيع عندما التحق بالجنرال «إيزنهاور»، فالجيش الأول كان قد هوجم هجوما شديدا على الجزء الجنوبى من جبهته، وكان يبدو أن كل شىء سائر إلى الفشل، وخيبت القوات الأمريكية أمل «الكسندر»، وعمل «الكسندر» ليل نهار لمحاصرة الوضع، وارسل إلىّ نداء حارا لمساعدته فى ٢٠ فبراير لتخفيف الضغط الحاصل على الأمريكيين، فأجبته أننى سأفعل، وفى ٢٦ فبراير أصبح واضحا أن إندفاعتنا أجبرت «رومل» على وقف هجومه ضد الأمريكيين.

وبعد أن صد هجوم رومل على جبهة الجيش الأول، قدرت أن الآن دورى فى أن أهاجم، وكان لدينا دلائل على تحرك يجرى بإتجاه جبهتنا، فاستقدمت من طرابلس الفرقة النيوزيلندية، وأخذت استعداداتى لتلقى الضربة التى كنت متأكدا أنها ستحدث، وفى مساء ٥ مارس كان كل شىء يدل على أن الهجوم سيقع صباح اليوم التالى.

معركة مدنين: ٦ مارس ١٩٤٣:

كما توقعنا، شن «رومل» هجومه فى الصباح الباكر بثلاث فرق من البانزر، ولكن الهجوم صد، ثم عاد الهجوم مرة أخرى بعد الظهر واضطر إلى التراجع مجددا، ولم نصب بأية خسائر فى الدبابات، ولكن خسائرنا فى الرجال بلغت ١٣٠ من جميع الرتب، وفقد العدو ٥٢ دبابة دمرتها كلها مدافع المشاة المضادة للدبابات، باستثناء سبعة منها دمرتها كتيبة من دبابات «تشرمان»، وانتهت المعركة التى لم تدم إلا يوما واحدا.

وكما أن معركة علم حلفا سهلت معركة العلمين، كذلك كان لابد لمعركة (مدنين) من أن تسهل معركة (مارث)، فقد كان «رومل» بأشد الحاجة فى «مارث» إلى الدبابات الاثنين والخمسين التى فقدها فى مدنين.

معركة مارث: ٢٠ - ٢٧ مارس ١٩٤٣:

كان الفرنسيون هم الذين بنوا مارث في تونس، ليكون موقعا دفاعيا ضد أى اعتداء إيطالى محتمل قد يأتى من طرابلس الغرب، وكان خطا قويا، وقد عمل الفرنسيون على تحسينه أولا، ثم حسنه من بعدهم الألمان، ويستند جناحه الشرقى إلى البحر وجناحه الغربى إلى سلسلة جبال مطماطة، وفى الشمال الغربى من مطماطة يتجه خط توقيف العدو نحو الحامة.

وكانت المنطقة الواقعة إلى الغرب من مرتفعات مطماطة تعتبر بحرا من الرمال لا يمكن اجتيازه ممتدا عدة أميال نحو الغرب، وقال لى الفرنسيون: إن من المستحيل القيام بتحرك التفافى عبر هذا البحر من الرمال، وقدرت أن الهجوم المواجه ضد موقع بهذه القوة ليس له حظ فى النجاح، إذ لم يكن هناك إلا مجال ضيق للمناورة بين جبال مطماطة والبحر، وأبرز بنود خطتى يجب أن يكون تحركا التفافيا فى غرب مرتفعات مطماطة يزامن هجوما مواجها محدودا، وتبلورت الخطة، وكانت فى خطوطها الكبرى كما يلى:

* على الجحفل الثلاثين أن يهاجم الجناح الشرقى بثلاث فرق، ويجب أن يكون ضغطه بلا هواده، وجناحه الأيمن إلى البحر، وهدفه جذب قوات العدو الإحتياطية نحو هذا الجزء من خط الدفاع.
* يلتف النيوزيلنديون المعززون إلى حد كبير بوحدات أخرى حول الجناح الغربى ويتقدمون وراء جبال مطماطة.
* يبقى الجحفل العاشر فى الإحتياطى مع فرقتين مدرعتين، الأولى والسابعة، جاهزين للانطلاق على جناح أو على آخر حسب الفرصة التى تسنح، ويتمركز هذا الجحفل على نحو يجعل جميع النقاط الأساسية محمية ويجعل الأرض الهامة مضمونة.

* كل العملية يجب أن تدعم بجهد مركز مستمر من جانب القوات الجوية.

وكان النيوزيلنديون بعد تعزيزهم لحركة الالتفاف يعدون ٢٧ ألف رجل و ٢٠٠ دبابة، وقد تجمعوا على جناحنا الجنوبى دون أن يشعر بهم العدو فى فجر ١٨ مارس، وفى ليل ١٧ - ١٨ مارس قمنا بعمليات تمهيدية على جناحنا الأيمن لنخدع العدو بصدد المكان الذى ستوجه إليه الضربة الحقيقية، وقد نجحت هذه العمليات، وكان يجب أن يبدأ هجوم الجحفل الثلاثين على الجناح الأيمن فى الساعة ٢٢,٣٠ من يوم ٢٠ مارس، ولكن تم لدى الاقتناع فى صباح ذلك اليوم أن العدو قد اكتشف القوات النيوزيلندية المتخفية على جناحنا الجنوبى، ولذلك أعطيت النيوزيلنديين الأمر بأن يكفوا عن التخفى وينتقلوا إلى الهجوم مندفعين كالشيطان باتجاه الشمال، وهذا ما فعلوه بالضبط.

ولقد وصف هذه المعركة كثير من المؤلفين، ولا حاجة لأن نقدم عنها رواية مفصلة، ويمكن تلخيص التكتيك الرئيسى المستخدم فيها على النحو الآتى:

* بدأت المعركة بضربة عنيفة موجهة من ميمنتنا.

* بينما كانت هذه الضربة قيد التنفيذ، بدأت ميسرتنا بحركة التفاف كبيرة.

* سار هجوم الميمنة سيرا حسنا منذ بدايته.

وأصبح التهديد الذى يتعرض له العدو تهديدا بالغا اضطره إلى إرسال القوات الاحتياطية على عجل للوقوف فى وجه تقدمنا، فقامت بهجوم مضاد، وصددنا نحن الهجوم ولكننا خسرنا كل ما ربحناه، ووجدنا أنفسنا فى المكان الذى انطلقنا منه قبل يومين.

* وقررت فورا الصمود الكلى على الميمنة، فى نفس الوقت الذى أقوم فيه بضغط يجعل القوات الاحتياطية الألمانية تبقى فى هذا القطاع، وقمت أيضا باندفاعة فى الوسط ضد مرتفعات مطماطة، مستخدما فى ذلك الفرقة الرابعة الهندية.

* وأرسلت بعدئذ الفرقة الأولى المدرعة من قواتى الاحتياطية لتنضم إلى حركة الالتفاف التى يقوم بها النيوزيلنديون، وتنطلق بنجاح، وكلفت قائد الجحفل العاشر «هورروكس» الأهتمام بهذا الالتفاف من جانب الميسرة، وبينما كان هذا الإمداد ينتقل إلى الميسرة، كنا نهيء الهجوم الخاطف الذى يجب أن يحدث لدى وصوله.

* أدرك العدو ما سيحصل، فحاول نقل قواته الاحتياطية التى كانت فى مواجهة ميمنتنا، لكى يوقف إندفاعة ميسرتنا التى أصبحت الآن على جانب من القوة، فوصلت قواته متأخرة، ذلك أن هجومنا الخاطف حصل بعد عشرين دقيقة من وصول آخر سيارة من سيارات الفرقة الأولى المدرعة، وجرف كل ما كان أمامه.

وفى الساعة التاسعة من صباح يوم ٢٨ مارس، كنا قد استولينا استيلاء كاملا على خط مارث الشهير بعد معركة لم تستمر إلا أسبوعاً واحداً.

انتهاء الحرب فى أفريقيا:

كان واضحا أن الحرب فى أفريقيا ستنتهى بسرعة فائقة، فلم يبق على الجيش الثامن إلا أن يزحف من ثغرة قابس ليتصل بالقوات الأمريكية، وما تبقى من العدو سيطوق عندئذ، وفى مجال يضيق أكثر فأكثر، وكان علينا أن نخوض فى ٦ أبريل معركة قاسية استمرت يوما كاملا على خط عود العكاريت، شمالى قابس حيث سقط ٧ آلاف ألمانى أيضا فى أيدينا، وفى ٨ أبريل جرى اتصالنا مع القوات الأمريكية المتحركة شرقى قفصة، وأخذنا نأسر ما معدله ألف رجل يوميا، وفى ١٠ أبريل استولينا على صفاقس.

وفى ١٠ أبريل كتبت إلى «الكسندر» قائلا له: إن قرارا بطلب أن يتخذ لمعرفة أى جيش يجب أن يقوم بالجهد الرئيسى فى المرحلة النهائية من مراحل القتال فى

تونس، واقترحت أن يعهد بذلك إلى الجيش الأول، ووافق الكسندر على ذلك وطلب منى أن أرسل إلى الجيش الأول فرقة مدرعة وفيلقا من السيارات المصفحة، أما أنا فسيكون علىَّ أن اضغط ضغطا مستمرا وأوهم العدو بأن الهجوم الرئيسى سيقوم به الجيش الثامن، ووضعت خططى على هذا الأساس وهاجمت موقع انفيدافيل فى ليل ١٩ - ٢٠ أبريل، وكان من الصعب التقدم فى الجبال بالقرب من تكرومة، ومع ذلك فقد بلغ تقدمنا نحو ثلاثة أميال، وعمدت إلى إعادة تجميع القوات، وأخذت استعد لشن هجوم جديد بعد أسبوع واحد، ولم أكن مسرورا بهذه الهجمات التى أثبتت لى أن الضربة الرئيسية يجب أن توجه على جبهة الجيش الأول، حيث الأرض ليست جبلية إلى هذا الحد، وحيث يمكن استخدام الدبابات.

ولكن المحاولة الأولى التى قام بها الجيش الأول فى ٢٣ أبريل لشق طريقه صوب تونس لم تكلل بالنجاح، وفى ٣٠ أبريل، افترحت على ألكسندر إعادة تجميع الجيشين الأول والثامن كى يمكن القيام بالهجوم على تونس بأكبر قوة ممكنة فى أنسب منطقة، واقترحت أن أرسل إلى الجيش الأول الفرقة السابعة المدرعة والفرقة الرابعة الهندية، ولواء الحرس ٢٠١، يضاف إليها قطع مدفعية، مع قائد جحفل واسع الخبرة لقيادة الهجوم، وكنت أفكر فى هورروكس، وقد وافق الكسندر على هذا موافقة تامة.

وانتقل «هورروكس» إلى الجيش الأول، ونظم فى ٦ مايو الهجوم على تونس، وقد وصل هذا الهجوم إلى النقطة المختارة واخترق دون صعوبة خطوط دفاع العدو فى غربى تونس، وتم الاستيلاء على بنزرت وتونس فى ٧ آيار وحشر العدو عندئذ فى شبه جزيرة رأس بون، وانتهت مقاومة العدو المنظمة فى ١٢ مايو بعد أن وقع فى الأسر نحو ٢٤٨ ألفا من رجاله.

وهكذا انتهت حرب أفريقيا بكارثة كبـرى للألمان، فقد تم الاستيلاء على جميع قواتهم وتمويناتهم وأسلحتهم الثقيلة وتجهيـزاتهم، ولـم يكن البقاء فى أفريقيا الشمالية بعد إختراق خط (مارث) أمرا مبـررا من الوجهة العسكرية الصرفة، وأظن أن هتلر أمر بهذا البقاء لأسباب سياسية.

* * * *

الفصل الحادى عشر
حملة صقلية
١٠ يوليو - ١٧ أغسطس ١٩٤٣

فى يناير عام ١٩٤٣، وصلت أوامر إلى أفريقيا الشمالية يقتضى بموجبها القيام بعمليات عندما تطرد قوات المحور من أفريقيا بغية اخراج إيطاليا من الحرب، وتقرر أن تكون الخطوة الأولى غزو صقلية، واصطلح على تسمية هذه العملية باسم «هاسكى».

فى ١٢ مايو توقفت كل مقاومة فى أفريقيا الشمالية، وفى ١٣ مايو استسلم للجيش الثامن الفيلد «مارشال ميسه»، القائد الأعلى الإيطالى الذى خلف «روميل» فى منصب القيادة العليا، وقد تناول معى طعام الغذاء فى مساء اليوم نفسه قبل أن ينقل إلى معسكر الأسرى، وتحدثنا معا حول مختلف وجوه المعارك التى خاضها أحدنا ضد الآخر.

وقررت التوجه إلى إنجلترا فى إجازة قصيرة قبل بدأ معركة صقلية، وكنت أرغب أيضا فى زيارة الفرقة الأولى الكندية التى كان يجب أن تنزل مباشرة على شواطىء صقلية قادمة من المملكة المتحدة، وما كان بإمكاننا أن نراها قبل أن يجمعنا القتال جنب إلى جنب، ولذلك كان اجراء اتصال مسبق أمرا ضروريا.

وغادرت طرابلس فى ١٦ مايو بقلعتى الطائرة، ووصلت إلى إنجلترا فى ١٧ مايو، وكنت مسرورا لهذه الزيارة، خاصة ما سأقضيه من وقت مع «دايفد».

وعدت إلى الجيش الثامن بطريق مدينة الجزائر، حيث اجتمعت فى ٢ يونيو برئيس الوزراء ورئيس هيئة أركان الحرب الامبراطورية، وكان رئيس الوزراء مصمما

على إخـراج إيطاليا من الحـرب، وقد استـجوبنى مطولا حـول خطة الإنزال فى صقلية، فأعربت عن ثقتى بخطتنا وبقدرتنا على تنفيذها.

وقد وصل الملك إلى أفريقيا فى ١٣ يونيـو وجاء إلى طرابلس فى ١٧ يونيو ليرى فيها الجيش الثامن، وقد أقام فى مـعسكرنا على الشاطئ على بعد بضعة أميال من طرابلس، وعندمـا حان يوم رحيل الملك، فـى ١٩ يونيو، كرسنى جـلالته فـارسا بلمس كتفى بطرف سيفه، وذلك تحت الخيمة المنصوبة لتناول طعام الغذاء على مقربة من ميدان الطيران.

ونزلنا فى صقليـة فى العاشر من يوليو، قـبل ساعتين من بزوغ الفـجر، وعلى الرغم من أن الأوامر المتـعلقة بغزو صـقلية وصلت إلى أفريقـيا الشمـالية فى يناير ١٩٤٣، فإن خطة الإنزال لم تعد نهائية إلا فى شـهر مايو، أى قبل شهرين من يوم الغزو، وقد قـضينا نحو خمسة أسـابيع لإنجاز فتح صقلية، وبلغت خـسائر الجيش الثامن ١٢ ألف رجل، وكنا نستطيع فى رأيى- بتنسيق أوثق للجهود فى البر والبحر والجو - أن نستولى على الجزيرة كلها فى وقت أسرع وبخسائر أقل.

وقد جاء إيزنهـاور ليرانى فى صقلية عندمـا انتهت الحملة، ولقد كنـا دائما نسر بزياراته إذ كان يثـير إعجابنا جمـيعا بشخصـيته الأخاذة، ولـم يكن مـعه إلا مرافق واحد هو ضابط البحرية الكابتن «بوتشر».

* * * *

الفصل الثاني عشر
حملة إيطاليا
٣ سبتمبر - ٣١ أكتوبر ١٩٤٣

لئن كانت الاستعدات لحملة صقلية وسير هذه الحملة قد شابها النقص الكبير، فإن الاستعدادات لغزو إيطاليا وسير العمليات اللاحق فى هذه البلاد كانت أسوأ.

لقد كنا نريد اكتساح القارة الأوربية دون أن تكون لدينا فكرة واضحة حول الطريقة التى يمكن أن تتطور بها العمليات بعد أن نصبح على أرض القارة، ولم يكن القرار فيما يتعلق بالمكان الذى سننزل فيه من إيطاليا قد اتخذ بعد فى ١٧ أغسطس، وهو التاريخ الذى انتهت فيه حملة صقلية، أما فيما يتعلق بالجيش الثامن فكان علىّ أن أجعله يجتاز مضيق مسينا فى ٣ أغسطس، ولكن لم يعين لى أى هدف من الأهداف. وفى ١٩ أغسطس ألححت على أن يعين لى ما يجب على فعله فى أيطاليا، وهكذا زودت بالهدف المعين لنا فى أغسطس، أى قبل عشرة أيام من نزولنا فى إيطاليا، وكانت نية القيادة فى الأصل أن يجرى غزو القارة بواسطة الجيش الثامن وحده، على جبهة من جحفلين، وكان يجب أن تجرى عمليات الإنزال التالية:

- عملية الدعامة فى منطقة جيوياتورو، على الساحل الشمالى لقدم الحذاء الإيطالى.

- عملية مدينة الخليج بهجوم مباشر عبر مضيق مسينا.

وفى حوالى أخر يوليو، بدأ درس عمليه أخرى فى منطقة سالرنو، وأطلق عليها اسم عملية التيهور، وفى رأيى أن هذه العملية كانت جيدة للتنفيذ، وكان يحسن أن

يوضع كل شيء منذ البداية فى العمل لتحقيقها، وأن تتركز جميع الجهود كى تكون فوزا مبينا، ولكن هذا لم يحدث.

وفى ١٧ أغسطس، تقرر ألا تجرى عملية الدعامة، وهكذا وضع جحفلى - الذى كان عليه أن ينفذها - تحت تصرف الجيش الأمريكى الخامس المكلف بعملية التيهور، وعلى هذا النحو تقرر فى ١٧ أغسطس أن يكتسح إيطاليا جيشان هما:

- الجيش الثامن بطريق مضيق مسينا (عملية مدينة الخليج).

- الجيش الأمريكى فى سالرنو (عملية التيهور).

وبذلك بدأت متاعبنا، ففى سبيل دعم عملية التيهور أخذت بعض سفن الإنزال من عملية مدينة الخليج، ولم استطع الشروع فى الاستعدادت لعملية إنزال مدينة الخليج، إذ لم يكن تحت تصرفى أى ضابط كبير من البحرية ولا أية هيئة أركان حرب بحرية صالحة، واحتججت على هذا الوضع، ووعدنى «الكسندر» بأن يضم احتجاجاته إلى احتجاجاتى، ولكن كان ذلك دون جدوى حتى بات تنفيذ عملية الخليج أخيرا أمراً مستحيلا كما هى موضوعة.

وفى ٢٠ أغسطس، تلقيت من «الكسندر» مذكرة كتبها بخط يده، مشيرا إلى هدف عملية مدينة الخليج على النحو التالى:

إن مهمتكم هى تأمين سلامة رأس جسر (منشأ فى قدم الحذاء الإيطالى) كى تتيحوا لقواتنا البحرية أن تعمل فى مضيق مسينا، وفى حال إنكفاء العدو عن قدم الحذاء فإن عليكم أن تلحقوا به القوات التى تستطيعون أن تجعلوها متوفرة، دون أن يغيب عن بالكم أنه كلما أمكنكم إشغال قوات العدو فى طرف إيطاليا الجنوبى، زاد دعمكم لعملية التيهور.

إن هذا الهـدف يستـحق الدرس والتمـحيص، فـلم تبذل أية مـحاولة لتنسـيق عملياتى مع عمليات الجـيش الخامس الأمريكى النازل فى سالرنو فى ليل ٩ - ١٠ سبتـمبر، ولم يكونوا يتـصورون أن الجيش الثامن يسـتطيع أن يذهب إلى أبعد من خليج كـاتانزارو، على بعد نحـو ٦٠ ميـلا من رجيـودى كالابرى، وقـد قيـست مواردنا بهذا المقياس.

والذى حدث فعلا مـعروف تمام المعرفة، فما لبثت عـمليات الإنزال فى سالرنو أن واجـهت صعـوبات وطلب إلى أن أزحـف إلى الأمام وأدعم الجـيش الخـامس الأمريكى، فنشأت لجيشى هموم ذات طابع لوجستى.

وصمم «إيزنهاور» على جمع قواده الأعلين فى مدينة الجزائر فى ٢٣ أغسطس، وفى هذا الإجتـماع الذى حـضرته، طلب الى أن أعرض الخطوط الكـبرى لخطتى لعـملية مـدينة الخليج، فذكـرت أن التأخـرات الناجمـة عن المشاكل الـبحريـة قد وضعتنى فى حالة يستحيل معها تنفيذ العملية فى ليل ٣٠ - ٣١ أغسطس، وأضفت أن لدى الآن الموارد الضـرورية من سفن الإنزال والملاك البـحرى، وإننى أسـتطيع تنفيذ العملـية فى ليل ٢ - ٣ سبتمبر، وعلى كل حـال فقد أبلغنى الأسطول أنه لن يستطيع مواجهة الأمر قبل ليل ٤ - ٥ سبتمبر.

وبعد أن حـسمنا هذه المسـألة ، أطلعنا «إيزنهاور» على المفـاوضات الدائرة مع الحكومة الإيطالية من أجل إعلان الهدنة.

وهكذا تهيـأت للنزول على القارة الأوروبية فى ٣ سـبتمبـر، وهو يوم الذكرى الرابعـة لإعلان الحرب، وسندخل سـنة الحرب الخامـسة ومـا يزال لنا ثأر علينا أن نأخذه، وفى البدء سارت عمليـة الإنزال سيرا حسنا، ولم يكن هناك إلا قليل من المقاومة، وسرعان ما وصلنا إلى الأرض الثابتـة، ولكن صعوباتنا بدأت على مسافة قصـيرة من الشـاطىء، لقـد كان وضع الأرض مثـاليا مـن حيث إتاحـته الفـرصة

لوحدات عدوة صغيرة، بالإضافة إلى تخريبات تختار مواقعها بحذق، كى تؤخر تقدمنا، ولقد استفاد الألمان من هذا الوضع أوسع الاستفادة.

وفى ٥ سبتمبر، وصل «الكسندر» بطريق الجو إلى رجيو، وقابلته فى ميدان هبوط الطائرات، وقال لى: إن الإيطاليين وقعوا فى ٣ سبتمبر شروط الهدنة التى فرضناها، ولكن الأمر لم يعلن بعد، وينتظر أن تكون الترتيبات كالتالى:

* فى الساعة ١٨,٠٠ من مساء يوم ٨ سبتمبر يعلن «بادوجليو» من روما، «وايزنهاور» من الجزائر، بالراديو أن الإيطاليين استسلموا دون أى شرط.

* فى الساعة ٢١,٠٠ من اليوم نفسه (٨ سبتمبر)، تنزل قوات أمريكية محملة جوا قرب روما، وفى الوقت نفسه تستولى الفرق الإيطالية القريبة على المدينة.

* يستولى الجيش الإيطالى على تارنت، وبرنديزى، وبارى ونابولى.

* فى الساعة ٤,٣٠ من صباح اليوم التالى ٩ سبتمبر ينزل الحلفاء فى إيطاليا على النحو الآتى:

الجيش الخامس الأمريكى فى سالرنو ليتجه إلى نابولى.

الجحفل الخامس البريطانى فى تارنت.

وما لبث النزول فى سالرنو أن واجه المصاعب، وغدا الموقف دقيقا فى ليل ١٣ - ١٤ سبتمبر، عندما هاجم الألمان الفرقة الأمريكية السادسة والثلاثين بقوة، وحدث هجوم العدو على بعد ثلاثة أميال من الشاطئ وميلين من المقر العام لقيادة الجيش، وفى ١٤ سبتمبر تلقيت من الكسندر نداء للنجدة، طلب منى فيه أن أزحف إلى الأمام وأهدد القوات الألمانية المقاومة للجيش الخامس، ففعلت ذلك.

وفى ١٦ سبتمبر أتمت طلائع الجيش الثامن اتصالها بميمنة الجيش الأمريكى الخامس، وبعد أن انتهت المرحلة الأولى والتقى الجيشان، تلقيت الأمر بنقل عمليات

الجيش الثامن نحو الشرق، أى على مقلب الأدرياتيكى لسلسلة جبال الآبنين، كان هذا يعنى نقل خطنا اللوجستى من (كالابرى) إلى المرافئ الإيطالية فى الجنوب الشرقى، وأهمها تارنت وبرنديزى وبارى، وكانت هذه عملية كبرى استغرقت كثيرا من الوقت، وعندما انتهت بدأنا تحركا باتجاه الشمال اشتمل على الاستيلاء على فوجيار، وميادين الطيران فيها، وعلى ترمولى، كما اشتمل على خوض معارك جدية على خطوط نهرى تريغنو وسانغرو.

وساءت حالة الطقس فى أواخر أكتوبر، وهطلت علينا الأمطار الشديدة ترافقها العواصف ، واستمرت هذه العواصف فأغرقت البلاد كلها إغراقا كاملا فى ٩ نوفمبر، وفى صباح يوم ٢٤ ديسمبر، تلقيت اتصالاً من وزارة الحرب يبلغنى أن علىّ أن أعود إلى إنجلترا لأخلف الجنرال باجيت على رأس مجموعة الجيوش الحادية والعشرين، وهى مجموعة الجيوش البريطانية التى كانت تستعد لفتح جبهة ثانية على الجانب الآخر من المانش.

وكنت بالطبع حزينا لتركى الجيش الثامن، ولكن سرنى اختيارى لهذه المهمة الجبارة (الغزو الذى سيثأر لدنكرك).

وخلال ستة أشهر استولينا على صقلية، أخرجنا إيطاليا من الحرب، حجزنا فى مالطة الأسطول الإيطالى، اكتسحنا نحو ثلث إيطاليا بما فيه نابولى وميادين الطيران فى فوجيا.

وكان الجنرال «إيزنهاور» قد عيننى قبل بضعة أيام قائدا أعلى للجبهة الثانية، وخلفه فى القيادة «جامبو ويلسون» القائد العام للشرق الأوسط، واحتفظ ألكسندر بمنصبه الحالى.

وقد اخترت الذين سأصطحبهم معى فورا وهم:

دى غوينغواند، كرئيس لأركان الحرب.

«جراهام»، كرئيس للمصالح الإدارية.

«وليامز» ، كرئيس لمصلحة الاستخبارات.

«ريتشاردس»، كمستشار للدبابات.

«هيوز»، كرئيس للكهنة الوعاظ.

وقد وافقت وزارة الحربيــة على الفور فيما يتعلق بـ : دى غويــنغواند، ووليامز، وريتشــاردس، ولم توافق على أختــيار «هيوز» و«جــرهام»، وقررت أن آخــذ معى جراهام والمجازفــة باغضاب لندن، على أن أطلب «هيوز» و«بلتشم» فيــما بعد، أى بعد أن أكون قد أوضحت الأمور فى لندن.

وعين «اوليـفرليـز» خلفا لى، وكان يجب أن يصل فــى ٣٠ ديسمبــر ، وعزمت على الرحيل فى ٣١ ديسمبــر، وكان لينر يعرف جيدا الجيش الثـامن، فلم يستغرق تسليم السلطات وتسلمها إلا قليلا من الوقت

وفى صبــاح اليوم التالــى، ٣١ ديـسمبــر ، أقعلت بطائرتى «الداكــوتا» من الميدان القريب من مقر قيادتى التكتيكية، وتوجهنا إلى مراكش، وكان فيها رئيس الوزراء فى طور النقاهة على إثر إصابته مؤخرا بمرض، فقـضيت السهرة كما قضيت يوم رأس السنة معه، ثم توجهت إلى إنجلترا فى ليل ١ - ٢ يناير ١٩٤٤ .

* * * *

الفصل الثالث عشر
فى إنجلترا قبل يوم الغزو
٢ يناير - ٦ يونيو ١٩٤٤

حينما وصلت إلى مراكش مساء يوم ٣١ ديسمبر، وجدت رئيس الوزراء منكبا على دراسة نسخة من خطة السيد الأعلى، وهو الاسم الذى اصطلح على إطلاقه على عملية غزو نورماندى.

وأعطانى تشرشل النسخة لأقرأها، قائلا: إنه يرغب فى معرفة رأيى فى الخطة كما هى مقترحة، فقلت إننى سأقرأها فى الفراش، وأطلعه على انطباعى فى صباح اليوم التالى، وكان يعلم أننى معتاد على النوم فى ساعة مبكرة.

ووصل إيزنهاور إلى مراكش بعد الظهر، وكان فى طريقه إلى الولايات المتحدة حيث سيجتمع إلى «روزفلت» قبل تسلم مهماته الجديدة كقائد أعلى لعملية الغزو.

وخصصت لقراءة الخطة بضع ساعات وسجلت انطباعاتى الأولى، وقد نسخت هذه الانطباعات على الآلة الكاتبة قبل طعام الفطور فحملتها إلى رئيس الوزراء حالما أصبحت جاهزة، وكان ما يزال فى الفراش فقرأها على الفور، وكانت أهم فقراتها فى رأيى الفقرات الأولى الأربع وهى:

أولا: يجب أن يكون واضحا:

أ - أننى اليوم فى أول يناير ١٩٤٤ علمت بالخطة المقترحة للمرة الأولى، كما أنى للمرة الأولى أواجه المشكلة من جميع زواياها.

ب - لم اتصل حتى الآن بالأميرال «رمزى»، ولم يكن بإمكانى استشارة خبير بحرى.

جـ - لم أتمكن كذلك من استشارة القائد الأعلى للقوات الجوية، ولا ضابط طيران مجرب.

د - وبالتالى فلا يمكن أن يكون لتعليقاتى الأولية إلا قيمة نسبية، إنها لا تعكس إلا انطباعاتى الأولى بعد دراسة سريعة للخطة.

ثانيا: تقضى الخطة بأن تجرى عمليات الإنزال الأولية على جبهة ضيقة أكثر مما ينبغى مقتصرة على منطقة أصغر مما ينبغى، وفى اليوم الثانى عشر بعد يوم الغزو تفترض الخطة أن مجموع ما سينزل على الشواطئ المستخدمة لعمليات الإنزال الأولية سيبلغ ١٦ فرقة، مما سيحدث على هذه الشواطئ أفظع فوضى وسيجعل من الصعب - إن لم يكن من المستحيل توسيع المعركة البرية.

وتفترض الخطة أن فرقا أخرى ستنزل، بحيث يبلغ مجموع الفرق النازلة فى اليوم الرابع والعشرين بعد يوم الغزو ٢٤ فرقة على الشواطئ ذاتها، التى ستصبح مراقبتها شديدة الصعوبة، فبدلا من أن تخف الفوضى، ستشتد، وفى رأيى أن هذه الخطة غير عملية.

ثالثا: من وجهة نظر الجيش وحده، تبدو النقاط التالية أساسية:

أ - يجب أن تجرى عمليات الإنزال الأولية على أوسع جبهة ممكنة.

ب - يجب أن تكون القوات قادرة على توسيع عملياتها انطلاقا من شواطئ الإنزال، ويجب ألا تنزل تشكيلات أخرى على هذه الشواطئ نفسها.

جـ - يجب أن تكون مناطق الإنزال البريطانية والأمريكية متميزة، ويجب أن يطبق على كل منها مضمون الفقرة «أ».

د - بعد عمليات الإنزال الأولية يجب أن تتطور العملية بصورة تؤمن لكل من القوات البريطانية والقوات الأمريكية مرفأ واحدا جيدا على الأقل.

رابعاً: أن الخطة المطلوبة هى من النوع الآتى:

أ - تنزل القوات البريطانية على جبهة كافية لجحفلين أو ثلاثة جحافل إن أمكن ، وكذلك تفعل القوات الأمريكية.

ب - تنضم فرق إضافية إلى الجحافل التى تكون قد أنزلت.

جـ - يستخدم الطيران المهاجم لدعم تقدم القوات ، وتتبع ذلك بسرعة وبدون انقطاع موجات متلاحقة من السيارات غير المصفحة من كل نوع.

د - يجب كسب المعركة الجوية قبل أن تنطلق العملية، وعندئذ يكون هدفنا كسب المعركة البرية بفضل سرعة عملياتنا وعنفها.

وقد أظهر رئيس الوزراء اهتماما كبيرا بهذه الملاحظات، وقال لى: إنه كان يشعر بأن فى الخطة المقترحة شيئا ما غير سليم، ولكن رؤساء أركان الحرب كانوا قد قبلوها مما جعله غير قادر على أن يفعل شيئا، أما الآن فها هو قائد جيوش يحلل له الخطة ويقدم له إيضاحات هو بأشد الحاجة إليها، فهو إذن شاكر له أبلغ الشكر.

وفى الليل بعد العشاء، غادرت مراكش إلى إنجلترا، ووصلت فى ٢ يناير ١٩٤٤ . وسرعان ما أدركت لدى وصولى إلى إنجلترا أننا أمام مهمة صعبة للغاية، وكنت قد عينت لأعمل كقائد أعلى للجيوش العاملة فى البر، فى عملية مشتركة ذات حجم أوسع وأكبر من كل ما جرت محاولته فى تاريخ الحروب كلها.

وعلى الرغم من أن القسم الأكبر من القوات ومن المقرات العامة الثانوية كانت حسنة التدريب، فقد كانت تفتقر إلى الخبرة فى القتال، وكان يتحتم الشروع فى العملية بعد خمسة أشهر تقريبا، فالضباط لم يكونوا يعلمون أساليب ميدان القتال التى يرى لها الضباط الشباب أهمية بالغة، ومن شأنها أن تنقذ كثيرا من الأرواح، والمعركة فى آخر المطاف إنما تربح بمقدرة ضباط الميدان وجنوده وبروح المبادرة لديهم، ودون هذه المزايا لابد من خسران المعركة أيا كانت مزايا القيادة العليا.

وكانت بعض التشكيلات المقاتلة ذات الخبرة الواسعة قد عادت إلى إنجلترا قادمة من مسرح العمليات فى المتوسط بعد انتهاء حملة صقلية، وقد حاولت بتبديل الضباط بين هذه التشكيلات وزميلاتها التى لم يسبق لها أن غادرت إنجلترا، أن أوزع هذه الخبرة على أوسع نطاق ممكن.

أما فيما يتعلق بتبديل قواد الجيش العاجزين، فلم أطلب من وزارة الحربية إلا قرار نقل واحد، هو أن يستدعى من إيطاليا الجنرال «دمبسى» الذى يقود أحد جحافل الجيش الثامن، وتسليمه قيادة الجيش الثانى مكان «أندرسن».

ولقد كتب الكثير فى موضوع خطة غزو نورماندى، وروى كثير من الكتاب كيف عملت المقصلة بهذه الخطة شيئا فشيئا، ولا أريد العودة إلى جوهر المسألة، وإنما أريد فقط أن أتحدث عن الأمور التى كانت فى ذلك الحين شغلى الرئيسى، فمن قبل عام ١٩٤٤ ، كلف المقر العام بوضع خطة الإنزال، وقد شكل هذا المقر العام فى لندن بالتعاون بين الحلفاء، على أن يكون مسئولا أمام هيئة أركان الحرب المشتركة فى واشنطن، وعمل هذا المقر العام وقتا طويلا فى درس مشكلة عودة القوات الحليفة إلى شمالى غربى أوروبا، وعلى رأس هذا المقر العام كان الجنرال «فريدى مورجان»، الذى كنت أعرفه جيدا، وكثيرا ما شكا لى من الصعوبة التى يلاقيها فى وضع خطة ملائمة دون توجيه، ومع ذلك فقد قام بعمل جيد وقدم مشروعا لعملية السيد الأعلى، إتخذ أساسا للخطة النهائية.

وكان «مورجان» يعمل بناء على معلومات تقدمها إليه هيئة أركان الحرب المشتركة عن القوات التى ستكون متوفرة للعملية ، فلم يكن له إذن خيار، ولم يكن إلى جانبه أى قائد جيوش مجرب يرشده ويساعده.

وكنت كلما أمعنت فى درس الخطة التكتيكية المقترحة لجموع الجيوش الحادية والعشرين، قل ارتياحى إليها، فجبهة الهجوم كانت ضيقة أكثر مما ينبغى، وهناك مقر

عام واحد لجحفل يفترض أن يشرف على مجمل الجبهة، ولن تلبث منطقة الإنزال حتى تكتظ وتختقن، ولم يكن يفترض أن يجرى أى إنزال شرقى شبه جزيرة كوتانتين، رغم أنه كان من الضرورى لحاجاتنا أن نضع يدنا بسرعة على مرفأ شربورج.

ولم يكن يبدو أن هناك فكرة واضحة عن الطريقة التى ستطور بها العمليات بعد إنزال الجيوش على سواحل نورماندى، ولقد كنا نبغى فتح مسرح جديد للعمليات على القارة الأوربية، وكانت الحملة تشتمل على مجمل المشكلة التى يطرحها سير العمليات الهجومية البرية فى أوروبا الغربية، وهدف هذه العمليات النهائى تدمير قوات العدو وإحتلال ألمانيا.

لذلك كان من الضرورى قبل كل شىء تقرير الطريقة التى ستطور بها العمليات البرية، ثم أن نضمن على ضوء هذه العمليات أن يجرى الإنزال على الشواطئ الأكثر ملاءمة لتنفيذ الخطة العامة، لكن يظهر أن المشكلة كانت تواجه معكوسة.

واستنادا إلى ما كان لدينا من معلومات فى ذلك الحين - يناير ١٩٤٤ - كان للألمان فى فرنسا أكثر من خمسين فرقة، وقد يكون منها ست فرق (بانزر)، وكان تقدير «بيل وليامز» أنه سيكون علينا أن نقاتل قتالا شديداً ضد ست فرق ألمانية فى مساء يوم الغزو، ولم نكن نستطيع المجازفة، فإذا فشل الإنزال فى نورماندى فقد يمتد أمد الحرب أعواما أخرى.

وكان علينا فى البر، أن نشق طريقنا مقاتلين، ونضمن لأنفسنا مركزا مفضلا قبل أن يتمكن العدو من الإتيان بقوات احتياطية كافية لطردنا، فعلينا أن نتراجع قليلاً بسرعة وندفع برؤوس حراب صوب الداخل، وفى هذه الأثناء يكون على الطيران أن يحمى الدائرة التى شكلت على هذا النحو، وأن يمنع أو يعرقل نقل قوات العدو الاحتياطية بالسكك الحديدية أو الطرق البرية باتجاه مواقعنا.

ويجب أن تقوم بهجومنا الأول خمس فرق، تضاف إليها فرق محملة جوا تنزل على أجنحتنا لحمايتنا من تدخل العدو، بينما نتقدم نحن بسرعة صوب الداخل،

وسيلزمنا جهاز قادر على إنزال ثمانى فرق مثلا مساء يوم الغزو، و ١٢ فرقة مساء اليوم الثانى، وهدفنا أن يكون لنا على الأرض ١٨ فرقة فى آخر الأسبوع الأول.

كل هذا يشكل عملية جبارة، ولن يكون هناك غنى عن أن نستقدم من مسرح المتوسط سفن إنزال إضافية، وسنحتاج أيضا إلى مسطح إقلاع لثلاث فرق محملة جوا وكان إيزنهاور قد كلفنى أن أعمل مكانه وبالنيابة عنه، فعقدت مؤتمرات عديدة مع قائدى البحرية والجو الأعلين ومع كل من هيئتى أركان حربنا.

وبعد أن أعدنا النظر فى الخطة، ما لبث أن غدا واضحا لنا أن نجاحنا يتوقف على أن تختصر عملية (السندان) لتصبح مجرد تهديد، وأن تنتقل سفن الإنزال المخصصة لهذه العملية إلى عملية السيد الأعلى.

وعملية (السندان)، هى عبارة عن إنزال قوات فى جنوب فرنسا شرقى طولون، والقوات الحليفة، الأمريكية والفرنسية التى يفترض أن تشترك فيها يجب أن تأتى من مسرح العمليات الإيطالية.

واستمرت المناقشات المتصلة بعملية (السندان) حتى شهر أغسطس، وكانت ما تزال مستمرة عندما أجهزنا على الألمان المطوقين فى جيب فاليز.

ولقد كنت دائما منذ البداية معارضا لعملية السندان، وقد دعوت للتخلى عنها تخليا كاملا لسببين رئيسين، فقد كنا أولا بحاجة إلى سفن الإنزال لعملية السيد الأعلى، ثم هى ثانيا تضعف الجبهة الإيطالية فى الوقت الذى نتقدم فيه بخط كبير لبلوغ فيينا قبل الروس.

وأخيرا حصلنا على سفن الإنزال التى كنا نحتاج إليها لعملية السيد الأعلى، بتأخير موعد غزو نورماندى من أول مايو إلى مطلع يونيو، وبتأخير عملية السندان حتى شهر أغسطس، ولكن عملية السندان جرت فى ١٥ أغسطس، وكانت فى رأيى أحد أكبر الأخطاء الإستراتيجية فى الحرب.

وكان من نتيجة هذه العملية توسيع الجبهة توسيعا كبيرا ، وزيادة التباطؤ فى الجنوب، مما سبب فى النهاية خطأ إستراتيجيا آخر فى زحفنا نحو الحدود الألمانية.

وأقر «إيزنهاور» خطتنا المنقحة لعملية السيد الأعلى فى مؤتمر انعقد فى لندن فى ٢١ يناير ولكى يتمكن القارئ من أن يفهم فهما كاملا ما حدث فيما بعد فى نورماندى، أود خصوصا فى هذه المرحلة، أن ألفت الانتباه إلى الهيكل الأساسى للخطة، فيما يتعلق بتطور العمليات بعد أن نكون قد نزلنا إلى البر وثبتنا أقدامنا فيه.

لقد كنا ننوى الوثوب فى وقت واحد على رمال الساحل النورماندى الواقعة مباشرة شمالى مصب كارنتان، وبين هذه المنطقة ونهر الأورن، على أن يكون هدفنا تأمين قاعدة للعمليات المقبلة فى موقع يشمل ميادين الطيران ومرفأ شربورج، ويجب أن يشتمل الجناح الأيسر أو الشرقى لهذا الموقع على مركز الطرقات (كان).

وقد عهد إلى الجنرال «إيزنهاور» بقيادة جميع القوات البرية المخصصة لهذا الوثوب، فكان لدينا لهذا الغرض جيشان، الجيش الثانى البريطانى بقيادة «دمبسى»، والجيش الأول الأمريكى بقيادة «برادلى»، وبعدئذ تألف جيشان آخران، هما الجيش الأول الكندى بقيادة «كريرر»، والجيش الثالث الأمريكى بقيادة «باتون».

ومن المهم أن نعلم أن هدفى كان - بعد أن نثبت أقدامنا فى نورماندى- تهديد الجبهة الشرقية باختراق يحدث فيها- أى فى قطاع كان- وكان قصدى من القيام بهذا التهديد بلا هوادة أن أجذب إلى هذا القطاع قوات العدو الاحتياطية الرئيسية ولا سيما فرقه المدرعة، وأن أجمدها هناك مستخدما فى سبيل هذا الغرض القوات البريطانية والكندية الموضوعة تحت إمرة «دمبسى»، وكنت أنوى وقد أصبحت قوات العدو الرئيسية مشغولة على الجناح الشرقى أن أقوم باختراق على الجناح الغربى مستخدما فى هذه المهمة القوات الأمريكية التى هى بقيادة الجنرال «برادلى»، وهذا

الهجـوم يجب أن يشن باتجاه الجنوب، ثم القيـام بانحراف كبـير نحو الشـرق باتجاه السين وباريس، وكنت امل أن يكون محور هذا الدولاب الجبار فى (فاليز)، وهدفه عزل جـميع قـوات العدو فى جنوب السـين الذى يفتـرض أن تدمر قواتـنا الجوية جسوره الواقعة وراء باريس.

وفى ٧ أبريل، جـمعت كل جنرالات الجـيوش الأربعة فـى مقرى العـام بلندن وشرحت لهم خطتى فى خطـوطها العريضة أولا ثم فى تـفاصيلها، وكـذلك شرح قائد البحرية الأعلى وقائد الجو الأعلى خططهما.

وفى منتصف مايو، كـنت قد قمت بزيارة كل التشكيلات فى المـملكة المتحدة، فرآنـى جميع الـضباط وجـميع الجنـود الذين سيـشتركـون فى غزو نورمـاندى، وسمعونى أخطب فيهم، لقد فتشت وفتشنى أيضا أكثر من مليون رجل.

فى أواخرمارس، كـان كل شىء جاهزا لعملية السيد الأعلى، وكـانت الجيوش تتحرك نحو مناطق الاحتشاد، واستغرقت هذه التحركات بعض الوقت، وحدد يوم الغزو فـى الخامـس من شهـر يونيو ١٩٤٤، وانقـضى كل شهـر أبريل فى تمرينات بلغت الذروة بين ٣ و ٦ مايو بتمرين عام بالغ الأهمية.

وقد أجـريت يومى ٧ و ٨ أبريل فى مقـر قيـادتى العام فى لندن تمرينا حـضره جميع القواد العاملين لجيوش الإنزال، وكـان هدفى أن أضعهم وأركان حربهم كليا فى جو عملية (السـيد الأعلى) لجهة الخطة العامة والمسألة البـحرية والنشاط الجوى، وقد اسـتغـرق هذا اليوم الأول، وفى ٨ أبريل درسنا المواقف التى يمكـن أن تنشأ خلال العملية، سواء أثناء اقترابنا بطريق البحر أو بعد قيامنا بأول إنزال، وكان رئيس الوزراء حاضرا فى اليوم الأول وتحدث إلى كل الضباط المجتمعين.

وفى ٢٨ أبريـل، نقل مـقـرى الـعـام إلى (ســاوثوك هـاوس)، فى منطقــة (بورتسموث)، حيث يجب أن يوجد مقرنا العام للعمليات فى يوم الغزو.

وفى أبريل كتبت آخر تعليمات تكتيكية وجـهتها إلى الجيشين اللذين سينزلان فى نورماندى، وفى خلال شهر مايو، جرت لى أحـاديث كثيرة مع «بيل وليامز» الذى كان قد أصبح برتبة لواء ورئيسا لمصلحة استخباراتى.

وكان «رومل» قـد تسلم فى فبـراير قيادة القطاع الساحلى بين هولندا واللوار، وبعد وصوله أخذت عقبات من كل نوع تظهر على الشطآن، وأصبح أكيدا أنه ينوى مقاومة كل تغلغل، وأن هدفه هو مقاتلتنا على الشواطئ.

وكان «وليامـز» بارعا فى تصفيـة المعلومات التى نحصل عليهـا، وفى حذف ما ليس له منها إلا قيمة ضئيلة ، ثم تقديم صورة صادقة عن العدو إلىّ، وكانت وجهة نظره أن «رومل» سيـحاول دحـرنا على الشواطئ، وأن علينا أن نكون مـستـعدين لمقاومة عنيفة فى منطقـة بوكاج النورماندية إذ نحن زحفنا إلى الداخل، وإذا لم يوفق «رومل» فى إقصائنا عن الشواطىء، فسيحاول أن يحاصرنا فى منطقة بوكاج، وعلى هذا الأساس رسمت خططى.

وفى ١٥ مايو، قام المـقر العام الأعلى بتقديـم خططنا المشتركة للمـرة الأخيرة، وجـرى ذلك فى مدرسـة سـانت بول، وحضـر الاجتـمـاع الملك ورئيس الوزراء والجنرال سمطس ورؤساء أركان الحرب البريطانيون.

وجاء المـلك «جورج» بتناول طعـام الغذاء مـعى فى برومفـيلد هاوس، فى ٢٢ مايو، ليودعنى، وفى اليوم التالى كـان علىّ أن أذهب للمرة الأخيرة لزيارة الجيوش وألقى خطابا فى جـميع كـبار الضبـاط، ورفعت إلى الملك نـسخة من النقـاط التى وضعتها من أجل هذا الخطاب.

وعلى هذا انطلقت فى ٢٣ مايو فى هذه الرحلة الأخيرة- وكـما أشرت سابقا- كان يوم الغـزو قد تحدد فـى ٥ يونيو، وكان علىّ أن أعـود من رحلتى فى الوقت المناسب.

وكنت عازما على أن أخطب فى جميع الضبـاط من أعلى رتبة حتى رتبة ليوتنان كولونيل، وأن استعرض الاحتمالات الرئيسية للعملية الجبارة التى سنقوم بها.

وزرت منطقة كل جحفل وكل فرقة، وتكلمت أمام ما يتراوح بين ٥٠٠ و ٦٠٠ ضابط دفعة واحدة، وقد استمرت جولتى ثمانية أيام وكانت مضنية.

وابتـداء من أول يونيو، أخـذنا نقلق قلقـا جـديا من التنبؤات المتـعلقـة بالطقس وتقلبات الجـو، ولم يكن فى مطلع يونيو إلا أربعة أيام يمكن خـلالها القيام بعـملية السـيد الأعلى للأسباب الآتية:

* لقد مـلأ العدو الشواطىء بكثـير من العـقبات والعـراقيل، ويجب أن نكون قادرين على الهجوم فى طقس جاف لا تحت الأمطار.
* يلزمنا على الأقل ثلاثون دقيقة لذلك.
* لتقـدير نتيجـة القصف الجوى والبـحرى، يلزمنا على الأقل ساعـة من ضوء النهار، وفى بعض الحالات نستطيع الاكـتفاء بأقل من ذلك، ولكننا لا نطلب المزيد إن كان هذا ممكنا.
* يلزمنا نحـو ثلاث سـاعـات من المد بعـد وصـول المراكب الأمـاميـة إلى الشواطىء.

ولم تكن الشروط فى رأيى تتوفر فى يوم ٤ يونيو، فـهذا التاريخ لا يوفر لنا وقتا لتقدير أثر تفوقنا الجوى الكبير كل التقـدير، إنه يوفر لنا خمس دقائق فقط فى سبيل ذلك، إذ أن قصف سلاح الجو الملكى لا يمكن أن يبدأ قبل مرور عشر دقائق على الشروق.

وسيظهر لنا أن أفضل موعد هو يوم ٥ يونيو، وكان هذا التاريخ قد أختير موعدا ليوم الغـزو قبل عدة أشـهر، أما يوم ٦ يونيـو فكان يمكن قبوله تمامـا، وأما يوم ٧

يونيو، فلم يكن مناسبا لأنه يشتمل على ساعتين من ضوء النهار قبل الوصول إلى الشاطىء، ولكن يمكن أعتماده عند الضرورة، وبعد هذا التاريخ لا تتوفر أقرب فترة ممكنة للعملية قبل خمسة عشر يوما.

وفى مساء اليوم الثانى من يونيو، تناول «إيزنهاور» العشاء معى بهدوء فى برومفيلد هاوس، وبعد العشاء توجهنا إلى ساوثوك هاوس لنجتمع مع خبراء الرصد الجوى، وتقرر ابقاء موعد العملية فى ٥ يونيو دون تغيير.

وفى ٤ يونيو، اجتمعنا فى الساعة الرابعة صباحا فى ساوثوك هاوس، وكانت بعض القوافل قد أخذت سبيلها فى البحر استعدادا ليوم الغزو الذى سيكون فى ٥ يونيو، ولم تكن تقارير الرصد الجوى مشجعة، أما الأسطول فقد اعترف بأن عمليات الإنزال ستكون ممكنة لكن صعبة، ولم يشأ الأميرال «رمزى» أن يلزم نفسه بأى إلزام، وكنت أرى الإبقاء على الموعد المحدد، بينما كان «تدر» ممثل القيادة العليا يرى التأجيل.

وبعد أن قمنا بوزن جميع العوامل، قرر «إيزنهاور» تأجيل العملية أربعا وعشرين ساعة، على أن يكون يوم الغزو فى ٦ يونيو.

* * * *

الفصل الرابع عشر
معركة نورماندى
٦ يونيو - ١٩ أغسطس ١٩٤٤

لقد كان هجومنا فى يوم الغزو مفاجأة تكتيكية، إذ كان الطقس رديئا والبحر هائجا، ولكن القوات أنزلت إلى البر فى أحوال حسنة وفى الأماكن المقررة، وتقدمنا ببطء وبعناد ووسعنا نطاق مواقعنا، وفى اليوم الأول بعد يوم الغزو تقدمنا من ٥ إلى ٦ أميال نحو الداخل، وفى اليوم الرابع بعد الغزو (١٠ يونيو) كنا نحتل موقعا متصلا يبلغ طوله ٦٠ ميلا ويتراوح عمقه بين ٨ و١٢ ميلا، وكان هذا الموقع محميا من جانبنا بقوة أزالت كل قلق، ولقد أثار الموقف على شاطىء (أوماها) قلقنا الشديد فى بداية العملية، ولكن تم تركيزه بفضل شجاعة الجنود الأمريكيين ومساندة مدافع البحرية وجرأة الطائرات القاذفة المطاردة.

وزارنى رئيس الوزراء والجنرال «سمطس» فى نورماندى فى ١٢ يونيو، وكان «تشرشل» فى حالة رائعة، وكان هذه المرة مستعدا للاعتراف بأننى أنا السيد فى منطقة القتال، وأن عليه أن يفعل ما يقال له.

لقد كانت خطتى الرئيسية التى وضعتها فيما بعد تختصر فى القيام بعمليات هدفها جذب قوات العدو الرئيسية إلى جبهة الجيش الثانى البريطانى، أى إلى جناحنا الشرقى، لكى يتاح لنا أن نربح أرضا بصورة أيسر فى الغرب، والقيام بالزحف الأخير فى الجناح الغربى مستخدمين لهذا الغرض الجيش الأول الأمريكى، وإذا تسارعت الأحداث على الجناح الغربى، فسيعنى هذا أننا سنحقق فيه مكاسب أرضية عاجلة.

أما على الجناح الشرقى، فى قطاع كان، فاكتساب الأرض أقل إلحاحا، فقد كان من الأفضل هناك إجبار العـدو بمعارك شديدة على القذف بقواته الاحتيـاطية ليتاح للأمريكيين أن يغزوا دون مقاومة شديدة أرضاً هامة فى الغرب.

وكانت أهمـية كان الاستـراتيجيـة الكبرى، تشجع كـثيرا على تنفـيذ هذه الخطة الرئيسـية، فهى عـقدة طرقات وخطوط حـديدية تمر بها الطرق الرئيسـية المؤدية من الشـرق ومن الجنوب الشـرقى، إلى منطقـة نقطة إرتكازنا، وبما أن مـعظم القـوات الألمانية الاحتـياطية المتحركة مـوجودة فى شمالى السين، فإن عليـها أن تهاجم من الشرق رأس جـسرنا، ولذلك عليها أن تتـجه نحو كـان، وفى الجنوب الشرقى بين كان وفاليز، كانت الأرض ملائمة للطيران.

وكنت مقتنعا بأن هجوما قويا مستمرا فى قطاع كان يتيح لنا أن نبلغ هدفنا، الذى هو جـذب قوات العـدو الاحـتيـاطية إلى جـناحنا الشرقى، فـتلك كـانت فكرتى الأساسـية، وكانت منذ البـداية فى أساس كل ترتيبـاتنا، وما أن نزلنا إلى البـر وثبتنا أقدامنا فيه حتى شـرعت فى وضع هذه الاستراتيجية موضع التنفـيذ، وبعد معارك شديدة فى منطقـة كان واكتساح شـبه جزيرة كونانتـان، أخذت هذه الاستراتيـجية تتبلور.

ولم يكن هناك أى حـافز يدفعنى إلى تعـديل خطتى الأساسـية، ولاشك أننا لم نتقيد بدقـة بالمواقيت التى قدرناها لكى نأخذ بعين الاعتبـار الترتيبات الإدارية، ولم نتردد كذلك فى أن نوفق بين خططنا وترتيباتنا وبين تطور الموقف التكتيكى، كما فى جميع المعارك، ولم أفكر لحظة فى أن أتصـرف على خلاف ذلك، ولكن التصميم الأساسى بقى دون تغيير، وقد وضعت فـيه كل آمالى وتشبثت به بحزم على الرغم من معارضة الجـبناء المتزايدة، فنحن لم نستول مثلا على كـان قبل ١٠ يوليو، ولم نطهر ضواحيـها الشرقية قبل ٢٠ يوليو، وكـانت نيتى الأولى أن نؤمن بأسرع وقت

بمكن المرتفعات الواقعة بين كان وفاليز، فهذه المنطقة كانت تبدو لى ملائمة لإنشاء ميادين طيران، ولكن لم يكن هذا جوهريا، وعندما وجدنا أن هذا التصميم لا يمكن أن يتحقق وفقا للخطة الأساسية دون أن يكلف خسائر باهظة ليس لها ما يبررها، لم ألق بنفسى فى هذه المغامرة، ولم يرق موقفى هذا لقائد سلاح الجو.

وكان التصميم الأساسى الاستراتيجى على الجناح الشرقى، وضع قوة مدرعة فى جنوب شرقى كان فى منطقة بورغيبو، مما لم يكن منه بد لإبقاء معظم المدرعات الألمانية على الجناح الشرقى ومساعدة التوسع الأمريكى بذلك نحو الغرب، ولم نزحف على هذه المرتفعات إلا عندما بدأ الجيش الثانى فى ١٨ يوليو عملية (غوروود) بالمدرعات، وما أن توقف تقدم المدرعات بفعل مقاومة العدو الشديدة وهطول الأمطار الغزيرة التى حولت المنطقة إلى بحر من الوحول، حتى قررت التخلى عن هذا الهجوم.

وفى ١٨ يوليو أعدت عملية كوبرا، وهى عملية الاختراق النهائى على الجبهة الأمريكية، ووافقت أنا على خطة هذه العملية.

وفى هذه الأثناء كان الجيش الأول الأمريكى قد وطد أقدامه فى موقع يستطيع منه أن يتهيأ للقيام بعملية الاختراق، وأملنا فى البدء أن نبدأ بالعملية من خط سان لوكوتانس ولكن جرى التخلى عن هذه الفكرة، وقرر برادلى أخيرا شن العملية من الخط الذى تؤلفه طريق سان لوبيريه، وكان هدفنا بلوغ هذا الخط فى اليوم الخامس بعد الغزو(١١ يونيو) ولكنه لم يتحقق إلا فى ٨ يوليو.

وفى أثناء هذه الفترة كلها كانت القوات البريطانية تواصل أداء دورها على الجناح الشرقى، فجمدت فى خلال معارك شديدة غير منقطعة معظم قوات العدو العاملة فى قطاع كان.

وكنت كلما ازداد التأخر على الجبهة الأمريكية، أصدر الأمر إلى القوات البريطانية بتقوية عملياتها، وما أشتكى «دمبسى» يوما من جراء ذلك.

ولقد حاول العدو أن يحصرنا فى منطقة بوكاج النورماندية على بعد يتراوح بين ١٥ و ٢٠ ميلا من منطقة الهجوم، وتكلل هذا التكتيك لفترة من الزمن بالنجاح، ولكنه لم يكن لينجح إلا إذا استدعى العدو باستمرار قواته الاحتياطية لكى يسد الفجوات فى خطوطه الدفاعية بخسائر جسيمة فى الرجال والعتاد، وقوات العدو الاحتياطية هذه حالت بيننا وبين تحقيق أى كسب ملموس شرقى (كان) وجنوب شرقيها، ولكنها إذا كانت تفعل ذلك لم تعد فى متناول القيادة الألمانية لصد الاندفاعات على الجناح الغربى، لقد كانت، باختصار، مشتبكة فى القتال، وكما جرى فى العلمين، أجبرنا العدو على القذف بقواته الأحتياطية على جبهة واسعة، وكنا مستعدين الآن لأن نقذف بقواتنا الاحتياطية على جبهة ضيقة فنربح بذلك المعركة.

وكان يتحتم البدء بعملية (كوبرا) فى ٢٠ يوليو، وهو اليوم الذى أصدرت الأمر فيه بإنهاء عملية (غور وود) على الجناح الشرقى باتجاه كان، ولكن الطقس أخرنا مرة أخرى، ولم نشرع فى عملية (كوبرا) إلا فى ٢٥ يوليو، وكنت مقتنعا بأن مضاعفات خطيرة ستحصل على طول جبهة العدو عندما يقوى الهجوم الأمريكى، فسينكفىء خط العدو إلى الوراء، ويحاول الألمان إقامة جبهتهم على بعض التحصينات القوية، وكان هناك فى رأيى ثلاثة مواضع لإقامة مثل هذه الجبهة:

أولاً: فى كومون.

ثانياً: على نهر الأورن.

ثالثاً: على المرتفعات الواقعة بين كان، وفاليز.

وعزمت بناء على ذلك أن أنسف المفاصل التى كنت مقتنعا بأن العدو سيحاول أن يدير حولها جناحه الأيسر، فأعطيت الأوامر المقتضاه، وأخذ الجيش الثانى على الفور يعيد تجمعه وينقل ثقله من طرفه الأيسر فى جنوبى شرقى كان إلى طرفه

الأيمن فى كومون، وكـان هذا التحرك عملا كبـيرا وقد نفذه الجيش الثـانى تنفيذا رائعا. وكان يفترض أن تقوم بالهجوم على كومون- عملية الشرطى- ست فرق فى ٢ أغسطس،ولكن بسـبب السرعة غيـر المتوقعة التى سـار فيها التقـدم الأمريكى، قدمت الموعد إلى ٣٠ يوليو بالاتفاق مع دمبسى.

وفى ١١ أغسطس، عنـدما كانت مـعركة نورمـاندى قد قاربـت نهايتهـا، كان مجموع الخسـائر كما يلى:

من البريطانيين والكنديين	٦٨٠٠٠.
من الأمريكيين	١٠٢٠٠٠.

وكان لدينا آنذاك فى فرنسا ٣٧ فرقة موزعة كما يلى:

مجموعة الجيوش الثانية عشرة (أمريكية)	٢١ فرقة.
مجموعة الجيوش الحادية والعشرين (بريطانية)	١٦ فرقة.

ويمكن القول إن مـعركة نورماندى انتهت فى ١٩ أغـسطس، إذ فى ذلك اليوم تخلصنا نهـائيا مما كـان قد بقى من قـوات العدو المطوقـة فى الجيب الواقع شـرقى مورتان، وكان الانتصار نهائيا، كاملا، حاسما.

ولقد بلغت خسـائر العدو فى معركة نورماندى كالتالى:

قواد جيوش، قواد جحافل، قواد فرق، قتلوا أو أسروا:	٢٠.
قائدا جيشين جرحا (رومل وهاوسر):	٢.
قائدان عامان أبدلا (فون رونشتد، وفون كلوجه):	٢.
فرق أبديت:	٤٠.
خسائر العدو فى الرجال:	٣٠٠ ألف رجل.
مدافع دمرت أو استولينا عليها:	٣٠٠٠.
دبابات دمرت:	١٠٠٠.

الفصل الخامس عشر
استراتيجية الحلفاء فى شمال السين

فى منتصف شهر أغسطس ١٩٤٤ كان موقف الألمان فى فرنسا يدعو إلى اليأس، وقد سقطت باريس فى ٢٥ أغسطس، وفى اليوم التالى تضمنت نشرة المعلومات التى يصدرها المقر العام الأعلى العبارة التالية:

انتهى شهران ونصف من المعارك القاسية بحمام دم بالنسبة للألمان، وأصبحت نهاية الحرب فى أوروبا وشيكة، وتكاد تكون فى متناول اليد، لقد تحطمت قوة الجيوش الألمانية فى الغرب، واستعادت فرنسا باريس، وتتقدم جيوش الحلفاء تقدما لا تقف فى سبيله أية مقاومة نحو حدود ألمانيا.

وبعد قليل أصدر المقر العام الأعلى تعليمات تتعلق بالعمليات، بدأت بهذه الكلمات: فى جميع أنحاء الجبهة تبدو علامات الانهيار على مقاومة العدو، ومعظم قوات العدو الباقية- وهى تقدر بما يساوى فرقتى بانزر ضعيفتين وتسع فرق مشاة - موجودة فى شمال غربى الأردين، ولكنها فقدت نظامها، وهى فى تراجع كامل وتبدو عاجزة عن إبداء أية مقاومة ذات قيمة، وفى جنوبى الأردين تقدر قوات العدو بما يساوى فرقتى بانزر منتخبتين، وأربع فرق مشاة ضعيفة، وهناك قوة خليطة مختلفة العناصر تنكفىء فى جنوب غربى فرنسا، وقد يبلغ عددها حوالى مائة ألف رجل، ولكن قيمتها القتالية يمكن أن تقدر بما يساوى فرقة واحدة، وهناك ما يساوى نصف فرقة بانزر وفرقتى مشاة تتجه نحو الشمال بطريق وادى الرون، والطريقة الوحيدة التى يتمكن بها العدو من أن يعرقل دخولنا ألمانيا هى تعزيز جيوشه المتراجعه بفرق تأتى من الداخل ومن جهات أخرى لتحتل قطاعات هامة

من خط سيجفريد، ومن المشكوك فيه أن يتمكن العدو من فعل ذلك فى الوقت المناسب وبقوة كافية.

وكانت خطتى جاهزة، وقبل أن تنتهى العمليات الأخيرة فى معركة نورماندى، قررت التوجه لرؤية «برادلى» ومحاولة نيل موافقته على هذه الخطة، وفى ١٧ أغسطس كان مقرى العام التكتيكى فى لوبينى بوكاج، فأخذت الطائرة لأزور «برادلى» الذى كان مقره العام فى شمالى فوجير، وقدمت الخطوط الأخيرة لخطتى، وهى الآتية:

١ - بعد أن تجتاز السين، يجب على مجموعتى الجيوش الثانية عشرة والحادية والعشرين أن تشكلا معا كتلة منسجمة من نحو ٤٠ فرقة إلى درجة تجعلها لا تخشى من العدو شيئا، وهذه القوة عليها أن تتحرك باتجاه الشمال الشرقى.

٢ - تطهر مجموعة الجيوش الحادية والعشرين، على الجناح الغربى، ساحل المانش، والبادى كاليه، والفلاندر الغربية، وتستولى على أنفرس وجنوب هولندا.

٣ - تؤلف مجموعة الجيوش الثانية عشرة الجناح الشرقى للتحرك، وتسير بجناحها الأيمن نحو الأردين، باتجاه اكس لا شابيل، وكولونى.

٤ - تكون باريس محور مجمل الحركة، وتتمركز قوة أمريكية كبيرة فى منطقة أورليان، تروى، شالون، ريمس ، لون، على أن يمتد جناحها الأيمن على طول نهر اللوار حتى نانت.

٥ - تتجه قوات عملية التنين القادمة من جنوبى فرنسا نحو نانسى والسار، ويجب علينا ألا نحاول الانضمام إليها بميمنتنا، إذ أن هذا يخل بتوازن استراتيجيتنا.

٦ - هدف الحركة الأساسى هو إقامة طيران قوى فى بلجيكا، وإنشاء رؤوس جسور فيما وراء الراين قبل بدء الشتاء، والاستيلاء بسرعة على الروهر، وبعبارة أبسط: هى خطة شليفن الألمانية فى عام ١٩١٤ معكوسة، مع فرق هام هو أنها ستنفذ ضد عدو مزعزع فقد نظامه، ويتوقف نجاحها على حشد القوات الحليفة، وبالتالى على المحافظة على وسائل العمل على الجناح الأيسر.

وقد أعلن «برادلى» أنه موافق كل الموافقة على الخطوط الكبرى لهذه الخطة.

وفى ٢٠ أغسطس عقد «إيزنهاور» اجتماعا لاركان الحرب فى مقره العام الأمامى فى نورماندى لأخذ الأفكار بشأن سير الحرب المقبل، وكان رئيس أركان حربى حاضرا هذا الاجتماع الذى اتخذت فيه مقررات هى باختصار:

أ - تعديل نظام القيادة فى أول سبتمبر، بحيث يتولى «إيزنهاور» شخصيا قيادة مجموعة الجيوش.

ب - تتوجه مجموعة الجيوش الثانية عشرة نحو متز،والسار حيث تنضم إلى قوات عملية التنين، ولم أوافق على القرارات المتخذة، فكلفت «دى غوينغواند» أن يعود «فيرى إيزنهاور»، وسلمته بعض الملاحظات بالموضوع ليحملها إليه، وقد قضى فى ٢٢ أغسطس ساعتين مع «إيزنهاور» محاولا جعله يوافق على بعض النقاط المبدئية، وقد أعطى« إيزنهاور» الملاحظات التى دونتها قائلا له: إن «برادلى» وافق كل الموافقة فى ١٧ أغسطس على الخطة التى اقترحتها، وهذه هى ملاحظاتى:

١ - أن أسرع سبيل لإنهاء هذه الحرب إنهاء مظفرا هى جعل كتلة الجيوش الحليفة تتقدم باتجاه الشمال، وتطهير الساحل حتى أنفرس، وإقامة طيران قوى فى بلجيكا، والتغلغل فى الروهر.

٢ - يجب أن تعمل قواتنا ككل وبانسجام كبير، ويجب أن تكون من القوة بحيث تقوم بمهمتها بسرعة.

٣ - إنه لضروري أن يكون هناك إشراف واحد على العمليات البرية وإدارة واحدة لها لتأمين النجاح، وهذه مهمة كافية للاستثار بنشاط رجل واحد.

٤ - لقد أمكن إحراز الانتصار الكبير في شمالي غربي فرنسا بفضل القيادة الشخصية، وعلى هذا النحو فقط ستربح المعارك المقبلة، وإذا سمحنا بتسلل إشراف أركان الحرب فسرعان ما سيتعرض نجاحنا للخطر.

٥ - إن تعديل نظام القيادة في وقت إحرازنا فيه مؤخرا انتصاراً كبيرا ، يعني إطالة أمد الحرب.

وحصل «دي غوينغواند» إلى النتيجة السلبية لحديثه مع «إيزنهاور» فعزمت على أن أراه بنفسي، فدعوته للمجئ لتناول طعام الغذاء معي في اليوم التالي- في ٢٣ أغسطس- في مقرى العام التكتيكي في كونديه سورنوارو، فقبل دعوتي بسرور.

وكنت راغبا في التحدث مرة أخرى مع «برادلي» قبل مقابلة «إيزنهاور»، وكان قد نقل مقره العام إلى لافال، فتوجهت إلى هناك بالطائرة في ساعة مبكرة من صباح ٢٣ أغسطس، ولكم كانت دهشتي عندما اكتشفت أن «برادلي» غير رأيه، وعدت إلى مقرى العام في الوقت اللازم لاستقبال «إيزنهاور» الذي اصطحب معه «بيدل سمث»، وكانت هذه هي المرة الأولى اتي ألتقي فيها «بيدل سمث» منذ تركته في إنجلترا في ليل ٦ يونيو.

وسألت «إيزنهاور»: هل أستطيع أن أتحدث إليه على انفراد؟، ووافق «إيزنهاور»، فتحدثنا وحدنا مدة ساعة شرحت له خلالها وجهة نظري حول ضرورة وضع خطة بناءة سليمة على الفور، وقلت له إن عليه أن يقرر أين يجب أن يتركز

الجهد الرئيسى، وإن علينا أن نكون من القوة فى هذا الظرف بحيث نكون متأكدين من الحصول على نتائج حاسمة بسـرعة، وأعطيته نظرة عامة عن الوضع الإدارى، مظهراً أن خطوط مواصلاتنا ستصبح قـريبا ممتدة جدا، وأن علينا أن نحشد مواردنا من البترول والذخائر وراء خط الإندفاعة ذاك، أما إذا وزعناها بالتساوى على طول الجبهة فلن نستطيع أن نحرز نجاحا حـاسما، وعرضت له بعدئذ خطتى الخاصة التى كانت قد نالت فى البداية موافقة «برادلى».

ورسمت لايزنهاور تفاصيل الخطة على الخريطة، مـدللا على أن لها آمالا كبيرة فى النجاح، ولفت نظره إلـى أنه إن اعتمد اسـتراتيجـية الجبهـة الواسعة بأن تـتقدم القوات على طول الخط وتقاتل كل وحدة من الواحـدات طول الوقت، فإن التقدم سيتوقف حتما فى وقت من الأوقـات، فيتنفس الألمان عندئذ الصعداء وتمتد الحرب خلال الشتاء، وحتى فى عام ١٩٤٥.

وأضفت أن عـلى «إيزنهاور» بوصـفه القائـد الأعلى ألا ينزل عن رتبتـه فيـتولى شخصيـا قيادة المعركة البرية، فـالقائد الأعلى يجب أن يكون قادرا على أن تكون له نظرة شاملة للمشكلة المعقدة التى تتفرع إلى مشاكل برية وجوبة ومدنية وسياسية.

إن قائدا آخر يجب أن يتولى هو قيادة المعـركة البرية، ولقد أحرزنا فى نورماندى إنتـصـارا كبـيـرا بفـضل عـملنا الموحـد، لا بالرغم من العـمل الموحـد، وقلت «لإيزنهاور»: إن هذه النقطة هى من الأهمية بحيث إنه إذا شاء أن يراعى الرأى العام الأمريكى فهـو يستطيع أن يوكل إلى «برادلى» قيادة المعـركة، وأنا مستعـد للخدمة تحت إمـرته بطيب خـاطر، وقد أحـدث هذا الاقـتراح لدى «إيـزنهاور» رد فـعل سريع، وأكد أنه لم تكن لديه فى أى يوم من الأيام مثل هذه النية.

وأثناء حديثنا وافق «إيزنهـاور» على أن مجموعـة الجيوش الحادية والعـشرين لم تكن قوية قوة كـافية لأن تقوم وحـدها دون مساندة بالمهمات التى يـقتضيهـا القيام

بزحف فى الشمال، وأقر بأن كل العـون الأمريكى الضرورى يجب أن يقدم ، وأن تنسيق الإندفاعة فى الشـمال والقيادة العامة لعملياتها يجـب أن يمارسها قائدا أعلى واحد أى أن أمارسها أنا شخصيا.

وقلت: إننى أرغب فى أن يتقدم جيش أمريكى لا يقل عن ١٢ فرقة على الجناح الأيمن لمجموعـة الجيوش الحادية والعشرين، فـأجاب أن مجموعة الجيـوش الثانية عشرة لن يبـقى لها فى هذه الحالة إلا جيش واحد، وأن الرأى العـام الأمريكى قد يحتج، فـسألته: لـماذا يحملنا الرأى العام على اتخـاذ قرارات هى فى نهـاية الأمر قرارات خاطئة؟ ووافقت على أننى ربما ذهبت بعيدا بعض الشىء فى إصرارى على أن يتبنى خطتى، ولم أراع مراعاة كافية للعبء السياسى الذى يثقل كاهله، ذلك أن تبنى «إيزنهاور» لخطتى كـان يقتضـيه أن يوقف «باتون»، والجيش الثـالث الأمريكى، ولكن حججى لم يكن لها تأثيـر، فقد صار تبنى استراتيجية الجبـهة الواسعة، وكان على مجموعة الجيوش الثانية عشـرة وهى تقوم باندفاعة إلى الأمام لمساندة مجموعة الجيوش الحادية والعشرين، أن توجه جهدها الرئيسيى باتجاه متز، والسـار، وفوضت بأن أوجد تنسيقا لـلعمليات بين مجموعة الجيوش الحـادية والعشرين والجناح الأيسـر لمجموعة الجيوش الثانية عشرة، وقد حذفت كلمة تنسيق العمليات من التوجيهات.

ومع ذلك فإن توجيهات أعطاها «إيزنهـاور» فيما بعد، أى بعد أن تسلم فى أول سبتمبر القيادة المباشرة للقـوات البرية، تنص على: أن على مجموعة الجيوش الثانية عشـرة أن تتأكد من أن قـواتها العاملة على مـيمنتى ضد الروهر مـدعومة دعـما ملائما من الناحية اللوجـستية، وهكذا كنا جميعا مستعـدين لاجتياز السين وسلوك طرقنا المختـلفة، وكان التـفاؤل متـشرا، والقائد الأعلى يحض كـل فرد على طول الجبهة كلهـا، فالجميع يجب أن يقاتلوا كل الوقت، ولكن المزعج كـان أننا نفتقر إلى خطة أساسية تعالج العملية كوحدة تامة، فقد كانت استراتيجيتنا آيلة إلى التفكك.

وكنت مصمما على أن ألعب دورى كليا، فتظهر القوات البريطانية - حين يأتى وقت معركة التحرك- أنهالا تتأخر فى شىء عن الجيوش الأخرى، ولكن كان عندى قلق كبير، فكل خبرتى العسكرية تقول لى إن هذا القلق يستند إلى أساس، وأن علينا أن نتوقع حملة شتاء طويلة الأمد بكل ما يعنيه هذا بالنسبة للشعب البريطانى.

وكنت كلما فكرت فيما نحن فاعلون إزداد اقتناعى بأنه خطأ، فالاقتصاد واليد العاملة البريطانيان كانا بحاجة إلى النصر فى عام ١٩٤٤، لا بعد هذا العام، والحرب ترهق كاهل جمهور الشعب البريطانى، فمن الضرورى أن تنتهى بسرعة، وهذه الضرورة تختلف عن الضرورة الأمريكية، إنه اختلاف فى درجة الإلحاح، واختلاف أيضا فى المبدأ وهذا ما لم يكن يفهمه الجنرالات الأمريكيون، فالحرب لم تنتقل يوما إلى داخل بلادهم، فلماذا يتحتم علينا أن نكون ضحية الرأى العام الأمريكى وانتخابات الرئاسة الأمريكية؟

إن الأستراتيجية التى نعتمدها الآن تعنى خسائر أكبر فى القتلى والجرحى، ولن يكون انتشار الجيوش على جبهة واسعة لأسباب تتعلق بالسلامة، فجناحنا الجنوبى كان فى نجوة كلية، وكان يمكن حمايته بفضل تفوقنا الجوى وحده مع مساندة عسكرية ضئيلة، وإن لم تحقق عملية التنين شيئاً فإنها حققت هذا على الأقل.

ولم يكن هناك أية مجازفة حقيقية فى فعل ما اقترحته، وكانت خطتى تقدم الامكانية الوحيدة لإنهاء الحرب بسرعة.

وأخذت أعلم بواسطة ضابط اتصالى لدى مقر الجنرال «برادلى» العام، أن القوات الأمريكية على ميمنتى ليس لها أية أفضلية فيما يتعلق بتموين القوات، فخطة «إيزنهاور» القاضية بالقيام بزحفين، أحدهما نحو الروهر، والآخر نحو السار، تعنى أن كل شىء يجب أن يقسم الجيش البرى والطيران وتموين القوات ووسائل النقل والعتاد المتحرك، لقد قذفنا إلى البحر بمبدأ حشد الجهود وتركيزها.

وكان مـقر« إيزنهـاور» العام فى غرانفـيل على الجانب الغـربى من شبـه جزيرة كوتانتان وربما كان هذا المكان ملائما لقيادة عليا، ولكن لم يكن ملائماً إطلاقا لقيادة قوة برية، وهى القيادة التى يجب أن تراقب باستمرار نبـض جيوشها وتتخذ قرارات سريعة إزاء أوضـاع تتعدل بسرعة، فـقد كان المقر يوجد على بعـد أكثر من ٤٠٠ ميل وراء جبـهة القتال، أضف إلى ذلك أن «إيزنهـاور» كان يلزم الفراش لمرض فى ركبته، ولـم تكن هناك خطوط هاتفية، ولا حتى تليفون لاسلكى يصل مقره العام بى ولابيرادلى، وفى مطـلع سبتـمبر لم يكن لايزنهـاور- بمقدار مـا أعلم- أى اتصال بالمعركة البرية.

وقررت أن أخاطب «إيزنهـاور» مرة أخرى متابعـا مساعىّ لاعتماد خطة مـقبولة فأرسلت إليه بالرسالة الآتية فى ٤ سبتمبر، وهو اليوم الذى استولينا فيه على أنفرس ولوفان:

أود أن أعرض لكم بعض وجوه العمليات المقبلة، وأن أقدم لكم رأيى فيها:

١ - إننى أرى أننا قد بلغنا الآن مرحلة يمكن فيها لزحف قوى فعلا باتجاه برلين أن يقودنا إلى إنهاء الحرب على هذا النحو مع ألمانيا.

٢ - ليست لدينا موارد كافية للقيام بزحفين قويين.

٣ - لذلك فالزحف المختار يجب أن توفر له كل الموارد التى يحتاج إليها دون أى تأخير، وعلى القـوات المكلفة بأية عملية أخرى أن تبذل أقـصى جهدها بما يتبقى.

٤ - فى رأيى أن الزحف الذى يمكن أن يعطى أحسن النتائج وأسرعها هو الذى يجرى باتجاه الشمال بطريق الروهر.

٥ - إن عامل الوقت عـامل أساسى، ويجب أن يتـخذ القرار المتـعلق باختـيار الزحف الأفضل بسرعة، وأن يطبق مضمون الفقرة الثالثة من هذه الرسالة.

٦ - إذا نحن اعتمدنا حلا له طابع التسوية، وقسمنا مواردنا بصورة لا تجعل أى واحد من الزحفين قويا، فإننا نطيل أجل الحرب.

٧ - إننى أرى أن القضيـة كما تتجلى فوق هـى قضية بسيطة وواضـحة والمسألة هى من الأهميـة الحيوية على مـقدار يجعلنى مـقتنعا بـأنكم ستكونون من أصـحاب الرأى القـائل بأن اتخاذ قـرار مطابق لما سـبق يجب أن يتم دون تأخير، وإذا مررتم بمقـرى العام قد ترغبون فى بحث الموضـوع ومناقشته، وفى هذه الحال يسـرنى أن أجتمع بكم غـدا على الغذاء، ولا أعتـقد أننى أستطيع أن أترك المعركة فى الوقت الحـاضر والواقع أن الوقت كاد يكون قد فات، فقد بدأ الزحف نحو السار، وتلقى «باتون» كل مـا يلزمه لتقدمه نحو متز، وإلى يمينى كان على الجيش الأول الأمريكى أن يغطى تقدم «باتون»، ولم يكن قادرا على أن يسـاند فى الوقت نفسه عـملياتى كمـا تلقى الأمر بذلك ،ولكن ربما لا يزال هناك وقت لإنقـاذ شيء من السفـينة الغـارقة إذا استطعنا الوصول إلى قرار سريع.

وقد تلقى« أيزنهـاور» رسالتى فى ٥ سبتـمبر، فأجابنى فـى السـاعة ١٩,٤٥ من اليوم نفسـه، وكانت الاتصالات مع مقـره العام فى غرانفيل علـى جانب من سوء التنظيم، حتى أن جـوابه وصلنى على دفعتين، ووصلت الفـقرتان ٣ و ٤ من هذا الجواب أولا فى السـاعة التاسعة من صباح يوم ٧ سبتمبر، ثم وصلتنى الفقرتان ١ و ٢ الساعة ١٠,١٥ قبل ظهر يوم ٩ سبتمبر.

وهذه هى رسالة «إيزنهاور» الكاملة كما أعدت ترتيبها بعد وصول أجزائها:

١ - مع موافقـتى على فكرتك القائلة بوجوب القيـام بزحف قوى باتجاه برلين، إلا أننى لست مع الرأى القـائل أن هذا الزحف يجب أن ينفذ عـلى أساس استبعاد كل العمليات الأخرى.

٢ - إن معظم الجيش الألمانى الذى كان فى الغرب قد دمر الآن، وعلينا أن نستغل على الفور نجاحنا بفتح ثغرة فى خط سيجفريد، مجتازين الراين على جبهة واسعة، وبالاستيلاء على السار وعلى الروهر، وأنا أنوى أن أفعل ذلك بأسرع ما يمكن ، فهذا سيتيح لنا أن نمسك بخناق منطقتين من أهم مناطق ألمانيا الصناعية، فنجعلها عاجزة عن مواصلة الحرب مهما حدث، وسيساعدنا هذا على قطع خط الرجعة على قوات العدو المنسحبة الآن من جنوب فرنسا، وهكذا ستكون لنا حرية العمل للضرب فى أى اتجاه من الاتجاهات، وسنجبر العدو على أن ينشر على مسافة واسعة القوات التى قد يجمعها لدفاعه.

٣ - سنفتح أثناء تقدمنا مرفأى الهافر و أنفرس، الأساسيين لدعم الزحف القوى نحو قلب ألمانيا ،فأية إعادة لتوزيع مواردنا الحالية لن تكون كافية من أجل دعم الزحف بإتجاه برلين.

٤ - وبمقتضى ذلك تتجه نيتى إلى احتلال السار والروهر أولا، وعندما يتم هذا يصبح مرفأ الهافر ومرفأ أنفرس قادرين على دعم الزحفين اللذين تشير إليهما أو أحدهما، ومن هذه الناحية أعطيت دائما ولا أزال أعطى الأفضلية للروهر ولطريق الشمال، كما تشير إلى ذلك توجيهاتى أمس، وهى التى صادف وقتها وقت برقيتكم، إن القاطرات الحديدية والعتاد المتحرك هى الآن مخصصة- على أساس هذه الأفضلية - لدعم قوتكم المندفعة إلى الأمام، وقوة «برادلى» فى شمال غربى الأردين، فتفضلوا بإعلامى منذ الآن بحاجاتكم للتقدم.

وفى هذه الأثناء، تحدثت مع «برادلى» عن الوضع الخطر الذى تعانيه لوجستيتنا، واتفقنا على أنه يتحتم التخلى عن مشروعنا القاضى بإلقاء قوات محملة جوا لدعم

التقدم، كما يتحتم استخدام جميع الطائرات المتوفرة من أجل نقلياتنا، ولم يكن فى هذا تضحيــة كبيرة لأن سرعة تقــدمنا منذ أن اجتزنا الــسين بلغت حدا لم نعــد معه بحاجة إلى المظليين لمساعدتنا.

منذ أن كــسبنا معركــة نورماندى، تركزت عــيناى باستمــرار على الراين وعلى الروهر، وكنت أعلم أننا سنحتاج إلى جميع القــوات المحملة جوا لنتمكن من عبور الموز والراين ، وقد خصص لى الجحفل الحليف الأول المحمل جوا.

وفى ٣ سبتمبر- وهو اليــوم الذى حررنا فيه بروكــسل- طلبت إلى قائدها الجنرال «براونبج»، أن يأتى ليرانى كى نتفق علــى الخط العام للزحف باتجاه الراين، وأنــسب المناطق لإلقاء الفرق المحملة جوا.

وفى ٩ سبتمبر، أنبئت من لندن أن الصواريخ الأولى من طراز (ف ٢) وجهت ضــد إنجلتــرا فى الأيام السابقــة، وكــان يشك فى أنهــا قادمــة من جــوار روتردام وأمستردام، وسئلت مــتى أستطيع أن أطوق هذه المناطق؟ أما أنا فكنت أرى أن هذا من شأنه أن يقرر إتجاه زحفى وعمليات اجتيازى للموز، والراين، وأما نقطة الاتجاه فيــجب أن تكون أرنهم، وكنت أعلم أن وضع تموييننا هو العــامل الذى يحد من أى قرار يمكن أن يتــخذ ،وتلبــية للطلب الذى وجهــته إلى «إيزنهــاور» قبل ثلاثة أيام، وصل إلى بروكسل بالطائرة بعد ظهــر ١٠ سبتمبر، وكان يــرافقه «تدر»، وجرى لنا حــديث طويل فى طائرة «إيزنهاور»، إذ لم يــستطع أن ينزل منهــا لأنه كان مــا يزال يعرج. وعرضت له موقــفى بالتفصيل، فحدثته عــن الصواريخ التى أخذت تضرب إنجلترا وعن المنطقة التى تنطلق منها، فقــال لى: إنه كان ينوى دائما إعطاء الأفضلية للزحف نحو الروهر والتقدم بطريق الشمال، وأن الأمــر قد وقع الآن، فأجبته: إن شيئا لم يقع بعــد، فأوضح إنه لا يقصد بقوله: (أفضليــة)، الأفضلية المطلقة وأنه لا يستطيع بأيــة حال من الأحوال تخــفيف الزحف نحو الســار، فقلت له: إن مقــاومة

العدو ستشتد على خط قناة ألبرت، وأن استهلاكنا للبترول والذخائر سيزداد، وأننا ستتجاوز حدود تموينا تنا، وأصبح واضحا أننى لن أتمكن من شن العملية على نطاق كبير باتجاه أرنهم باكرا كما كنت أرجو، مما سيعطى للعدو وقتا يستجمع فيه قواه.

ومنذ أن اجتزنا السين انتقل مقرى العام إلى الشمال، ومقر «برادلى» العام إلى الشرق، وأصبحت المعركة البرية متظمة وغير منتظمة فقلت إنه ما دامت المعركة مستمرة بزحفين وبتموين موزع بينهما فلن نصل إلى شىء، وأوضحت أن أنفرس وضواحى المرفأ التى لم نبلغها بعد تقع وراء الزحف على ذاك الجناح الأيسر الذى دعوت إلى إقامته فى ٢٣ أغسطس، وكان هناك خطتان ممكنتان: خطة «برادلى»، وخطتى، وكان من الضرورى دعم إحدى الخطتين، أما إذا أردنا دعم الخطتين معا فلن نستطيع الوصول سريعا إلى نتائج حاسمة، وأن أسرع سبيل لتطهير مرفأ أنفرس هو مساندة خطتى القاضية بإجراء حشد على الميسرة، وهى الخطة التى لا تعزز فقط وضعنا اللوجستى ووضع تموينا، بل تبقى على الضغط الحاصل على الألمان الذين تنهال عليهم الضربات فى منطقة ذات أهمية بالغة، فتساهم بذلك فى إنهاء الحرب بسرعة.

وكان واضحا أن «إيزنهاور» لا يوافق على تحليلى للموقف، فقد كان يكرر أن علينا أولا أن نعبر الراين، وأن نعبره على جبهة واسعة، وعندئذ وعندئذ فقط، يمكننا أن نركز احتشاداتنا للقيام بزحف واحد، لكن «إيزنهاور» وافق على أن تقوم مجموعة الجيوش الواحدة والعشرين بزحف نحو أرنهم، وأقر بأن القيام بعمليات تتكلل بالنجاح فى هذا الاتجاه يساعد كثيرا على القيام بعمل مقبل.

وفى اليوم التالى ١١ سبتمبر، بعثت إلى «إيزنهاور» بالرسالة الآتية:

«لقد درست بعناية وضع تموينا منذ التقائنا أمس، إن قراركم القاضى بألا تكون للزحف باتجاه الشمال نحو الروهر الأفضلية على العمليات الأخرى ستكون له

مضاعفات يجب أن تعرفوها، إن العمليـات واسعة النطاق - عمليات الجيش الثانى والجحفل المحمل جوا فى الشمال بإتجاه الموز والراين - لا يمكن الآن أن تجرى قبل ٢٣ سبتمبر، كأقرب موعد، وربما لا يمكن أن تجرى قبل ٢٦ سبتمبر.

إن هذا التأخـير سيعطى العـدو وقتا لاتخاذ ترتيـبات دفاعيـة أفضل، وعلينا أن نتوقع مـقاومة أشـد وتقدما أبطأ، وبما أن الشـتاء يقتـرب، فمن المحتـمل أن يسـوء الطقس وأن تتضاءل النتائج التى سيؤمنها لنا تفوقنا الجوى من الآن فصاعدا.

إن عملـياتنا تتـوقف إلى حد كـبير علـى النقليات بالسكك الحـديدية، وبالطرق البرية، والنقليات الجوية، فإذا لم تحشد كل هذه النقليات لتوفير الإندفاع لواحد من الزحفين المختارين، فإن أيا من هذين لن يتقدم بعيدا، ذلك أننا جميعا بعيدون عن قواعد تموينا، وأننا سنبذل قصارى جهدنا للقـيام بمهمتنا، ولكن الحقائق سالفة الذكر تظهر لكم أنه إذا استمرت مقاومة العدو فى الاشتداد - كما هى الحال الآن - فلن يمكننا أن نتـوقع نتائج هامـة مادمنا لـم نـستكمل من جديد مـخزوننا من الـذخائر وسواها من المؤن.

وقد أحدثت هذه الرسالة رد فعل شبه كـهربائى، فجاء «بيدل سمث» يرانى فى اليـوم التالى ليـقول لى: إن «إيزنهـاور» قرر العـمل على النحو الذى أوصـيت به، وسيتـوقف الزحف نحو السار، وستلجم ثلاث فرق أمـريكية مع وسائل النقل التى تستعملها؟ وذلك لتوفير تموين إضافى لمجموعة الجيوش الحادية والعشرين، وسيعطى معظم الدعم اللوجستى المخصص لمجموعـة الجيوش الثانية عشرة إلى الجيش الأول الأمريكى على ميمنتى، وسأخول التعامل مباشرة مع الجنرال «هودجز» القائد العام للجيش الأول الأمريكى.

فأعـدت النظر فى خططى مع «دمـبسى»، وحددت يوم الأحـد ١٧ سبـتمـبر موعدا لعملية الزحف على أرنهم.

وبعد ظهـر يوم ٢٢ سبتمبـر، عقد «إيزنهاور» مـؤتمرا فى مقره العـام بفرساى، لتقرير الخطة التى ستـعتمد لتسيير الحـرب فى مقبل الأيام، وفى ذلك اليوم لم يكن الموقف حـسنا فى أرنهم، وإلى الجنوب قطع الألمان الممـر واسـتقـروا على الطريق الرئيسى بين فيخل وغرايف جنوبى نيميج، وقررت أننى لا استطيع ترك جبهة القتال وكلفت «دى غوينغواند» بتمثيلى فى هذا المؤتمر.

وأثناء الليل، أرسل لى «دى غوينغواند» من فرساى رسالة تقول:

إن «إيزنهـاور» دافع عن خطتى مـائة بالمائة، وأن الإندفاعـة الشـماليـة يجب أن تشكل المجهود الرئيـسى وتحظى بالمـساندة الكاملة، وقد تلقيت هذه الرسالة قبل ظهر ٢٣ سبتمـبر، وفى ذلك التاريخ كان الموقف سيئا فى أرنـهم، فقد قطع الممر المؤدى إلى نيميج مرة أخـرى، وكان يبدو أننا سنضطر لسحب الباقين على قـيد الحياة من الفرقـة الأولى البريطانية المحمولـة جوا إلى الضفة الأخـرى من الراين الأدنى، وقد جرى إنكفاء هذه الفرقة بالفعل فى ٢٥ سبتمبر.

وكـانت أوضاع التـموين عـلى طول الجبـهة تسـوء بالتـدريج، فالجـيش الأول الأمريكى على ميمنتى كان - فى حوالى ٦ أكتوبر - عاجزا عن تطوير عملياته وفقا لأنه لم يكن يملك الذخائر الضرورية.

وفى ٧ أكـتوبر، بعـثت إلى «إيزنهاور» من إيندهوفن، بتـقرير كـامل عن وضع الجناح الشمالى وأشـرت فى هذا التقرير إلى أننى لن أتمكن من مواصـلة العمليات المقررة لبلوغ خـط الراين إلا إذا أمكن زيادة التموين المخـصص لهذه العـمليات، وأضفت: إننـى رجوت «برادلى» أن يأتى ليـرانى فى اليوم التـالى ٨ أكتوبر لـبحث الموقف معى.

وقـد علم «إيزنهـاور» أن «برادلى» سـيكون مـعى فى إيندهوفن فى ٨ أكـتـوبر فأرسل إلينا رسالة ضمنهـا وجهة نظره فى المشكلة التى وجدنا أنفسنا جميـعا أمامها وتبدأ هذه الرسالة بالعبارات الاتية:

إن الصعوبات الأساسية الناشئة على الجناح الشمالى تبدو متأتية من نقص فى القوة إزاء تعزيزات العدو، ولذلك فالخطة المتعلقة بالهجوم المنسق باتجاه الراين يجب أن تؤجل إلى أن يمكن الإتيان بفرق أمريكية من الشواطئ، ومع ذلك فإن المهمة الأولى لمجموعتى الجيوش لا تزال بلوغ خط الراين فى شمالى بون بأسرع ما يمكن للطاقة البشرية.

ولم نستطع- أنا «وبرادلى»- أن نوافق على هذا التصريح، وكان رأينا أن علينا أن نخفف عملياتنا باتجاه الراين إلى أن يتحسن وضع تموينانتا، وكتبت لإيزنهاور تقريرا وفقا لذلك، قلت له فيه: إننى أوقفت عمليات الجيش الثانى باتجاه الروهر وسأركز جهودنا الآن على ضواحى أنفرس بحيث يمكن تشغيل هذا المرفأ.

وفى اليوم التالى ٩ أكتوبر، تلقيت من «إيزنهاور» رسالة تقول:

«ما لم يرجع العمل إلى مرفأ أنفرس فى منتصف نوفمبر، فإن جميع العمليات ستتجمد ويتحتم على أن أشير أننى أعتبر أنفرس ذات أهمية رئيسية بين جميع عملياتنا على مجمل الجبهة من سويسرا حتى المانش».

وفى الشهر نفسه، بعد قليل ، وبعد أن أنجزت خططنا للمستقبل مع «دمبسى»، انتقلت إلى مقرى العام الرئيسى فى بروكسل، وكنت فيه أفضل تمركزا لممارسة قيادة شخصية على العمليات المعدة لتطهير ضواحى أنفرس، وهى مهمة الجيش الأول الكندى بقيادة «سايموندس».

وفى ٣ نوفمبر أنبأت «إيزنهاور» بما يلى:

يتوجب علىّ أن أبلغكم أن ضواحى انفرس ومصب نهر أسكو قد طهرت تماما من فلول العدو، وتستولى قواتنا الآن فى فالشرن على الساحل من دومبورج إلى وستكابل، وفى الجزء الغربى من فلاشنج التى هى فى إيدينا، استولينا على جميع

مواقع العدو الساحلية وعلى عدد من المدافع، وقد باشر كانسو الألغام عملهم فى المصب، وبلغ بعضهم ترنيوزن، ونحن نحتل كل بيفلاند الشمالية وبيفلاند الجنوبية، ولا يزال هناك بعض الأعداء فى شمالى جزيرة فالشرن وشمالها الشرقى، وهم على وشك الإبادة، وقد توقفت الآن كل مقاومة على أرض القارة جنوبى فالشرن، وفى منطقة كنوك، وأخذنا ١٤ ألف أسير منذ اجتيازنا قناة نيوبولد، وأن الاستعمال الكامل بكل حرية لمرفأ أنفرس ليس الآن إلا قضية بحرية.

وجاءنى الجواب الآتى:

إن للاستيلاء على ضواحى أنفرس أهمية كبرى بالنسبة لنا، وانا شاكر لكم أصدق الشكر، ولك شخصيا، لما أبديتموه من نشاط فى عملكم، وأرجوك أن تتفضل بنقل شكرى وتهانى لقائد القوات الكندية العام.

وفى ٦ نوفمبر، غادرت بروكسل لأقضى بضعة أيام فى إنجلترا، ولدى وصولى إلى إنجلترا، توجهت فورا لمقابلة رئيس الوزراء لأحدثه فى قضايانا، ولأقول له أيضا إن عليه الآن أن يتوقع استمرار الحرب فى الشتاء كله وحتى فى عام ١٩٤٥.

وفى ١٠ نوفمبر ، عدت إلى مقرى العام فى بروكسل.

* * * *

الفصل السادس عشر
معركة أرنهم
١٧ - ٢٥ سبتمبر ١٩٤٤

فى تحركنـا إلى الأمام على الجناح الشـمالى بغيـة احتـلال الروهر وفقـا لأوامر «إيزنهاور» اعتـرضتنا عقبتـان كبيرتان هما نهر الموز ونـهر الراين، وأيا كانت الطريق المختارة فقد واجهنا عقبات أخرى على شكل أقنية واسعة.

وكانت خطتى الإندفاع بقوة باتجاه الراين بعد أن نجـتاز كل هذه العقبات، وإنشاء رأس جسر فيما وراء الراين قبل أن يتمكن العدو من إعـادة تنظيم نفسه تنظيما كافيا لإيقافنا.

ولقد أعطيت الجحفل الأول الحليف المحـمل جوا بقيادة اللوتنان جنرال «براونن‌ج» وكان هذا الجحفل مـؤلفا من الفرقة الأولى البريطانية للمحـملة جوا، ومن الفرقة ٨٢ الأمريكية المحملة جوا، ومن الفرقة ١٠١ الأمريكية المحملة جوا، ومن لواء المظليين البولونى، وقد وضعت هذا الجحفل تحت قيادة الجيش الثانى بقيادة «دمبسى».

وقد سبق أن أوضحت أن هذه الإندفاعـة يجب أن تجرى بإتجاه أرنهم والأسباب الموجبة لذلك، وكان أهم ما فى الخطة تشكيل سجادة من القوات المحملة تنتشر من طرف لآخر على العقبات المائية الرئيسية الخمـس التى توجد على الخط العام للطريق المارة بايندهوفن نحو أودن وجرايف ونيميج ثم نحو أرنهم.

أمـا الجحـفل الثلاثون، بـقيـادة «هورروكس»، فعليـه أن يعـمل على طول خط السجـادة بالاتصال مع الفرقة الأولى البـريطانية المحملة جـوا فى منطقة أرنهم، وأن ينشىء فى شمالى هذه المدينة رأس جسر فـيما وراء الراين الشمالى، وعلى الجيش

الثانى بعدئذ أن يستقر فى المنطقة الواقعة بين أرنهم وبحر زفيدر مواجها الشرق لكى يكون قادرا على القيام بعمليات ضد الجانب الشمالى للروهر.

وبينما كان الجحفل الثلاثون يتقدم على طول خط السجادة المحملة جوا، كان على جحفلين آخرين توسيع خط التقدم، وهما الجحفل الثامن بقيادة «أوكونر» فى الشرق، والجحفل الثانى عشر بقيادة «ريتشى» فى الغرب.

وقد أطلق على مجمل هذه العملية اسم عمليه ماركت جاردن، وبدأنا فى شن هذه العملية نهائيا فى ١٧ سبتمبر ١٩٤٤، ولم ننشىء بالنتيجة رأس الجسر هذا فى شمالى أرنهم، ونتج عن هذا أننا لم نتمكن من تشكيل الجيش الثانى شمالى الراين الأعلى فى أرنهم، ووضعه بصورة يمكنه معها توسيع عملياته ضد الطرف الشمالى للروهر، ولكن الاستيلاء على مواقع اجتياز الموز فى جرايف، ومواقع اجتياز الراين الأسفل فى نيميج، كان كما ظهر فيما بعد، ذا قيمة كبرى.

ولقد حررنا قسما كبيرا من هولندا، وأصبحنا نملك نقطة الانطلاق التى نحتاج إليها لكسب المعارك اللاحقة فى ريناني، ومن غير هذه الانتصارات لم نكن قادرين على اجتياز الراين بقوة فى مارس ١٩٤٥، ولكننا لم ننشىء رأس الجسر الذى كان انشاؤه هدفنا، ويجب أن نعترف بذلك بكل صراحة.

لقد حالت أسباب كثيرة دون نجاحنا الكامل فى أرنهم، وهاك، فى رأيى، أهم هذه الأسباب:

١ - لم ينظر إلى العملية فى المقر العام الأعلى على إنها رأس الحربة لتحرك حليف كبير على الجناح الشمالى يستهدف عزل الروهر ثم احتلاله أخيرا، وهى المنطقة التى لا يستطيع الألمان فى الغرب السماح لأنفسهم بفقدها، وليس فى نفسى أى شك فى أن «إيزنهاور» قد أراد دائما إعطاء الأفضلية للإندفاعة باتجاه الشمال وكبح الإندفاعة باتجاه الجنوب، وقد أعطى الأمر

بذلك، وكان يعتقد أن هذا الأمر قد اقترن بنتيجة، لكن لم يكن الحال كذلك.

٢ - لقد ألقى بالقوات المحملة جوا فى أرنهم بعيدا عن الجسر أكثر مما ينبغى، وهو الهدف الأساسى، فقضت عدة ساعات فى بلوغه، وأنا أتهم نفسى بهذا الخطأ، لقد كان علىّ أن أعطى الأمر للجيش الثانى والجحفل الأول المحمل جوا بأن يجعلا لواء كاملا على الأقل من المظليين يلقى من الجو قريبا جدا من الجسر لكى يمكن الاستيلاء عليه فى بضع دقائق، وينظم الدفاع عنه دفاعا متينا دون إضاعة الوقت، ولكننى لم أفعل ذلك.

٣ - لم يكن الطقس ملائما لنا بعد اليوم الأول، فلم نستطع تنفيذ شىء كثير من برنامج القوات المحملة جوا، وكان يمكن أن يكون للعملية حظ من النجاح لو خصص لها موارد إضافية ولو أصبحت عملية حليفه بدلا من أن تبقى عملية بريطانية.

٤ - لقد أعاد جحفل العاصفة الثانى المدرع تنظيمه فى منطقة أرنهم، وهى المنطقة التى سيق إليها بعد أن ضرب بقوة فى نورماندى، وكنا نعلم أنه موجود هناك، ولكنا إستهنا بقيمته القتالية التى ظهر أنها أكبر مما ظننا، ولقد وضع هذا الجحفل المدرع سريعا فى العمل ضد الفرقة الأولى المحملة جوا.

ولقد شعرت بخيبة مريرة بعد معركة أرنهم كتلك التى شعرت بها بعد معركة نورماندى، فلقد كانت تلك محاولتى الثانية لفتح الروهر بسرعة، وكان من عادة «بيل ولیامز» أن يقول لى: إن الألمان لن يستطيعوا مواصلة الحرب أكثر من ثلاثة شهور بعد أن يفقدوا الروهر، ولكننا لم نكن قد استولينا عليه حتى الآن. وهنا

يتوجب علىّ الإقـرار بأننى أخطأت، لقد اسـتهنت بالصعـوبات الناشئة عن تطهـير ضواحى أنفرس، الذى سيتيح لنا استـخدام هذا المرفأ بحرية، فقد كنت أحسب أن الجيش الكندى يستطيع أن يتم هذا التطهير بينما نحن نتقدم نحو الروهر، وكان هذا خطأ.

* * * *

الفصل السابع عشر
قبل معركة الأردين

إن معركة الأردين بدأت في ١٦ ديسمبر ١٩٤٤ واستمرت حتى ١٦ يناير ١٩٤٥، وقد ولدت إحساسات بلغت من المرارة بين البريطانيين والأمريكيين حدا لا يمكنني معه إغفال الإشارة إليها هنا، ولكن أعتقد أن علينا أولا أن نصف الأحداث التي أوجدت هذه الإحساسات، إذ أن مثل هذا الدرس يدل على أنه كان من الممكن تجنب هذه المعركة بسهولة فائقة.

إن حرب الإنهاك في أشهر الشتاء، هذه الحرب التي فرضتها علينا استراتيجيتنا المغلوطة بعد إنتصارنا الكبير في نورماندي، أصبحت باهظة بالخسائر في الأرواح البشرية، وكانت الجيوش الأمريكية تعاني من نقص كبير في الذخائر، وفي جميع الفرق كان عدد الجنود أقل من العدد الطبيعي المعتاد، وكانت أوضاع الإمدادات سيئة، وأخذت الفرق الأمريكية في خط القتال تعاني جديا من تجليد الأقدام، وقد أثار قلقي في مجموعة جيوشي إزدياد الخسائر.

ولقد جاء «إيزنهاور» في ٢٨ نوفمبر يقضي السهرة معي في مقرى العام التكتيكي في زونهرفن، وجرت بيننا في هذه السهرة وفي صباح اليوم التالي محادثات طويلة ناقشنا خلالها الموقف الراهن الذي لم يكن حسنا، وهذا أقل ما يمكن أن يقال فيه.

وفي حديثي مع «إيزنهاور»، قلت له: إن مجموعة جيوش «برادلي» الثانية عشرة لا تبدو لي متوازنة توازنا حسنا من الوجهة التكتيكية، واقترحت من أجل توفير هذا التوازن التكتيكي أن تنقل بعض فرق «باتون» نحو الشمال وأن يوقف هجومه في الجنوب وقد نقل هذا الاقتراح إلى «برادلي» الذي بعث إلي في ٣ ديسمبر برسالة تقول إنه لا يستطيع توقيف الهجوم شارحا أسباب ذلك.

وقبل أن يغـادرنى فى ٢٩ نوفمبـر، اقترحت على «إيزنهـاور» أن من الأفضل جـدا عـقد اجتـمـاع بينه وبين «تدر» و «برادلى» وبينـى، ونستطـيع كلنا فى هذا الاجتماع شـرح وجهات نظرنا، ويستطيع هو إبلاغنا خطته للمـرحلة المقبلة، فوافق على الاقتراح وحدد للاجتماع موعداً فى ٧ ديسـمبر فى مايسترخت، حيث التقينا نحن الأربعة فى الساعة العاشرة والنصف قبل الظهر.

وهاك خلاصة ما دار فى هذا الاجتماع كما سجلتها فى يومياتى فى مساء اليوم ذاته:

استعـرض إيزنهاور ما حدث منذ بداية سبتـمبر، ثم تبين أن العمليـات الأخيرة أدت إلى نتائج جيـدة وأنها تتطور بصورة مرضـية، وختم إيزنهاور كـلامه قائلا إن غاية الإجتمـاع الإفصاح عن آرائنا وإتاحة المجال له كى يفكر فيها، مـضيفا أنه ليس فى نيته إعطاء أوامر نهائية قبل أن نفترق، فإذا لزم إصدار أية أوامر فسيصدرها فيما بعد.

فذكرت أن عـاملين رئيـيين يجب أن يسـيطرا على حل المشكلة لكسب الحرب بسرعة :

١ - إن الهدف الوحيد الجدير حقا بالمواجهة على الجبهة الغربية هو الروهر، فإذا نحن عزلناه عن سـائر ألمانيا فإن مقدرة الـعدو على مواصلة القتـال ستنهار بالتدريج.

٢ - من الضرورى إكراه الألمان على خوض قتال متحرك فى الربيع أو فى بداية الصـيف، فلم يبق لديهم إلا قليل من وسـائل النقل وقليل من البـترول، ودباباتهم لا تستطيع مضـاهاة دباباتنا فى قتال متحرك، فـحالما تغدو الحرب متحركة ستحل نهاية الألمان.

إن هذين العاملين أساسيان، ويستحيل رفضهما، وهما يستتبعان:

أ - أن الروهر يجب أن يكون هدفنا الاستراتيجى.

ب - أن جهدنا الرئيسى يجب أن يتركز فى الشمال إذ هناك- وهناك فحسب- توجد الأرض المناسبة للقتال المتحرك، أعنى شمالى الروهر.

إن جميع خطوط السير الأخرى فى داخل ألمانيا لن تعطى النتائج المبتغاة، إذ أن الأرض وعرة وهيئتها تساعد على الحرب الدفاعية.

إن سلوك طرقات أخرى غير ذلك الطريق لن يكون من شأنه إلا إطالة أمد الحرب، مما يناسب العدو لأن المعركة ستكون معركة دفاعية ثابتة.

إن علينا أن نكون أقوياء فى الشمال إلى حد نستطيع معه الحصول على نتائج حاسمة دون أن يكون هناك إمكان للفشل.

إننا نعمل فى الوقت الحاضر وفقا للخطة التى تضمنها توجيه إيزنهاور المؤرخ فى ٢٨ أكتوبر، على أن هذه الخطة لم تبلغ مرحلة النضج، إننا نطلب الآن خطة جديدة تشتمل مراحلها المتوالية على أهداف لم تلحظها الخطة الرئيسية، والخطة الجديدة يجب أن تفى بحاجات استمرار القتال خلال أشهر الشتاء بشكل ينهك قوة العدو، ولا شك أن الوحل ونقص المساندة الجوية سيكونان سببا فى نشوء صعوبات، ولكن علينا خلال الشتاء القيام بعمليات تهدف إلى:

أ - بلوغ الأهداف الوسيطة باتجاه الروهر.

ب - تمركزنا فى موقع أمامى جيد للقيام بقتال متحرك فى الربيع.

وهناك عامل بالغ الأهمية فى عملياتنا فى الشتاء هو إجبار جيش البانزر الألمانى السادس على خوض المعركة ودحره بصورة حاسمة، فإن هذا الجيش هو احتياطى العدو الإستراتيجى الوحيد على الجبهة الغربية، ويشتمل على الفرق الوحيدة التى

لها بعض الحظ فى النجاح فى القتال المتحرك، فهذه الفرق يجب إذن أن تضرب خلال أشهر الشتاء بصورة تصبح معها خارج المعركة عندما يحل الربيع، وسيقاتل الألمان بضرواة ليمنعونا من دخول الروهر ولكى تبقى الحرب ثابتة، وسيحاولون بكل ثمن تفادى تحول القتال إلى قتال متحرك، فلن تكون هناك إذن صعوبة فى حملهم على أن يردوا فى غربى الراين.

ويتلخص مفهومى للخطة الجديدة بأن تعمل مجموعتا الجيوش الثانية عشرة والحادية والعشرون معا فى شمالى الأردين، على أن يكون الجناح الأيمن لمجموعة الجيوش الثانية عشرة فى ضواحى بروم، وستلاقى الإندفاعة القوية على خط بروم - بون أرضا صالحة للعمليات وتتفادى خطوط الدفاع والحواجز الموجودة.

وتعمل مجموعة الجيوش الثانية عشرة باتجاه الراين على الخطين الرئيسيين، بروم - بون - ،ودورن - كولونى.

أما الميسرة التى تضم على الأقل عشر فرق، فتعمل فى الشمال باتجاه إندفاعة مجموعة الجيوش الحادية والعشرين القادمة من الجنوب بين الموز والراين، وتزداد قوة مجموعة الجيوش الثانية عشرة حتى تبلغ ما يقرب من ٣٥ فرقة.

أما مجموعة الجيوش الحادية والعشرون فتشن بعد إعادة تجمعها هجوما قويا فى منطقة نيميج، باتجاه الجنوب بين الموز والراين، مستهدفه الاستيلاء على كل الأرض الواقعة بين الموز والراين، حتى خط أورسوى - فنلو، فى الجنوب.

وسيكون هذا هو العمل الهجومى الوحيد على جبهة مجموعة الجيوش الحادية والعشرين ،وسيتقدم ببطء خلال أشهر الشتاء، وموعده الأقصى أول يناير.

وتعزز مجموعة الجيوش الحادية والعشرون بفرق أمريكية، وفرق محملة حسب حاجاتها، وتجتاز الراين فى مواضع مختارة بين فيسل ونيميج ، ثم تقوم بعلميات

متحركة فى شمالى قناة ليب وفى شمالى النهر، مستهدفة الالتفاف حول الروهر من الشمال ودخول ألمانيا، وهذا يمكن أن يحدث فى مارس ١٩٤٥، وتجتاز مجموعة الجيوش الثانية عشرة الراين فى منطقة بون، وتقوم بعمليات التفاف حول الروهر من الجنوب، وتواصل مجموعة الجيوش السادسة، وقاعدتها مرسيليا، العمل فى السار بمقدار ما تسمح لها به قوتها ومواردها، وألاحظ أن من الصعب فى هذه المرحلة التنبؤ بالضبط كيف ستتطور العمليات المرسومة أعلاه؟، وعلى مجموعتى الجيوش فى شمالى الأردين، المجموعة الثانية عشرة والمجموعة الحادية والعشرين أن تبحثا أولا عن القتال فى غربى الراين وتجتذبا كل قوات الاحتياطى الاستراتيجية لدى الألمان وتدمرها، ثم تتقدما نحو الراين، ولا يمكن تقرير ما تبقى بتفاصيله فى الوقت الحاضر.

ثم إننى أدعو إلى أن يتولى قائد أعلى واحد الإشراف على العمليات وإدارة جميع القوات فى شمالى الأردين، وهذا القائد الأعلى يجب أن يكون إما «برادلى» أو أنا، وأنا مستعد للخدمة تحت إمرة « برادلى».

وعرض «إيزنهاور» فكرته العامة عن الحملة وهى كالتالى:

أ - فى الشمال، تكون مجموعة الجيوش الحادية والعشرون والجيش التاسع الأمريكى المؤلف من تسع فرق، تحت قيادة واحدة، ويجب أن يبلغ خط حدود مجموعة الجيوش الحادية والعشرين نهر الراين فى ضواحى أورسوى على الزاوية الشمالية الغربية للروهر، وستكون مهمة مجموعة الجيوش هذه إجتياز الراين والالتفاف حول الروهر من الشمال.

ب - يخصص الجناح الأيسر لمجموعة الجيوش الثانية عشرة لصد العدو، فهو لن يجتاز الراين بقوة ولكنه يتظاهر بذلك ويقوم بتهديدات فى منطقة كولونى

- بون؟ وأبعد إلى الجنوب، وبعبارة أخرى: لن تكون هناك إندفاعة قوية فى هذا المكان.

جـ - على الجانب الجنوبى يقوم الجناح الأيمن لمجموعة الجيوش الثانية عشرة بضغط قوى على خط فرانكفورت - كاسل.

د - إن الغرض العام لهذه الخطة يتألف من هجومين، أحدهما يلتف حول الروهر من الشمال، والآخر يلتف حوله من الجنوب، وبين هذين الهجومين تجرى تهديدات وتظاهر بالهجوم، وتنتشر مجموعة الجيوش الثانية عشرة من أورسوى ممتطية الأردين، حتى وورمز.

وسألنى «إيزنهاور» عن انطباعى إزاء خطته، فذكرت له أننى لا أستطيع الموافقة على خطته، فإذا نحن بعثرنا مواردنا لم يعد بالإمكان القيام بأية إندفاعة قوية للحصول على نتائج حاسمة، وهذا ما فعلناه سابقا وندفع الآن ثمن أخطائنا، وكنت آمل ألا نعيد الكرة، وأضف أننا نشكو حاليا من سوء تنظيم القيادة وعجزه، وخطة «إيزنهاور» لا تحسن هذا التنظيم، وإنما هى فى الحقيقة تزيده سوءا، وختمت كلمتى بمرافعة قوية لصالح القيام بحشد فى الشمال لجميع القوات المتوفرة، وشن هجوم من هذه المنطقة يكون من القوة بحيث يتأكد النجاح، ورافعت أيضا من أجل تنظيم القيادة تنظيما منطقيا، فأعلنت أننى أرى أننا، دون هذين الإصلاحين، لن ننجح، وسيحل الربيع قبل أن نكون مستعدين للمهمة التى تنتظرنا.

ولم يوافق «إيزنهاور» على وجهة نظرى، بل كان يرى أن سبيل كسب هذه الحرب هو القيام بزحفين قويين:

أ - أحدهما يلتف حول شمال الروهر.

ب - والآخر يلتف حول خط فرنكفورت - كاسل.

على أن تجرى بين هذين الزحفين تهديدات وتظاهر بالهجوم.

لم يسفر اجتماع ٧ ديسمبر فى مايسترخت عن شىء، لقد أملت فى أن نصل إلى اتفاق ينتقل بموجبه ثقل قواتنا الأكبر نحو الشمال، وكنت أرغب فى أن يتجه نشاط مجموعتى الجيوش الثانية عشرة والحادية والعشرين نحو الروهر، وأن تكلف هاتان المجموعتان بأن تفرضا على العدو قتالا متحركا فى بداية الربيع فى سهول ألمانيا الشمالية، ولكن لم يتخذ أى قرار بهذا المعنى، وفى هذه الأثناء تشكلت مجموعة جيوش «برادلى» الثانية عشرة فى احتشادين رئيسيين، وتشكل كل من هذين الاحتشادين أيضا من أجل الهجوم، وكان بينهما مسافة تبلغ نحو مائة ميل يغطيها الجحفل الثامن الأمريكى المؤلف من أربع فرق تحت قيادة «ميدلتون».

* * * *

الفصل الثامن عشر
معركة الأردين
١٦ ديسمبر ١٩٤٤ - ١٦ يناير ١٩٤٥

فى صباح يوم ١٦ ديسمبر ١٩٤٤، وأثناء ممارستى للعبة الجولف مع «واى ريز» أستاذ الجولف الشهير وسائق لقائد القاعدة الجوية في إيندهوفن، وصلتنى رسالة تخبرنى أن الألمان شنوا فى صباح اليوم نفسه هجوما عنيفا على جبهة الجيش الأول الأمريكى، وأن الموقف غامض، فعدت بالطائرة إلى مقرى العام التكتيكى فى زونهوفن.

وقد وجهت الضربة بصورة رئيسية إلى جزء من جبهة الجيش الأول الأمريكى، وهو الجزء الذى يرابط فيه مرابطة ضعيفة فى الأردين الجحفل الثامن بقيادة «ميدلتون»، وفتحت ثغرة عميقة فى الخطوط الأمريكية.

لقد ساء الموقف بسرعة، وأخيرا شقت مجموعة جيوش «برادلى» الثانية عشرة إلى قسمين وكان مقره العام فى لوكسمبورج، حيث لم يكن يستطيع من هناك الإشراف على النصف الشمالى من مجموعة جيوشه، ولقد كنت أعرف الموقف بفضل فريق ضباط الاتصال التابع لى، فاتخذت ترتيبات لتأمين سلامة الجناح الأيمن والمؤخرة اليمنى لمجموعة الجيوش الحادية والعشرين ، مهما حدث.

وفى الساعة ١٠,٣٠ قبل ظهر ٢٠ ديسمبر، اتصل بى إيزنهاور هاتفيا من مقره العام وأعطانى أمرا بأن أتسلم على الفور قيادة جميع القوات الأمريكية على الجانب الشمالى من النتوء، وقد وضع هذا الأمر جيشين أمريكيين تحت قيادتى، وهما الجيش التاسع «سمبسون» الموجود إلى يمينى مباشرة والجيش الأول «هودجز» الموجود إلى يمين الجيش التاسع، وكان الجيش الأول يقاتل قتالا يائسا.

وبعد أن أعطيت أوامرى لدمبسى ولكريرر اللذين أتيا لحضور اجتماع فى الساعة ١١,٠٠، توجهت ظهرا إلى المقر العام للجيش الأول، وكنت أعطيت سمبسون تعليمات بأن يلاقينى هناك، وعلمت أن الجانب الشمالى من النتوء قد فقد نظامه، وكان الجيش التاسع يضم جحلفين وثلاث فرق، والجيش الأول ثلاثة جحافل وخمس عشرة فرقة، وكان يجب أولا النظر إلى المعركة على الجانب الشمالى ككل، والتأكد من أن المناطق الأساسية محمية حماية قوية، وإيجاد قوات احتياطية لشن هجوم معاكس، وانصرفت إلى واجب اتخاذ التدابير المناسبة، فوضعت تحت قيادة الجيش التاسع قوات بريطانية لتقاتل إلى جانب القوات الأمريكية، وجعلت هذه الأخيرة تأخذ جزءا من جبهة الجيش الأول، ووضعت قوات بريطانية فى الاحتياط خلف الجيشين الأول والتاسع إلى أن يمكن إيجاد قوات أمريكية احتياطية.

وهكذا استطعنا أن نحمى المواقع ببطء لكن حماية مؤكدة ، واستقام الموقف بالنتيجة، وقام برادلى بعمل مشابه فى الجانب الجنوبى بواسطة الجيش الثالث.

وفى ١٦ يناير اعتبرت المعركة منتهية وأعطانى إيزنهاور الأمر بأن أعيد- فى ١٧ يناير- الجيش الأولى إلى برادلى على أن يبقى الجيش التاسع تحت إمرتى.

إن الحلفاء أصيبوا حقا فى معركة الأردين بضربة قاسية، فقد فقد الأمريكيون نحو ٨٠ ألف رجل، ولم يكن هذا ليحدث أبدا لو كانت لنا استراتيجية مقبولة بعد إنتصارنا العظيم فى نورماندى، أو لو أننا حققنا فقط توازنا تكتيكيا فى تشكيلات القوات البرية عندما تطورت حملة الشتاء.

أضف إلى ذلك أن هذه المعركة قد أضاعت علينا ستة أسابيع، مع كل ما استتبعه هذا التأخر من نتائج سياسية فى وقت كانت تقترب فيه نهاية الحرب.

* * * *

الفصل التاسع عشر
إنتهاء الحرب فى أوروبا

ابتداءً من أول سبتمبر ١٩٤٤ لم أكن راضيا عن تنظيم القيادة والإشراف على العمليات، لقد كان انتقادى الرئيسى منصبا على كون قيادة العمليات المباشرة للجيوش التى تخوض القتال لا تشتمل كما كانت فى السابق على اتصال حميم بقواد الجحافل والفرق والوحدات ، فالقائد الأعلى عليه أثناء المعركة أن يمسك جيدا بزمام الموقف وأن يكون متقدما إلى الأمام، ولقد حققت هذا المطلب فى نورماندى، أما الآن فما من أحد يهتم به، فإذا بنا نلاقى متاعب.

وبعد أن قرأ إيزنهاور مذكرتى، أجابنى مباشرة برسالة مؤرخة فى ١٣ أكتوبر يقول فيها إنه لا يعتقد أن رجلا واحدا يستطيع إدارة عمليات المعركة البرية على جبهة تمتد من سويسرا إلى بحر الشمال، فإن طول هذه الجبهة يستلزم قائدا يوزع على مختلف المجموعات العاملة فى مختلف القطاعات المهمات المناسبة، وهذا القائد يجب أن يكون القائد الأعلى نفسه، وتشير الرسالة أيضا إلى مسألة القومية باعتبارها متعارضة مع الاعتبارات العسكرية المحضة.

وكنا نجتاز فترة عصيبة، وكان على إيزنهاور أن يواجه الموقف الذى تنبأت له به لدى التقائنا فى ٢٣ أغسطس فى مقرى العام التكتيكى، فإن استراتيجيته وعدم وجود خطة، قادانا إلى الوضع المخيب للآمال فى أكتوبر، وكان إيزنهاور حزينا بشكل واضح، ولذلك قررت التخلى عن الأخذ والرد فى موضوع القيادة الوحيدة.

لقد طويت الصفحة الآن، فلم يعد أمامنا إلا محاولة الوصول إلى خطة صائبة لحملة الشتاء التى تنتظرنا، وتنسيق جهود مجمل القوات الحليفة تنسيقا ملائما، وأثناء

معركة الأردين أجبر سير الأحداث القاسى إيزنهاور على أن يفعل ما كنت أقترحه دائما، فسلمنى قيادة عمليات الجناح الأيسر لقوات الحلفاء، واضعا تحت قيادتى جيشين أمريكيين.

وفى ٢٨ ديسمبر، جاء إيزنهاور يزور الجناح الشمالى، وجرى لى معه حديث طويل فى قطاره الخاص فى هاسلت، وكان زمام معركة الأردين قد أصبح الآن فى أيدينا وانصب حديثنا بشكل خاص على ما يجب فعله عندما تنتهى هذه المعركة، وكررت له أن الروهر هو فى رأيى الهدف المباشر، فكل القوة المتوفرة يجب أن تحشد وتركز لبلوغه، والإشراف على عمليات القوات المشتركة فى هذه العملية يجب أن يمارسه قائد واحد.

وفى هذه الأثناء كان إيزنهاور قد أعد مسودة خطة من ابتداعه، وفى ٣١ ديسمبر، كتب إلىّ بخط يده الرسالة الاتية:

عزيزى مونتى:

تجد طيه الخطوط الكبرى لخطتى المشتملة على العمليات بمقدار ما يمكن التنبؤ بها، والأمر يدور فى الوقت المباشر حول توجيه سلسلة من الضربات للعدو فى النتوء مدمرين أكبر قدر مستطاع من قواته، وبعد ذلك تقضى الخطة بحشد كل ما هو ضرورى لتدمير العدو فى شمال بروم - بون ، ملقية على عاتق كل منكما، أنت وبرادلى، المهمة المنوطة به، وتقضى الخطة أيضا بإنشاء قوة كبيرة فى شمال الروهر عندما يتم اجتياز الراين، أما فيما يتعلق بالقيادة فلست أوافقك على الفكرة القائلة بأن يخوض قائد مجموعة جيوش معركته الخاصة وهو يعطى فى الوقت نفسه أوامر لقائد مجموعة جيوش أخرى، وخطتى تضع جيشا أمريكيا كاملا تحت قيادة مجموعة الجيوش الحادية والعشرين، وهو أمر أعتبره ضروريا من الوجهة العسكرية، ويعكس بكل تأكيد الثقة التى لى بك، ولو كان الأمر على خلاف ذلك

لما أمكننى اتخاذ هذا القرار، تفضل بقراءة هذه الوثيقة بعناية، ولاحظ بأى وضوح قررت بعد إزالة النتوء، تعزيز مجوعة الجيوش الحادية والعشرين وتكليفها بمهمة خطيرة تحت قيادتك، أضف إلى ذلك أن برادلى سيكون على مقربة من مقرك العام.

أننى أعرف ولاءك كجندى والاندفاع الذى تتصرف به إلى المهمات الموكولة إليك.

صديقك الدائم

آيك

وانصرفت إلى درس مشروع الخطة هذا، فإذا به يعطينى كل ما أرغب فيه إلا فى شأن الأشراف على العمليات، لأن هذا الموضوع استبعد على أثر برقية الجنرال مارشال وهذه الخطة تضع فى الشمال كل ثقل العمليات وتلحق الجيش التاسع الأمريكى بمجموعة الجيوش الحادية والعشرين، وتخولنى سلطة التقرير فى حالة الخلاف مع برادلى على تخطيط الحد بين مجموعتى الجيوش الثانية عشرة والحادية والعشرين، والواقع أن هذه الخطة تعطينى على وجه التقريب كل ما كنت أطالب به منذ شهر أغسطس، ولأن يتم الأمر متأخراً خير من أن لا يتم أبدا، ولم أكن طبعا أستطيع أن أطلب أكثر من ذلك. ولقد بدأنا عملية «الحقيقة» فى غابة رايخسفولد فى شرقى نيميج فى فبراير، زاحفين باتجاه الجنوب بجناحنا الأيسر نحو الراين، وهجم الجيش التاسع الأمريكى فى الشمال فى ٢٣ فبراير، وزحف جناحه الأيمن باتجاه دوسلدورف، بالاتصال مع هجوم الجيش الكندى.

وفى ١٠ مارس انتشرت قوات الجيش التاسع الأمريكى ومجموعة الجيوش الحادية والعشرين على ضفة الراين الغربية، من نويس إلى نيميج، بعد أن دمرت جميع الجسور، وفى هذه الأثناء استولى الجيش الأول الأمريكى فى ٧ مارس فى

ريماجن على جسر سكة الحديد سليما، وسرعان ما أنشأ رأس الجسر على الضفة الشرقية، وقد كانت أهمية رأس الجسر هذا كبيرة جدا بالنسبة لعملياتنا اللاحقة، فهو لم يجمد فقط فى هذه المنطقة عددا كبيرا من فرق العدو الباقية، وإنما كان له أثره على كل الحملة إذا أمكننا استغلاله كما نشاء، وفى الأسبوع الثالث من مارس كانت الجيوش الحليفة قد أقتربت من الراين على طول مجراه، من سويسرا حتى البحر.

وفى شهر مارس وقبل عبور الراين، درست وضعنا الإدارى، فوجدته حسنا، فقد كانت لدينا كميات احتياطية ضخمة من البترول والذخائر والمنتجات الغذائية، وحالة القوات الصحية ممتازة، وبلغ مجموع خسائرنا منذ يوم الغزو فى ٦ يونيو ١٩٤٤ حتى ٢٢ مارس ١٩٤٥ الأرقام الآتية:

قتلى: ٣٥٨٢٥ جرحى: ١١٤٥٦٣ مفقودون: ١٧٩٩٠

وأخذت مجموعة الجيوش الحادية والعشرون ٢٥٠ ألف أسير تقريبا، وفى كل يوم كان نحو ٤ آلاف جندى وضابط يذهبون فى إجازة إلى إنجلترا، وقد خططنا لرفع هذا العدد حتى ٦ آلاف كل يوم، إبتداء من أول أبريل.

وما كدنا نجتاز الراين حتى أخذت أدرس مع إيزنهاور خطط العمليات المقبلة، فعقدنا اجتماعات عدة، ولقد كنت أعطى برلين الأفضلية على سائر أهدافنا ، فهى مركز سياسى، وكنت أشعر أننا إذا استطعنا أن نسبق إليها الروس فستكون الأمور أيسر علينا بكثير فى السنوات التى تعقب الحرب، ولكنه لم يوافق على رأيى هذا.

لقد كنت مقتنعا - بعد انتصار نورماندى - بأن انهزام القوات الألمانية المسلحة النهائى بات وشيكا، فالنقطة الهامة كانت إذن أن نتصرف بشكل نحقق معه فى أوروبا - حين يأتى هذا اليوم- توازنا سياسيا يساعدنا نحو الدول الغربية على ربح

السـلام، وكان هذا يعنى أن علينا أن نسـتولى قـبل الروس على عدد من المـراكز السياسية الأوروبية ، لا سيما فيينا وبراغ وبرلين، ولو كان لزعماء الغرب السياسيين الحس بالوقائع ، ولو أعطيت التعليمات المناسبة للقواد الأعلين، لتمكنا من الاستيلاء على العواصم الثلاث قبل الروس، لكن ماذا حدث؟

لقد تناقصت إمكانية إستيلائنا على فيينا عندما تقررت عملية التنين، وهى عملية النزول فى جنوبى فرنسـا، فقد أخذت القـوات اللازمة لهذا النزول من قوات الفيلد مارشال الـكسندر فى إيطاليا، مما عرقل عملـياته، ويمكننا أن نشير إلى أن سـتالين وافق على عمليـة التنين بحمـاسة، وهذا طبيـعى إذ أن هذه العمليـة تضمن له أن تصل قواته إلى فيينا قبل قواتنا.

أمـا فـيمـا يتـعلق ببـراغ، فـقـد أوقف الجيش الـثالث علـى الحدود الغـربيـة لتشيكوسلوفاكيا حتى آخر أبريل لأسباب ما تزال مجهولة عندى.

ولقد فقدنا برلين منذ أن أهملنا فى أغسطس ١٩٤٤ بعد انتصار نورماندى وضع خطة مقبولة للعمليات ، فالأمريكيون لم يكونوا ليستطيعوا أن يفهموا أن لربح الحرب استـراتيجيا قـيمة ضئـيلة إذا نحن خسرناها على الصـعيد السيـاسى، وبسبب من نظراتهم الغربية واجـهنا كل تلك الصعوبات منذ يوم النصر ولا نزال نواجهـها حتى الآن، إن الحرب أداة سياسية، فمنذ اللحظة التى يتأكد فيها أن الحرب سـتربح يجب أن تسيطر على مجراها الاعتبارات السـياسية.

ولم يبق هناك الكثيـر مما يمكن قوله ولم يقـله سواى، أمـا وقد أصـبح الراين وراءنا، فقد تقدمنا إلى الأمام باتجـاه البلطيق، وكان غرضى أن نصل إليه فى الوقت المناسب لمنع الروس مـن الدخول إلى الـدانمارك والسيـطرة على مـدخل البلطيق، ولكى نزيد من سرعة تقدمنا، كانت الفرق تعمل بعمق على خطوط إندفاع ضيقة، وكانت مدرعـاتنا تطوق مناطق مقاومة العـدو ثم تهاجمهـا من الجنب قوات أخرى

متقدمة وراء المدرعات، وفى نهاية الأمر، تفوقنا على الروس، فقد بلغنا البلطيق فى فيـــسمار وفى لوبك فى ٢ مايــو، مقفلين بذلك شبــه الجزيرة الدانماركيــة قبل ست ساعات تقريبا من وصول الروس.

وأنشأنا جبهة شرقية ممتدة مــن فيسمار على البلطيق إلى دومتز على نهر الألب، وكانت قوات ألمانية ومدنيون ألمان يتدفقون على جناحنا محاولين الفرار من الروس، وكانت لنا جبهة غربية ممتدة من لوبيك نحو باد أولدسلو وجنوبى الألب، وبين هاتين الجبهتين كان يسود إضطراب وفوضى كبيران، فعلى هذه الطرق كان عدد كبير من الجنود والمدنيين الألمان يتـزاحمون بالمناكب قادمين مـن الشرق، وفى ٢ و ٣ مايو، بلغ عدد الأسرى الذين وقعوا فى يد الجيش الثانى نحو نصف مليون.

وهكذا وجدت ألمانيا الهتلرية نفسها وجها لوجه أمام كارثه كاملة.

* * * *

الفصل العشرون
استسلام ألمانيا

فى ٢٧ أبريل، تلقيت من وزارة الحربية تقريراً يقول: إن «هملر» قدم فى ٢٤ أبريل عرضا للاستسلام بواسطة الصليب الأحمر السويدى، معلنا أن «هتلر» فى حالة يائسة، وأن له هو كل الصفة للعمل، فلم أولِ هذا التقرير أى اهتمام، إذ كان الروس القادمون أشد خطراً فى رأيى من الألمان المهزومين حتى الموت، ومهمتنا الأساسية المباشرة هى الزحف إلى الأمام بأقصى سرعة، وبلوغ البلطيق وتشكيل جناح قوى فى وجه الشرق، فهذا هو السبيل الوحيد لمنع الروس من الدخول إلى شلسفيج - هولشتاين، ثم إلى الدانمارك.

وتتوالى الأحداث الآن بسرعة، وفى ساعة متأخرة من يوم أول مايو التقطنا إذاعة ألمانية تقول: إن هتلر مات فى مركز قيادته فى برلين، وأنه عين الأميرال «دونتز» ليخلفه كفوهرر، ولم تكن هناك أية إشارة إلى «هملر».

وبعد ظهر ٢ مايو، بعث الجنرال «بلومزت»، الذى كان يقود جميع القوات الألمانية البرية بين البلطيق ونهر الفسر، برسالة إلى المقر العام للجيش الثانى يقترح فيها القدوم فى صباح اليوم التالى لعرض استسلام قواته، ولكنه لم يأت، بل أرسل رسالة جديدة تقول إن مفاوضات ستجرى على مستوى أعلى.

وفى ٣ مايو، أرسل الفيلد مارشال «كايتل» وفدا إلى مقرى العام بمقاطعة لونبورج بغية الشروع فى مفاوضات للاستسلام بإذن من الأميرال «دونتز»، وكان هذا الوفد الذى وصل فى الساعة ١١,٣٠ يضم:

* الجنرال أميرال «فون فريد بورج» القائد الأعلى للبحرية الألمانية.

* الجنرال «كنزل» رئيس أركان حرب الفيلد مارشال «بوش» الذى كان يقود القوات الألمانية البرية على جناحى الغرب وعلى جناحى الشمال.

* الأميرال «فاجنر».

* الماجور «فرايدل»، ضابط أركان الحرب.

وفيما بعد انضم إلى الوفد الكولونيل «بولك»، وهو ضابط آخر فى أركان الحرب. وقد جىء بهم جميعا إلى مكان مركبتى فاصطفوا فى ظل العلم البريطانى الذى كان يرفرف مختالا فى النسيم.

وجعلتهم ينتظرون بضع دقائق ثم خرجت من مركبتى واتجهت نحوهم، فأدوا التحية جميعا تحت العلم البريطانى، وكانت لحظة مؤثرة، فقد كنت أعلم أن هؤلاء الألمان جاءوا للاستسلام، وأن الحرب قد انتهت.

وعندئذ قرأ لى الأميرال «فريد بورج» رسالة من الفيلد مارشال «كايتل» يقترح فيها أن تستسلم لى الجيوش الألمانية الثلاثة التى تتراجع أمام الروس بين برلين وروستوك، فرفضت العرض قائلا إن هذه الجيوش يجب أن تستسلم للروس، وأضفت أنه إذا جاء جنود ألمان إلى جبهتى رافعين أيديهم، فسيؤخذون بالطبع أسرى بصورة أتوماتيكية، فقال «فريد بورج»: إن الاستسلام للروس الذين هم قوم متوحشون أمر غير معقول، إذ أن الجنود الألمان سيرسلون على الفور إلى روسيا ليشتغلوا هناك.

فلفت نظره إلى أنه كان على الألمان أن يفكروا بهذا كله قبل أن يبدأوا الحرب، وخصوصا قبل أن يهاجموا الروس فى حزيران ١٩٤١.

وقال «فون فريد بورج» بعد ذلك: إنهم كانوا قلقين جدا بشأن سكان ميكلمبورج التى اكتسحها الروس، وأنهم يريدون أن يدرسوا معى الطريقة التى

يمكن بها إنقاذهم، فأجبته أن ميكلمبورج ليست من منطقة العمليات التابعة لى، وأن هذه المشكلة يجب بحثها مع الروس، وأضفت أن عليهم أن يفهموا أننى أرفض التفاوض فى أى موضوع يتعلق بالموقف على جبهتى الشرقية بين فيسمر ودونتز، وأن عليهم أن يتوجهوا إلى الروس فى هذا الموضوع، وسألتهم بعدئذ إن كانوا يريدون أن يدرسوا معى كيف يمكن أن يتم استسلام قواتهم على الجبهة الغربية، فأجابوا أنهم لا يرغبون فى ذلك، وإنما هم قلقون بشأن السكان المدنيين فى هذه المنطقة، وأنهم يريدون التفاهم معى على خطة لتراجع قواتهم تراجعا متمهلا كلما تقدمت قواتى إلى الأمام ، فرفضت ذلك.

ووجهت حديثى لفون فريد بورج، فقلت له: هل تريد أن تتصرف بحيث تستسلم لى كل القوات الألمانية الموجودة على جناحى الغرب والشمال، بما فيها جميع القوات الموجودة فى هولندا، وفى منطقة فريزلند، وفى شلفيج - هولشتاين، وفى الدانمارك؟ إذا كنتم موافقين على ذلك فإننى أعتبر هذا الاستسلام استسلاما تكتيكيا فى ميدان القتال لجميع قوات العدو التى تعترضنى مباشرة، وللقوات التى تحتل الدانمارك أيضا.

فأجاب أنه لا يستطيع أن يوافق على هذه النقطة، ولكنه راغب فى الوصول إلى ترتيب ما بشأن السكان المدنيين فى هذه المناطق، فلم أقبل البحث فى هذا الموضوع، وقلت عندئذ إنه إذا كان الألمان يرفضون مواجهة استسلام القوات الموجودة فى المناطق التى ذكرتها - دون قيد ولا شرط - فسأعطى الأمر بمواصلة القتال، وسيسفر عن ذلك مقتل عدد أكبر من الجنود الألمان، وعدد أكبر أيضا بلا ريب من المدنيين نتيجة نيران المدفعية والغارات الجوية.

وبعد الغذاء، عقدنا الاجتماع هذه المرة فى الخيمة المخصصة لمؤتمراتى، وعلى الطاولة خريطة الموقف الحربى، وبدأت الحديث بتوجيه إنذار إليهم، فجميع قواتهم

الموجودة فى المناطق التى ذكرتها آنفا يجب أن تستسلم دون شروط، فإذا قبلوا هم هذا، فسأبحث معهم فى كيفية إحتلال هذه المناطق مع المحافظة على سلامة السكان المدنيين، وإذا رفضوا فسيستمر القتال.

وشعروا على الفور بأننى سأتصرف وفقا لما أقول، وقالوا إنهم غير مخولين حق قبول طلباتى، بيد أنهم مستعدون الآن لتوصية الفيلد مارشال «كايتل» بأن تستسلم دون شروط جميع القوات الموجودة، على الجناحين الغربى والشمالى لمجموعة الجيوش الحادية والعشرين، وعاد اثنان منهم إلى قيادة الجيش الألمانى العليا حيث قابلا «كايتل» وحملا إلينا موافقته، وحررت عندئذ وثيقة تلخص المقررات التى توصلنا إليها فى اجتماعنا.

وكانت وثيقة الاستسلام جاهزة، وكانت الترتيبات المتخذة تحت الخيمة بسيطة للغاية، وكان على الطاولة ميكروفون لمحطة الإذاعة البريطانية.

وتحت هذه الخيمة المنصوبة فى مقاطعة لونبورج، قرأت على الملأ بالإنجليزية وبحضور رجال الصحافة وغيرهم من المشاهدين وثيقة الاستسلام، وقلت إنه إذا لم يوقع الوفد الألمانى فورا هذه الوثيقة دون طرح أية أسئلة حول ما سيحدث بعد الاستسلام، فسأعطى الأمر بمواصلة القتال، ثم وقعت الوثيقة باسم الجنرال «إيزنهاور».

* * * *

وثيقة استسلام
جميع القوات الألمانية المسلحة

فى هولندا وفى شمالى غربى ألمانيا بما فيها الجزر وفى الدانمارك

١ - توافق القيادة العليا الألمانية على أن تستسلم للقائد الأعلى لمجموعة الجيوش الحادية والعشرين جميع القوات الألمانية المسلحة الموجودة فى هولندا، وفى شمالى غربى ألمانيا بما فيها جزر فريز وهليجولند وسائر الجزر الأخرى، وفى شلسفيج - هولشتاين، وفى الدانمارك، ويشمل الاستسلام جميع السفن الحربية الموجودة فى هذه المناطق، وأن هذه القوات تلقى أسلحتها وتستسلم دون قيد ولا شرط.

٢ - تتوقف فى الساعة الثامنة- حسب التوقيت البريطانى- من صباح يوم السبت فى ٥ مايو ١٩٤٥ جميع العمليات الحربية فى البر والبحر والجو من جانب القوات المسلحة فى المناطق المذكورة أعلاه.

٣ - تنفذ القيادة العليا الألمانية على الفور ودون مناقشة أو تعليق كل الأوامر التى يمكن أن تعطى لها فيما بعد فى أى موضوع كان من جانب الدول الحليفة.

٤ - إن عدم تنفيذ الأوامر، أو عدم طاعتها يعتبران خرقا لشروط هذا الاستسلام وتعاملهما الدول المتحالفة وفقا لأنظمة الحرب وعاداتها.

٥ - إن وثيقة الاستسلام هذه مستقلة، ولا تنتقص ولا تحل محل أية وثيقة استسلام عام تفرضه الدول الحليفة أو يفرض باسمها ويشمل ألمانيا والقوات الألمانية المسلحة بمجملها.

٦ - إن وثيقة الاستسلام هذه مكتوبة باللغتين الإنجليزية والألمانية، ويعتبر النص الإنجلزى هو الأصل.

٧ - يكون قرار الدول الحليفة نهائيا فى حال نشوء شك أو خلاف حول معنى أو تأويل شروط الاستسلام.

ب. ل. مونتجومرى	فريد بورج
فيلد مارشال	كتزل
٤ مايو ١٩٤٥	فاجنر
الساعة ١٨,٣٠	بولك
	فرايدل

وكان علىّ أن أقوم بعمل كثير بعد توقيع وثيقة الاستسلام، وقد أعطيت الأمر بأن يتوقف كل عمل هجومى فى ٣ مايو عندما جاء الألمان لمقابلتى أول مرة، وكنت أعلم أنها النهاية، وأريد أن أتجنب وقوع خسائر أخرى بين القوات المعهود بها إلىّ، ففى ذلك الحين أصدرت أمرا بوقف إطلاق النار على أن يكون نافذا فى الساعة الثامنة من صباح السبت فى ٥ مايو ١٩٤٥ .

لقد ربحنا الحرب ضد ألمانيا، والمهم الآن أن نربح السلام، وكثيرا ما أتساءل هل ربحنا السلام؟ والحقيقة أننى لا أعتقد أننا قد ربحناه.

* * * *

الفصل الحادى والعشرون
حول خواطر القيادة العليا
فى زمن الحرب

لقد كان لى امتياز فريد أن أتولى - خلال حياتى العسكرية - القيادة على كل مستوى، من الرهط حتى مجموعة الجيوش، وأقول إنه امتياز فريد لأننى أشك فى أن يكون جندى آخر عامل الآن فى العالم الحر قد استفاد من مثل هذا الاختيار.

ولقد تبدلت الأيام منذ حملات مارلبورو و ولنجتون، ويكاد يمكننا القول إن هذين قد ربحا معاركهما وحدهما، فهما بالتأكيد لم تنهكهما آلاف التفاصيل فى العمل الضخم الذى تقوم به أركان الحرب وتستلزمه الجيوش الحديثة، ويمكن اليوم أن نشبه القائد الأعلى فى الميدان برئيس فريق هو بالإضافة إلى ذلك فريق كثير العدد.

وخلال صيف ١٩٤٥ طرح السؤال لمعرفة ما إذا كان يتوجب على الأمة أن تقدم هبات من المال إلى القادة العسكريين البارزين الذين مارسوا القيادة فى ساحات القتال، اعترافا بخدماتهم، ووفقا للسابقات التى أوجدتها الحروب السابقة.

ولكن مشاكل كبرى تنشأ عندما يأخذ الناس - بعد حرب حديثة - فى اختيار الأشخاص الذين كانت مساهمتهم فى المجهود الحربى من الطراز الأول فعلا، فماذا يحل بأولئك الذين نذروا أنفسهم للعمل فى الرادار، والأجهزة المضادة للغواصات، والاستخبارات، والأبحاث الطبية؟ ماذا يحل بجميع أولئك الذين ساعد عملهم الحثيث فى المراتب الدنيا على جعل النصر ممكنا؟

لهذه الاعتبارات كلها أعلنت فى سبتمبر ١٩٤٥ أنه إذا قدمت لى مكافأة مالية فسأرفضها، وقد كانت هناك بالطبع أسباب أخرى، فقد كنا فى ذلك الحين كدولة

على وشك الانهيار ماليا، وكان يصعب علينا أن نسمح بتخصيص نحو مليون جنيه استرليني لهذا الغرض، والمحارب القديم أيا كانت رتبته سيجد الحياة شديدة العسر في سنوات ما بعد الحرب، أفلا يحدث في نفسه رد فعل سيئ إذ يرى قوادا كبارا، مهما بلغ إعجابه بهم واحترامه لهم، يتقاضون ١٠٠ ألف أو ٥٠ ألف جنيه مثلا بالإضافة إلى رواتبهم التقاعدية، بينما هو المحارب القديم لا يستطيع أن يسد حاجات ذويه إلا بصعوبة.

إن ملايين الناس سيعانون الجوع في مختلف أنحاء العالم، فلم يكن ضميري ليعرف الراحة لو قدم لي مبلغ بمثل هذه الضخامة، لا لشيء إلا لأني قمت بواجبي بأحسن ما أستطيع كما فعل الكثيرون سواي، ولذلك كانت وجهة نظري ولاتزال أن أسلوب المكافآت المالية، سوى وجوه التكريم التي يمنحها التاج، هو أسلوب بال.

إن القيادة العليا اليوم أكثر تعقيدا مما كانت عليه في الماضي، فيجب أن يكون للقائد الأعلى هيئة أركان حرب جيدة، ينسق أعمالها رئيس أركان حرب من الدرجة الأولى، وعلى القائد الأعلى أيضا أن يختار بعناية فائقة القواد التابعين له ويعهد إلى الجنرالات بالمهمات التي تناسب أمزجتهم، وعليه أن يعرف جنوده وأن يعرفه جنوده.

إن الجيش اليوم هو مجتمع مستقل، يشتمل على كل ما يحتاج إليه أعضاؤه من أجل الحرب، من العيارات النارية حتى بنوك الدم، فالقائد الجيد ليس عليه أن يربح المعارك فحسب، بل عليه أن يربحها بأقل قدر ممكن من الخسائر.

وعندما التحقت عام ١٩٤٢ بالجيش الثامن، لم يكن مسموحا للممرضات بأن يكن في منطقة القتال، فألغيت هذا الأمر، وكان وجودهن مريحا للجنود المصابين بجروح خطيرة ومهدئا لأعصابهم، إذ أخذوا يدركون منذ ذلك الحين أنهم سيكونون محل العناية المناسبة.

كل هذه الأمور وكثير مثلها يجب أن تبقى حاضرة فى ذهن القائد العصرى، فعلى الصعيد الإدارى يجب أن تقرر النسب الدقيقة بين حاجات العمليات العسكرية والموارد الإدارية، وتتوقف فعالية التنظيم الإدارى على إستباقه للحاجات، فعلى القائد الأعلى فى الميدان أن يطلع دائما أركان حربه على نياته بحيث يمكن إنجاز الإعدادات الإدارية الضرورية فى الوقت المناسب، ولقد منى الكثيرون من القواد بالفشل لأنهم أهملوا التأكد من أن ما يريدون تحقيقه على صعيد العمليات منسجم مع مواردهم الإدارية، وبعضهم فشل أيضا لأنهم بالغوا فى تقدير حاجاتهم.

والعبرة التى يجب استخلاصها من ذلك، هى أنه يتوجب أن يكون هناك توازن بين هاتين الضرورتين، إن محك الضابط الذى يطمح إلى القيادة العليا هو قدرته على إدراك جوهر المشكلة الحربية بسرعة، وعلى التقرير الفورى لما يجب عليه فعله، وإفهام جميع المعنيين بوضوح ما ينوى فعله، وكيف سيمضى فى ذلك، ثم السهر على أن ينفذ المرؤوسون التابعون له أوامره، وعليه قبل كل شىء أن يتخلص من كل الشوائب التى لا علاقة لها بالموضوع، وأن ينصب على الجوهر وعلى التفاصيل الضرورية فقط لتنفيذ خطته، واثقا بهيئة أركان حربه، معتمدا عليها فى إجراء التنسيق اللازم.

وعندما يكون كل شىء قد قيل وعمل، فإن الميزة الكبرى المطلوبة من القائد الأعلى هى ميزة التقرير، فعليه أن يكون قادرا على إعطاء أوامر واضحة والزخم اللازم لتنفيذها، إن التردد لدى الضابط أمر مميت، أما لدى القائد الأعلى فهو جريمة، ولا يستطيع أى قائد أعلى أن يحرز نجاحا إذا هو أهمل العامل البشرى، فإنما تربح المعارك فى قلوب الرجال على الأخص، فإذا خسر القائد الأعلى معركة كسب قلوب رجاله، فلن يحقق إلا القليل.

وفى كل جيش يجب أن يكـون تنظيم القيادة والإشـراف بسيطا ودقيـقا، والذى يقود قوات وطـنية له دائما الحق بأن يطلع رئيسـه على وجهة نظره حول خـطة سير العمليـات، بل هو واجبـه أن يفعل ذلك، لكن حين يتـخذ الرئيس قـراره لا يبقى مجال للنقاش.

إن هناك ثلاثة أنواع من كبار القادة:

١ - أولئك الذين يملكون الإيمـان والإلهام، ولكنهم يفـتقرون إلى تـلك الطاقة غير المحدودة التى تسمح لهم باتخاذ جـميع الاستعدادات لمواجهة الطوارئ التى يمكن التنبؤ بها، وهذا أساس كل نجاح حربى، وهؤلاء يفشلون.

٢ - أولئك الذين يملكون هذه الميزة، ويلهمهم معـها إيمان وإقتناع هم بفضلها قادرون فـى اللحظة التى يتطلب فيـها الموقف الإقـدام على المجازفـة بكل شىء من أجل كل شىء، ففـى الحرب يجب أن يعرف المرء كـيف يجازف لينتصر.

٣ - أولئك الذى يملكون هذه الميزة إلى درجة تقرب من العبقرية.

وللمارسة مهـمات قيادة عليا بنجاح، يجب أن تكون للقـائد الأعلى المقدرة غير المحدودة، على التطبيق والتحضير الفطن، وأن يتحلى بإيمان صميمى يتجاوز أحيانا حدود ما هو مـعقول، فبعد القـتال فترة طويلة فى الغالب لإحـراز الأفضلية، تأتى فجـأة ساعـة الإقدام، فـهل يجب عندئذ المقامـرة بكل شىء من أجل كل شىء، والسمو من المعلوم لإدراك المجهول؟

إن الجـواب على هذا السؤال هو الذى يكـشف عن قائد الحـرب العظيم أو لا يكشف عنه.

* * * *

الفصل الثاني والعشرون
الرقابة على ألمانيا بعد الحرب

في ٨ مايو ١٩٤٥، انتهت الحرب رسميا في أوروبا، إذ وقع ممثلون عن القيادة الألمانية العليا وثيقة الاستسلام العسكرى، لكن يجدر التنبيه بأن هذا الاستسلام كان صنع القيادة العليا لا حكومة الأميرال دونتز الألمانية، التى اتخذت لنفسها صفة تمثيل الأمة الألمانية بعد إعلان موت «هتلر» فى برلين.

والحق أن الحلفاء رفضوا الاعتراف بهذه الحكومة، واعتقل «دونتز» بعد ذلك فى فلنسبورج، فوجدنا أنفسنا بالتالى أمام وضع يختلف كل الإختلاف عن ذاك الذى كان محل البحث فى اللقاءات بين «تشرشل» و «روزفلت» و «ستالين»، التى نوقش فيها أمر التنظيم الحليف لاحتلال ألمانيا، فقد كان الاتفاق الذى تم بينهم أن تنشأ فى برلين لجنة رقابة تضم أربعة أعضاء: بريطاني، وأمريكى، وروسى، وفرنسى، على أن يكون تحت إمرة كل من هؤلاء الأعضاء مندوبه وهيئة أركان حربه الخاصة المدنية والعسكرية، مع أمانة سر مركزية مشتركة بين الحلفاء، وعلى الأعضاء الأربعة المجتمعين فى برلين أن يتركوا لحكومة ألمانية مركزية طريقة إدارة البلاد، أضف إلى ذلك أن ألمانيا ستقسم إلى مناطق تحتل كل دولة من دول الحلفاء منطقة تشرف داخلها على تنفيذ مقررات لجنة الرقابة التى تنشأ لدى استسلام الحكومة الألمانية دون قيد ولا شرط.

ومع ذلك فعندما حان الوقت، لم يعترف الحلفاء بأية حكومة ألمانية يمكنها الاستسلام، وبالتالى لم تتمكن لجنة الرقابة من مباشرة أعمالها أوتوماتيكيا، ولم يكن لدى الألمان أى جهاز حكومى مركزى تستطيع بواسطته لجنة الرقابة أن تعمل، وكانت

برلين قـد دمرت تدمـيرا جعـل الروس يدعون أنه لا يمكن حكم ألمانيـا من هذا الركام من الأنقـاض، وعلى الرغم من أن «إيزنهاور» عين عضـوا فى لجنة الرقابة، فلم يكن أى عـضو بريطانى أو روسى قد عـين بعد، أمـا فى المنطقة التى يحـتلها الحلفاء الغربيون فيـواصل المقر العام الأعلى لقوات الحملة الحليفة العـمل كمقر عام للعمليات، وكان علينا أن نبدأ فى حكم ألمانيا بمساعدة الآلة الإدارية والعسكرية.

وكانت هناك مشاكل مـدنية هائلة يقتضى حلها فى المنطقة التى تحتلهـا مجموعة الجيوش الحـادية والعشرون، فقد لجـأ إليها أكثر من مليـون مدنى هاربين من وجه الروس، وكان هناك نحـو مليون ألمانى جريح فى مـستشـفيات المنطقـة بدون مواد طبية، واستسلم أكثر من مليون ونصف مـليون مقاتل ألمانى غير جرحى فى ٥ مايو لمجموعـة الجيوش الحادية والعشرين، فـهم الآن أسرى حرب بكل ما تقتـضيه هذه الصفة، وكانت الأغذية على وشك النفاذ.

وتوقفت مصالح النقل والمواصلات الألمانية عن العمل، وتجمد القسـم الأكبر من الصناعة والزراعة، وكان المهم إطعام السكان وإسكانهم وحفظهم من الأوبئة.

وأخيرا، وقع الصدام بين الروس والغربيين، فـقد كان تفكيرهم إزاء كل مشكلة يختلف كـل الاختلاف عن تفكيـرنا، وكان سلوكـهم خاصة أسلوب تعـاملهم مع النساء يثـير فى نفوسنا الذعـر، وفى بعض قطاعات المنطقـة الروسية لم يبق عـمليا ألمان، إذ هربوا جمـيعا قبل وصـول البرابرة، مما أوجد بالنتـيجة فى المناطق الغـربية سيلا من اللاجئين بلغ من التدفق حدا جـعل مشاكل التغذية والإسكان تكاد تبدو مستعصية على الحل.

وكـان من الضرورى أن نقـبض على هذه المشكلة الكبـرى بكل جرأة وبأسـرع وقت، ولقد تنبأت بهذه الضرورة قبل أن تـنتهى الحرب، فأبلغت وزارة الحربية فى

٢٤ أبريل أننى أرى وجوب تعيين الرجل الذى سيكون قائدا أعلى للمنطقة البريطانية وممثلا لبريطانيا فى لجنة الرقابة دون تأخير.

ولكننى لم أستطع أن أحمل «هوايتهول» على العمل بصورة من الصور فى هذا الصدد، بيد أننى فى الوقت الحاضر كنت أنا الرئيس، فانصرفت إلى العمل على طريقتى.

وكان أول ما يجب فعله إعطاء أوامر حازمة جدا بمنع النهب والاستيلاء على وسائل النقل الألمانية، ذلك إنه إذا كان يتوجب أن تنهض ألمانيا بسرعة فستحتاج إلى السيارات لمواصلاتها ونقلياتها.

وفى ٦ مايو أصدرت الأوامر المقتضاة، فمنعت النهب الفردى والجماعى بصورة قاطعة، وأكدت أن كل مخالفة تعرض صاحبها - أيا كانت رتبته - للإحالة إلى المحكمة العرفية، وإذا كان قائد من القواد أو وحدة من الوحدات بحاجة إلى أى شىء للاستعمال الجماعى من قبل الضباط أو الجنود، فيجب تقديم طلب إلى السلطة العليا بالتسلسل فتصادر المواد المطلوبة بصورة نظامية، وتنطبق هذه القواعد أيضا على السيارات وغيرها من العربات.

وكانت خطتى للمنطقة البريطانية تقوم على مبدأ استعمال نظام القيادة الألمانى بالدرجة الأولى، إذ توجه أوامرى المتعلقة بالقوات الألمانية إلى الفيلد مارشال «بوش»، القائد العام الألمانى فى شمالى غربى أوروبا، وكان عليه أن يقيم مقره العام فى شلسفيج - هولشتاين، على أن يلازم رئيس أركان حربه الجنرال «كنتزل» مع هيئة أركان حرب صغيرة وفريق من ضباط الإرتباط مقرى العام.

ثم نظمت المنطقة البريطانية فقسمتها إلى مقاطعات بالنسبة للواجبات الناشئة عن الإحتلال:

١ - مقاطعة برلين (الجنرال لاين).

تحتلها القوات التى ستتوجه إلى برلين بعد الوصول إلى اتفاق مع الروس.

٢ - مقاطعة شلسفيج - هولشتاين (الجنرال باركر).

الجحفل الثامن مع فرقتين ولواء مدرع.

٣ - مقاطعة هانوفر (الجنرال هورروكس).

الجحفل الثلاثون مع ثلاث فرق ولواء مدرع.

٤ - مقاطعة وستفاليا (الجنرال كروكر)

الجحفل الأول مع أربع فرق ولواء مدرع.

واحتفظت بعدد من التشكيلات الأخرى فى الاحتياط لاستخدامها فى حال حصول اضطرابات، وأصدرت كذلك أمرا بالتوقف عن تدمير الأسلحة والأعتدة الحليفة احتياطا لحالة قد يحتاج معها الحلفاء إلى هذه الأسلحة والأعتدة لسبب من الأسباب، وبوجوب حفظها كلها.

وكان هدفى إقامة حكومة محلية فى المنطقة البريطانية، مستخدما نظام قيادتى بمقرات عامة للجحافل والفرق والألوية والفيالق، فهذه يجب أن تحتل مناطق تطابق المقاطعات والكوميونات وغيرها، والعمل فى كل حال بمساعدة التنظيمات المدنية المختصة.

وقررت أن تؤخذ حاجات السكان المدنيين بعين الإعتبار بالترتيب الآتى:

التغذية ، الإسكان، الحيلولة دون الأوبئة، ثم يجب العناية بمسألة النقليات وكثير من المشاكل الأخرى.

وكانت أهم مشكلة: المشكلة الغذائية، وكـان الكثير يتوقف على الموسم المقبل، فأصـدرت أمرا يمنع على القوات المسلحـة أن تشترى أو تصادر المواد الغـذائية، إذ يتوجب على السكان المدنيين أن يحتفظوا بها لحاجاتهم الخاصة.

لقد وجدت نفـسى فجأه مسـئولا عن إدارة نحو ٢٠ مليون ألمانى ورفـاهيتهم، فكان علىّ أن أحل مشاكل مخيفة، وإذا هى لم تحل قبل بدء الشتاء فإن عددا كبيرا من الألمان سيموتون من الجوع والبرد والمرض.

بينما كـانت الأيام تنقضى بعـد انتهاء الحـرب فى ألمانيا، كان قلـقى يزداد بسبب افتقارنا إلى التنظيم الملائم لإدارة ألمانـيا، لذلك أخذت الطائرة فى ١٤ مايو إلى لندن لأوضح لرئيس الوزراء أنه لا غنى عن اتخاذ قرار سريع لتـعيين قائد أعلى للمنطقة البريطانية، بحيث يتمكن الرجل الذى سيعين فى هذا المنصب من تنسيق خطط لجنة الرقابة مع أعمال الحكومة العسكرية، وكانت مهمتى إقناع رئيس الوزراء بأن مشكلة حكم ألمانيا بالغة الأهمية إلى حد يقتضى معه اتخاذ قرار حيوى، ونجحت فى ذلك، إذ قرر رئيس الوزراء تعـيينى قائدا أعلى لقوات الإحـتلال البريطانية وعـضوا يمثل بريطانيـا فى لجنة الرقـابة على ألمانيا، وطـلبت أن يكون مندوبى فى اللجنة الليـوتنان جنرال السير «رونالد ويكس»، نائب رئيس هيئة أركان الحرب الامبراطورية فى وزارة الحربية، فقبل طلبى، وأذيعت هذه التعيينات فى ٢٢ مايو.

وفى اليوم التالى جمعت فى لندن الأعضـاء المدنيين فى الأقسام البريطانية للجنة الرقابة وشـرحت لهم المشكلة المتعلقة بألمـانيا، وقد قلت لهم إن كل مـا كنا نستطيع فعله فى الوقت الحاضر بعد أن افتتـحنا ألمانيا، هو أن نفرض عليها حكما عسكريا، وقد فعلنا ذلك، ولكن يجب ألا يدوم هذا الوضع وقـتا أطول مما ينبغى، فعلينا أن ننشىء رقابة مدنية، فمن المهم إذن أن تكون خطط الحكم العسكرى القصيرة الأجل متصلة اتصالا مباشرا مع خطط الأقسام المدنية البعيدة المدى، ولتحقيق هذا الهدف

يستحسن أن أرى هذه الأقسام المدنية مقيمة فى ألمانيا بأسرع وقت ممكن ، ثم عرضت أساليبى الخاصة فى العمل وكيف استخدم النظام القاضى بوجود رئيس لأركان الحرب، وبعد أن أصدرت الأوامر بإقامة العنصر المدنى فى لجنة الرقابة فى ألمانيا، عدت إلى مقرى العام بطريق باريس.

وعدت إلى ألمانيا فى ٢٦ مايو، فعلمت أن شغبا ظهر من أسرى الحرب فى معسكرهم ومن السكان المدنيين فى المنطقة البريطانية، وكان هؤلاء جميعا قلقين على مصيرهم فى المستقبل.

وعندما لاحظت فى آخر مايو أن الألمان فى المنطقة البريطانية قد أصبحوا صعاب القياد، وأنهم قلقون على المصير الذى ينتظرهم، عزمت على أن أوجه إليهم رسالة أشرح لهم فيها ما أنوى فعله، تماما كما كنت أفعل مع جنود الجيوش التى كنت أقودها خلال الحرب.

وفى الأيام التى عقبت الاستسلام، كان موقف الألمان على الجملة سليما، سواء كانوا عسكريين أم مدنيين، لقد كانوا على استعداد لتنفيذ الأوامر المعطاة أيا كانت، إذ كانت خشيتهم الكبرى أن يعادوا إلى المنطقة الروسية.

* * * *

الفصل الثالث والعشرون
بدء المتاعب مع الروس

في يوم ٢٣ مايو ١٩٤٥، خولني الملك صلاحيات مطلقة لتوقيع تصريح الحلفاء المتعلق بهزيمة آلمانيا واستسلامـها بلا قيد ولا شرط، وللمفاوضة مع الدول الأخرى في المسائل المتصلة بالاستسلام، وكُلفت فيما بعـد بالسهر على أن تكون بنود هذا التصريح موضع التقيد الدقيق.

وحيث إن حفلة التوقيع الكبرى واجتماع لجنة الرقابة يجب أن يجريا في برلين في الخامس من يونيو، فـقد وصلت في الساعة الواحدة بعد ظهر هـذا اليوم نفسه إلى مطار تمبلهوف قادما من المنطقة البريطانية بطريق الجو، فـاستقبلني عدد كبير من كبار الضباط الروس بين جمع غفير من الصحافيين من جميع الجنسيات.

وجرى توقيع التـصريح في الساعة ١٦,٣٠ في أنوار المصـابيح المشعة من على أقواسها وأمام جمع غفير من الصحافيين والمصورين.

وبعد التوقيع الرسـمي انسحب أعضاء لجنة الرقابة الأربعة ومستـشاريهم ليعقدوا اجتماعا خاصا، وافتـتح «إيزنهاور» الحديث موضحا أن تصريح الدول الأربعة الذي وقعناه يجعل من القادة الأعلين الأربعة وحدة حكوميـة مستقلة، فيتحتم علينا الآن أن نتفق على الجهاز الذي يـسمح لهذه الوحدة الحكومية بالعمل، واقترح أن تنصرف أركان حربنا إلى العـمل فورا فتدرس المشاكل المتـعلقة بلجنة الرقابة، وبعد مـوافقة اللجنة ترفع نتائج الدراسة إلى الحكومات.

ولكن «جوكوف» صرح بكل وضوح إن إنشاء جهاز لجنة الرقابة لا يمكن أن يتم قبل انسحاب القوات البريطانية والأمـريكية إلى مناطقها، وما دام هذا لم يحدث لن

يمكن للمندوبين أو لأركان الحرب الشروع فى أى عمل استشكافى، فقلت إن قواتنا وصلت إلى مواقعها الحالية على أثر العمليات الحربية، وأن تجميعها من جديد وإعادتها إلى مناطقها يستغرق بعض الوقت، فسألنى «جوكوف» كم يقتضى هذا الأمر من الوقت؟ فأجبته: ثلاثة أسابيع على الأقل، فقبل على الفور، مضيفا أن القواد الأعلين يمكنهم فى هذه الفترة أن يشكلوا أركان حربهم المفترضة للجنة الرقابة، وقال: إنه لن يكون لديه أى اعتراض عندما يحين الوقت، على أن تعمل لجنة الرقابة فى برلين.

وألقى «إيزنهاور» عندئذ كلمة ممتازة اختتم بها الاجتماع، فقال: إنه جاء وهو مقتنع بأن إقامة جهاز لجنة الرقابة وانسحاب القوات الغربية من المنطقة السوفييتية يمكن أن يحدثا معا فى وقت واحد، على أنه بات واضحا الآن- تبعا لملاحظات «جوكوف» - أن الأمر ليس كذلك وأن الروس غير مستعدين لدرس المسائل التى تهم لجنة الرقابة قبل أن تكون القوات البريطانية والأمريكية قد انسحبت من مناطقها، فلم يكن هناك إذن شىء آخر يمكن فعله فى الوقت الحاضر سوى اطلاع حكوماتنا على ما جرى، وطلب تعليمات جديدة.

كما رأينا، لم يسفر الاجتماع الأول لقواد الحلفاء الأعلين عن أية نتائج، فالموقف الروسى، على الرغم مما ارتداه من طابع الود، كان مبهما يصعب سبر أغواره، وكانت لدينا أدلة دقيقة على وجود دعاية شيوعية روسية فى بعض أجزاء المنطقة البريطانية، وقد تشكلت خلايا فى كل المناطق التى يحتلها الحلفاء الغربيون، واقتضى هذا الأمر مراقبة بأشد اليقظة، إذ أن هذه الخلايا الشيوعية توقد النار فى كل مكان تبدو فيه أمارات خلاف فى المعسكر الغربى، وكانت الدعاية الشيوعية ناشطة بشكل خاص فى المعسكرات التى أقمناها للأشخاص النازحين، وكانت مسألة التغذية تشغل بالى، فإذا لم تتحسن الأوضاع الغذائية فقد نواجه فى الشتاء المقبل مجاعة

خطيرة، ولا تكاد المنطقة البريطانية تنتج نصف الأغذية التى يحتاج إليها عشرون مليونا من السكان.

ولم تكن الحصة المخصصة للشخص الواحد فى اليوم الواحد أكثر من ١٢٠٠ وحدة حرارية، وإذا أردنا رفع هذه الحصة إلى ١٨٠٠ وحدة حرارية، فهذا يقتضى أن نستورد خلال اثنى عشر شهرا مقبلة ما يساوى مليونى طن من القمح، أضف إلى ذلك أن الكثير كان يتوقف على وسائل النقل والتوزيع، وهذه الوسائل كانت غير مستقرة، وفى كل مكان كان الفحم يشكل أولى الحاجات الملحة، وكان لدينا ١٤٠ منجما تنتج يوميا ٤٠ ألف طن، ولم تكن هذه الكمية كافية إلى حد بعيد، وإذا أردنا الحصول على مزيد من الفحم فإن علينا تغذية عمال المناجم تغذية ملائمة، وكان لدينا أيضا مليونان ونصف مليون من أسرى الحرب، وقد أطلق سراح هؤلاء وأرسلوا إلى العمل بواقع ١٢ ألفا كل يوم، وكانت سياستى إزاء هؤلاء الأسرى الإفراج عن أولئك الذين يمكن اعتبارهم غير مؤذين، والاحتفاظ بجنود القمصان السود فى المعسكرات.

وإذا شئنا أن يعمل جميع الألمان فى تجديد بلادهم، فإن علينا أن نكف عن لعنهم، فالحرب مع ألمانيا قد انتهت، ويتوجب علينا إعطاء الألمان أوامر محددة ونسهر على أن تنفذ هذه الأوامر، علينا أن نكون صارمين لكن عادلين.

وكان علىّ أيضا أن أهتم بجيشنا، فمن المهم عدم إزعاج الجنود باستخدامهم فى المهمات الناشئة عن الإحتلال، وعدم إرهاقهم بأعمال حراسة تتكرر أكثر مما ينبغى، فنحن لا نستطيع مراقبة كل شىء، وقررت ألا نحرس إلا المنتجات الغذائية والمتفجرات وبعض الأسلحة والسجناء الخطرين.

وبدأ تطبيق خطة التسريح، وكنت أشعر أننى لا أستطيع أن أترك أولئك الذين أبلوا البلاء الحسن يذهبون دون أن أوجه إليهم كلمة شكر على ما قاموا به، فقررت أن أرسل إلى كل ضابط وكل جندى يغادرنا رسالة شخصية مطبوعة على بطاقة.

وبعد اجتماعنا فى برلين فى ٥ يونيو مباشرة، اتخذت قرارا بتوزيع المقرات العامة الرئيسية للجنة الرقابة، الأقسام العسكرية والمدنية، فى المنطقة البريطانية بين هانوفر وأوسنابروك، ولم يكن ممكنا إدخال برلين فى الحساب فى الوقت الحاضر، وقررت أن يكون لى مقر عام تكتيكى مع الأمريكيين فى فرانكفورت، وهو تدبير أقره «إيزنهاور»، وأملت أنه بهذه الطريقة تستطيع حكومة تتصرف بانتظام أن تعمل بسرعة فى المنطقة البريطانية وتساير خطوات الأمريكيين، وعندما سنتمكن من الذهاب إلى برلين سأنقل مقرى العام التكتيكى من فرانكفورت إليها، وفى الحقيقة أننى كنت أنوى الاحتفاظ بأهم أقسام لجنة الرقابة فى المنطقة البريطانية، إذ فى هذه المنطقة تفرض المشاكل نفسها، أما ما سننقله إلى برلين فلا يخص أحد سوانا، ولم يكن فى نيتى أن أدع الروس يسنون لى القوانين فى هذه المنطقة.

بعد أن أعطيت أوامرى فيما يتعلق بجميع هذه المسائل وكثير غيرها، توجهت فى ١٦ يونيو إلى لندن لأحاول الحصول على مقررات حول بعض الشئون السياسية، وأهم المسائل التى أثرتها كانت المسائل الثلاث الآتية:

أ - لن يتعاون معنا الروس فيما يتعلق بالمسائل التى تعود إلى لجنة الرقابة، مادام الحلفاء لم يسحبوا قواتهم إلى مناطقهم، ولم يكن هناك بالنسبة إلينا أى مبرر ذى طابع عسكرى للبقاء حيث نحن، ولا مفر فيما يبدو من الشروع فى أسرع وقت بالمباحثات حول المسائل التى تتعلق بلجنة الرقابة، وقد ضاع حتى الآن كثير من الوقت الثمين وما تزال قرارات هامة معلقة بانتظار عقد اجتماع بين أعضاء لجنة الرقابة، ولذلك نصحت بإلحاح أن يحصل اتفاق فى موعد قريب حول الإنسحاب إلى المناطق المحددة من قبل.

ب - ما لم يحتفظ بعدد كبير من الضباط تطبيقا لمادة الضرورة العسكرية الملحة، فإن عمليات التسريح المرتقبة ستكون نتيجتها أن تخسر بعض أقسام أركان

الحرب أكثرية ضباطها المدربين الذين يشكل تعيين سواهم فى أمكنتهم أكبر الصعوبات.

جـ - لقد جمعت كميات ضخمة من السلاح والعتاد الألمانى، وأصبح على الجندى البريطانى بالإضافة إلى كل واجباته الأخرى أن يقوم الآن بالحراسة حول تجميعات هذه الأسلحة، وبالنظر إلى عدد هذه المستودعات وأحجامها، يصعب حراستها بصورة ملائمة، وهناك خطر كبير فى أن يعود جزء من هذه الأسلحة إلى أيدى العدو، ولذلك أعطيت التعليمات بحفظ هذه الأسلحة سليمة، وأنا الآن ألح على إلغاء هذا الأمر لأتمكن من تدمير الأسلحة.

وأثناء إقامتى فى لندن شرحت للحكومة البريطانية المشاكل التى يتحتم علىّ أن أواجهها واستحالة تحقيق كثير من التقدم فى إدارة ألمانيا ما دام جهاز اللجنة المركزية لا يستطيع أن يعمل، فعلمت أن مباحثات تسير سيرا حسنا بين رئيس الوزراء والرئيس «ترومان» والمارشال «ستالين» فيما يتعلق باحتلال المناطق المخصصة للدول الأربعة الكبرى فى ألمانيا أم فى النمسا، حيث يحتل الروس منطقة كبيرة يجب أن يسلموها للحلفاء الغربيين.

وفى ١٩ يونيو، أبلغت أن المارشال «ستالين» وافق على الانسحاب المتزامن فى المناطق المشار إليها من ألمانيا والنمسا وانتقال حاميات إنجليزية فرنسية أمريكية إلى برلين، على أن تبدأ هذه التحركات المختلفة فى حوالى أول يوليو، وقد علقت على هذا الإتفاق أهمية عظمى اذ أن مؤتمر الأقطاب الثلاث كان يجب أن يعقد فى منتصف يوليو ببرلين، وكان من المنتظر أن يكون كل من الحلفاء قد عاد إلى منطقته فى هذا التاريخ.

وعلى أثر هذا الاتفاق بين الحكومات على الانسحاب المتزامن إلى المناطق المعنية، سافر الجنرال «ويكس» والجنرال «كلاى»، وهما يمثلان بريطانيا وأمريكا فى

لجنة الرقابة، بالطائرة إلى برلين فى ٢٩ يونيو للتباحث مع المارشال «جوكوف» فى الطريقة التى يجرى بها الانسحاب، وتقرر فى هذا الاجتماع أن تبدأ عمليات الانسحاب فى أول يوليو، فيخلى البريطانيون متكأ فيسمر فى يوم واحد، وتتوء ماجدبورج فى يومين، ويستغرق جلاء الأمريكيين عن القسم الذى يحتلونه من المنطقة الروسية ما بين ستة وتسعة أيام، وتحتل طلائع بريطانية وأمريكية قطاعاتها فى برلين فى أول يوليو، وتتبعها مجموعة القوات العظمى فى ٤ يوليو، وأوضحت للروس ضرورة الوصول بحرية ودون عقبات إلى هذين القطاعين، فقبل الروس بأن يمنح البريطانيون والأمريكيون طريقا بريا وخطا حديديا مع الحق باستخدامهما، على أن يتحمل الروس مسئولية العناية بهما والإشراف عليهما، وكذلك وافق الروس على تخصيص مطار طوال انعقاد مؤتمر الأقطاب الثلاث، أما تخصيص مطارات أخرى فقد أُرجىء النظر فيه إلى مباحثات لاحقة، واتفق على إنشاء ممر جوى إلى برلين يبلغ عرضه عشرين ميلا، وسمح باستخدام هذا الممر مع تحفظ يقضى بإبلاغ الروس قبل ساعة من الزمن كلما أرادت طائرة أن تدخل أجواء منطقتهم.

وكنتيجة لهذا المؤتمر، بدأت فى أول يوليو الأنسحابات إلى المناطق المتفق عليها، وفى اليوم نفسه توجهت الطلائع إلى برلين.

وتم الاتفاق أيضا على الترتيبات الواجب اتخاذها لعقد مؤتمر الأقطاب الثلاث فى برلين، وشرع القطاع البريطانى فى برلين بالأشغال التى يقتضيها انعقاد المؤتمر، وجرى تسليم منطقتى فيسمر و ماجدبورج إلى الروس دون اصطدمات وأنتهى ذلك فى ٤ يوليو، وفى الوقت نفسه توجهت قوة مؤلفة فى معظمها من الفرقة السابعة المدرعة لاحتلال القطاع البريطانى فى برلين، وحلت هذه القوة محل الروس الذين سحبوا معظم قواتهم، ولكنهم رفضوا أن يسحبوا القوات التى كانت تشكل فى برلين الحكومة العسكرية ما لم يتحمل البريطانيون مسئولية تغذية ٩٠٠ الف المانى

يعيشون فى هذا القطاع، وواجه الأمريكيون شرطا مثل هذا فى قطاعهم أيضا، وكانت برلين تتلقى عادة فى مجملها موادها الغذائية من المنطقة الواقعة على بعد ٥٠ ميلا من العاصمة، وهى الآن محتلة كلها من الروس، ولذلك بدا ما يشترطونه غير معقول، وبعد مباحثات طويلة واجتماعات كثيرة تم الإتفاق أخيرا على أن يؤمن البريطانيون والأمريكيون لمدة شهر تغذية سكان قطاعيهم فى برلين دون أن يؤثر هذا على القرار المقبل الذى سيتخذ فى المسألة المبدئية وهى التى ستبحث فى مؤتمر الأقطاب الثلاث.

وفى هذه الأثناء كانت مسألة مستقبل ألمانيا وعمل لجنة الرقابة قد تركت ليتخذ بشأنها القرار المناسب فى مؤتمر الأقطاب الثلاث الذى سيفتتح فى برلين فى ١٦ يوليو، وكان قد إتضح لى أن الروس لن يوافقوا على إعادة بناء ألمانيا كوحدة اقتصادية ، فالجيوش الروسية كانت فى منطقتها تعيش عالة على البلاد ناهبة خيراتها لانتظام.

وبعد تعيينى عضوا بريطانيا فى لجنة الرقابة الحليفة تلقيت توجيها مسهبا لكن غير دقيق، يتعلق بالمسلك الذى يجب علىّ إنتهاجه، وكان هذا التوجيه يفترض أن لجنة الرقابة ستعمل، وأنها ستحل بقرارات اجماعية جميع المشاكل التى تواجهها، غير أن الموقف كان فى الواقع مختلفا كل الاختلاف عما يراه السياسيون، فالروس لم يكونوا مستعدين لأن تشرع لجنة الرقابة فى العمل، أضف إلى ذلك إنه لم يكن فى ألمانيا أية سلطة مركزية تستطيع هذه اللجنة بمساعدتها أن تعمل، ولمواجهة هذا الوضع طلبت من هوايتهول أن تعطينى تعليمات جديدة، وأخيرا خولنى وزير الحربية حق العمل بمبادرة شخصية منى على أن أحاول جهدى أن أعمل بقدر المستطاع بالانسجام مع الخط الأمريكى، فحررت عندئذ لأركان حربى سلسلة من المذكرات أشرح لهم فيها سياستى العامة المتعلقة بإدارة المنطقة البريطانية فى ألمانيا، وكان كلما تقدم صيف ١٩٤٥ اتضح أن الأمور لا تسير فى الاتجاه الذى توقعناه،

وكان هذا عـائدا لمتاعـبنا مع الروس ولاختـلاف الآراء أيضا بين الحـلفاء الغربـيين أنفســهم، لقد كنا مقيـدين ببروتوكول بوتسـدام الذى ينص فيمـا ينص عليه، على تعويضات متـوجبة للروس من المنطقة البريطانية، وعلى إسكان الـلاجئين فى المنطقة البريطانية، وعلى معاملة ألمانيا كوحدة اقتصادية تحت إدارة ألمانية مركزية وكانت هناك مشكلة أخرى متـأتية من أنه إذا كان على ألمانيا أن تدفع نفقـات الإحتلال البريطانى فيجب أن تتـاح لها القدرة على فعل ذلك، ولكن طاقتـها الصناعية كانت منخـفضة انخفاضا كبيرا، وسفنها اضمحلت وأموالها فى الخارج مجمدة، واللاجئون يتدفقون كالسيل على ألمانيا الغربية، وكان هذا يقـتضى إطعام عدد من السكان أكبر، وتوفير عـمل لهؤلاء السكان الذين يسـتحـيل تصـديرهم، وما دامت ألمانيـا لم تسـتأنف مبادلاتـها الدولية فلن تتمكن من الدفـع ولم يكن الروس ليهتمـوا بكل هذا، ففى رأيهم أن على ألمانيـا أن تدفع تعـويضات سـريعة على شكل آلات وعلى صـورة عمل، ذلك أن ألمانيا المستاءة المقطعة الأوصال ستـساعد على انتشار الشيوعية.

وكان الفرنسـيون يدركون وجهة النظر البريطانيـة، ولكنهم كانوا حذرين إزاء كل محاولة لإعادة بناء ألمانيا عدوتهم القديمة.

أما الأمريكيـون فلم يكونوا يحبذون فكرة إيقاف ألمانيـا على قدميهـا بمساعدتهم لمجرد إيجاد سوق لبريطانيا العظمى أو للتوفير على المكلف البريطانى.

وكانت مهمة لجنة الرقابة توليد أوروبا جديدة، أوروبا يعيش فيها ٧٠ مليون ألمانى بسلام، كوحدة تامة، ولم نكن نسـتطيع أن نبلغ هذا الغرض إلا برقابة رباعية على حكومة ألمانية مـركزية، ويتوقف المستـقبل على قدرتنا على النجاح أكـثر مما يتوقف على قدرة ألمانيا إذا تركناها وشأنها.

وكانت المنطقة البـريطانية تشكل همى المباشر، وكنت حريصـا على أن أستخرج شيئا من النظام من قلب الفوضى القائمة، وأن أجعل العشرين مليون ألمانى يجتازون الشتاء دون صعوبة، ولم يكن فى نيتى أن أدع متاعبنا مع الروس تثنينى عن عزمى.

الفصل الرابع والعشرون
النضال لإنهاض ألمانيا

فى منتصف يوليو ١٩٤٥، حل المقر العام الأعلى لقوات الحملة الحليفة، ولكن «إيزنهاور» بقى قائدا أعلى وحاكما عسكريا للمنطقة الأمريكية.

ولقد كنت دائما أرى أن هذا التدبير خطأ كبير من جانب الحلفاء الغربيين، فكل شرقى ألمانيا يؤلف منطقة يحكمها رجل واحد هو «جوكوف»، بينما قسمنا نحن ألمانيا الغربية إلى ثلاث مناطق مستقلة، يحكم كلا منها حاكم عسكرى مختلف، وكان رأيى وجوب احتفاظ «إيزنهاور» بحكم نصف ألمانيا الغربى، فبذلك كان الروس يواجهون جبهة واحدة، ولقد ارتدت علينا نتائج هذا الشموخ القومى.

وعندما توقف المقر العام الأعلى لقوات الحملة الحليفة عن ممارسة الحكم، كانت كل من الدول الأربع المحتلة قد تسلمت منطقتها فى ألمانيا وأنشأت حكومة عسكرية وكان الانتقال بين مناطق الحلفاء الغربيين حرا، ولكن الدخول إلى المنطقة الروسية كان ما يزال ممنوعا، ولكى يسمح الروس للحلفاء الغربيين بالوصول إلى قطاعاتهم فى برلين، أعطوهم طريقا بريا، وخطا حديديا، وممرا جويا، لكن لم يكن يسمح بأى تحول عن هذه الخطوط، أما فى داخل برلين فكان التجول مسموحا به بين كل القطاعات.

وفى المنطقة البريطانية، كان تسريح الجيش الألمانى يجرى بصورة مرضية، وأرسل عدد كاف من الرجال إلى الريف ليعملوا فى الحصاد، لكن مقابل ذلك وصل عدد كبير من الأسرى من النرويج، فبلغ مجموع الأسرى الألمان الموجودين الآن فى المنطقة البريطانية، مليونا وثمانمائة وخمسين ألفا، وازداد إنتاج الفحم بالتدريج، إذ

تحسنت تغذية عمال المناجم، واستأنفت مصالح النقل والتوزيع العمل بمقدار ما كان يسمح توفر السيارات وإصلاح الطرقات والخطوط الحديدية.

واستؤنفت صناعة صيد السمك على طول الشاطئ، وبفضل هذه الصناعة أمكن إكمال المخزون من المواد الغذائية، وكانت مشكلة الأشخاص النازحين الذين بقى منهم مليون وثلثمائة ألف دون عمل، ما يزال حلها شديد الصعوبة، وكان الروس يقبلون بانتظام مستمر رعاياهم النازحين، ويرفضون رفضا باتا استقبال البولونيين، ما دام رعاياهم لم يعادوا إلى وطنهم بعد.

ومن جهة أخرى بدأنا الآن نعرف كيف يدير الروس منطقتهم فى ألمانيا، فمنذ توقف القتال أخذ الروس ينهبون هذه المنطقة بانتظام، مفككين جميع الآلات ومرسلينها إلى الشرق مع كل المخزونات التى يمكنهم وضع أيديهم عليها، وكانوا يعتبرون هذا العمل تعويضا جزئياً عن كل ما نالهم على يد الألمان من أذى، وما نهبه هؤلاء من روسيا، أضف إلى ذلك أن الجيش الروسى يعيش عالة على البلاد مستهلكا حتى آخر حبة مخزونات الأغذية فى المنطقة الروسية.

وأخيرا أعطى الروس كل الأرض الواقعة شرق خط أودر - نيسه إلى بولونيا، وكثير من سكان هذه المنطقة الألمان الذين كان عددهم يبلغ قبل الحرب نحو عشرة ملايين، طردهم البولونيون إلى المنطقة الروسية من ألمانيا، أما العدد القليل من السكان الذين بقوا فى هذه المنطقة عالية الإنتاج فلم يكن كافيا لحرثها وزرعها وجعلها تنتج بعض ما كانت تنتجه فى الماضى، وعلى ذلك فلم يعد لدى المنطقة الروسية من ألمانيا، كما كان لديها فى الماضى، فائض من الأغذية يسمح لها بإطعام ألمانيا الغربية، بل كانت فى حالة الموت من الجوع، أضف إلى ذلك أن طاقة ألمانيا الشرقية الصناعية تضاءلت يوما بعد يوم حتى أصبحت لا تذكر.

فى ١٥ يوليو، وصل رئيس الوزراء والرئيس «ترومان» والمارشال «ستالين» إلى برلين لحضور مؤتمر «بوتسدام»، وفى اللحظة التى بدا فيها أن المؤتمر قد توصل إلى

بعض القرارات، اضطر الوفد البريطانى إلى العودة إلى إنجلترا فى ٢٦ يوليو ليعرف نتائج الانتخابات العامة، واتخذت كل الترتيبات لعودة المستر «تشرشل» ووفده إلى بوتسدام فى صباح ٢٧ يوليو، ولكن هذه العودة لم تتم.

وكان إنهزام حكومة تشرشل النهائى فى الانتخابات مفاجأة كبرى للجميع، وأحدث تشكيل حكومة جديدة تأخيرا طفيفا فى وصول وفد بريطانى إلى بوتسدام، ونتج عن ذلك بالطبع بعض الشك فى الأثر الذى سيتركه تغيير الحكومة على مباحثات المؤتمر، على أن جميع الشكوك زالت عندما وصل المستر «أتلى» والمستر «بيفن» إلى بوتسدام، فقبضا بأيديهما على المشاكل القائمة، وتركا لدى الجميع انطباعا ممتازا.

وبدت نتائج المؤتمر مرضية لأول وهلة، وهاك أهم النقاط المتعلقة بألمانيا:

أ - إنشاء لجنة من وزارة الخارجية لإعداد معاهدات السلام مع إيطاليا والدول الدائرة فى فلك المحور، ولإعداد ترتيب للسلام مع ألمانيا يطبق عندما تقوم حكومة ألمانية بصورة نهائية، ولدرس بعض المسائل المتعلقة بالأراضى الأوروبية.

ب - اتفاق الدول الثلاث على معاملة السكان الألمان معاملة واحدة، إلى الحد الذى يكون ذلك ممكنا عمليا، وإقصاء جميع النازيين عن الوظائف العامة، وحرية القول والصحافة والدين، وتشكيل نقابات حرة خاضعة للإشراف العسكرى، ولا مركزية البنية السياسية، إذ ليست أية حكومة ألمانية مركزية موضوع البحث فى الوقت الحاضر.

جـ - اتفاق تعامل ألمانيا بموجبه كوحدة اقتصادية إذ اعتمدت اللامركزية للاقتصاد الألمانى، ويجب فى البداية أن يستخدم حاصل عمليات التصدير لدفع أثمان المستوردات الأساسية التى توافق عليها لجنة الرقابة.

د - تستطيع الدول المحتلة أن تحصل من ألمانيا على تعويضات بشكل بضائع إلى الحد الذى تستطيع معه ألمانيا تسليم تجهيزات صناعية.

هـ - الاتفاق المتعلق بنقل السكان الباقين فى بولونيا وتشيكوسلوفاكيا وهنغاريا إلى ألمانيا، وهذا النقل يجب أن يجرى فى ظروف ملائمة وبروح إنسانية.

ولم يكن هناك أى جهاز مركزى لحكم ألمانيا، لكن بفضل النشاط الكبير الذى أبداه بشكل خاص الجنرال «ويكس» رئيس أركان حرب المنطقة البريطانية، فإن دوائر مختلفة مبنية على أساس ثلاثى أُنشئت بغية العمل بشكل يجعل الحكومات العسكرية لكل منطقة من مناطق الحلفاء الغربيين تسير بخطى واحدة، وبحيث تدرس المشاكل الاقتصادية لهذه المناطق فى جملتها، ومع ذلك فقد انتهى وجود هذه الدوائر الآن بقيام الجهاز الثلاثى، وقد بدأ هذا الجهاز يعمل بعد اجتماعنا فى ٣٠ يوليو، واتخذ التنظيم كله اسم سلطة الرقابة الحليفة، وكان منقسما إلى ثلاث شعب:

١ - المجلس، ويتألف من قادة المناطق البريطانية والأمريكية والروسية والفرنسية.

٢ - لجنة التنسيق، وتتألف من المندوبين الأربعة لهؤلاء القادة.

٣ - أركان حرب الرقابة، وتشتمل على ١٢ قسما تعمل معا أغلب الأحيان بغية وضع سياسة مشتركة.

وفى آخر يوليو، اضطر الجنرال ويكس بسبب مرضه للاستقالة من أعماله كمندوب وكرئيس لأركان حرب المنطقة البريطانية.

وفى هذه الأثناء، كنت أفكر تفكيرا عميقا فى مشكلة تقويم عقلية الشعب الألمانى، وكان لابد فى سبيل ذلك من خطة، ولم تكن لدينا بعد مثل هذه الخطة، ولذلك عزمت على وضع خطة تتلخص فيما يلى:

١ - السماح للألمان بمناقشة مشاكلهم فيما بينهم، وبأن يتخذوا بوجه عام هم أنفسهم التدابير التى تصونهم من عودة الماضى.

٢ - تحطيم أفضل حلفاء النازية، البطالة والضجر والخوف من المستقبل، وإحلال الأفكار السليمة والأمل محلها.

٣ - الوصول قبل كل شىء إلى الشبيبة الألمانية.

وكان أول ما يجب فعله إطلاع الألمان على هذه الخطة، فبينما كان مؤتمر بوتسدام منعقدا حررت رسالة ثالثة إلى الشعب الألمانى فى المنطقة البريطانية، وكانت مؤرخة فى ٢٥ يوليو ١٩٤٥، ولكننى احتفظت بها حتى تنشر نتائج المؤتمر، وأخيرا أذيعت فى ٦ أغسطس.

فى مطلع أكتوبر ١٩٤٥، انتهى مؤتمر وزراء الخارجية فى لندن بخلاف بين الوزراء، وكان قد انعقد لرسم الطرق المؤدية إلى معاهدات الصلح مع الدول المعادية السابقة، على نحو ما تم التفاهم عليه فى مؤتمر بوتسدام، وقد أصبح الآن واضحا كل الوضوح أننا أمام صعوبات كبرى.

وفى ذلك الحنى، كانت لجنة الرقابة تلاقى فى برلين عقبات جدية وتجد نفسها فى طريق مسدود، والسبب المباشر لهذا الوضع ناشىء عن معارضة فرنسا لإنشاء إدارة ألمانية مركزية، ففرنسا التى هوجمت ثلاث مرات فى قرن واحد كانت تريد الأمن قبل كل شىء، وكانت تعتبر ألمانيا مقطعة الأوصال أقل خطرا عليها، أضف إلى ذلك أن الفرنسيين كانوا يتمنون أن تفصل عن ألمانيا وتدول منطقة الروهر التى تشتمل على جزء كبير جدا من إمكانيات ألمانيا الحربية، وكانوا يعتبرون أن إنشاء إدارة ألمانية مركزية - بينما لا يزال الروهر يشكل جزءا من ألمانيا - من شأنه أن يمس بمصير هذه المنطقة.

ولقد كان كل العمل الهام الذى قام به الجهاز الرباعى مستندا إلى فكرة إنشاء إدارة ألمانية مركزية، فاستبعاد هذه الفكرة أوقف فعليا عمل الجهاز الرباعى.

وبعد فشل اجتماع وزراء الخارجية الذين لم يستطيعوا التوصل إلى اتفاق حول مصير ألمانيا، توجهت إلى لندن للاجتماع بـ رئيس الوزراء المستر «أتلى»، ولقد قابلته فى مطلع أكتوبر ١٩٤٥، وأوضحت له أن العقبة المباشرة فى وجه تقدم اللجنة الرباعية هى المعارضة الفرنسية لإقامة إدارة ألمانية مركزية، على أن سياسة الستار الحديدى الروسية تصبح هى العقبة الحقيقية إذا هى استمرت إلى ما لا نهاية، إذ بدون حرية انتقال الموظفين من الألمان والحلفاء، وبدون حرية الصحافة والطيران، لن تستطيع الإدارة الألمانية المركزية أن تعمل، فإذا استمر الروس فى الاحتفاظ بالستار الحديدى بيننا وبين منطقتهم فليس هناك أى أمل باستمرار ممارسة الرقابة الرباعية.

ويجب أن نجد لمشكلتنا حلولاً سريعة، إذ أن ألمانيا تنزلق نحو الفوضى الاقتصادية، وهذا لا يمكن تجنبه إلا باتخاذ قرارات هامة دون تأخير بشأن العملة والضرائب والقروض، وبأن تنشأ لهذا الغرض إما إدارة مالية مركزية، أو إدارة مالية فى كل منطقة، ويجب الاختيار بين هاتين الطريقتين بسرعة، فإذا ما تم الاختيار فلن يكون سهلاً أن نعود القهقرى.

وباقتراب الشتاء، أخذ يبدو أن مخاوفى المتعلقة بالأوبئة ستتحقق، فالتغذية كانت غير كافية إلى حد بعيد، وبسبب رداءة الأحوال الجوية كان الحصاد سيئا على عكس آمالى الأولية، ولم يكن هناك فحم لتدفئة المنازل، ولم يكن لدى السكان الألمان المقاومة الجسدية الضرورية لمواجهة وباء كبير، وأخذت التقارير الواردة من المنطقة الروسية تشير إلى أن كثيراً من الألمان- وخصوصاً من الأطفال - قد ماتوا فعلاً ببطء من الجوع فى بعض أجزاء ألمانيا الشرقية، وستنتشر بلا ريب الأوبئة التى ظهرت فى هذه المنطقة بين الأهالى الذين أنهكهم الجوع، ولا مساكن لهم ولا ألبسة ولا وسائل كافية للتدفئة.

أما تنظيمنا نحن فكانت الأمور تسير فيه دون عقبات، ففى فترة انتقال تدريجى، حل محل الجهاز العسكرى الصرف - الذى أقامته مجموعة الجيوش الحادية والعشرين - تنظيم مدنى يشتمل على إدارة ألمانية تحت الرقابة البريطانية.

وفى هذه الأثناء كتبت توجيهاً يتعلق بتطور إدارة المنطقة البريطانية، وكان هذا التوجيه قائما على مبدأ يقضى بأن يحل محل الحكومة العسكرية- حالما يمكن ذلك- نظام حكم مدنى، أما السرعة التى سيجرى بها هذا التعديل فتتوقف على التقدم الحاصل فى حقل نزع السلاح وحل الجيش ونزع النازية وإنشاء نهج للإدارة الديموقراطية.

ولكى يتاح لهذا أن يتحقق دون عقبات يتوجب تطبيق برنامج ذى مراحل متوالية على الفور، ففى المرحلة الأولى يكون قواد المقاطعات ما يزالون يهتمون بواسطة أركان حربهم بما يقع على عاتقهم بوصفهم حكاماً عسكريين، وفى المرحلة الثانية يدرب مفوضون إقليميون على أن يحلوا محل قواد المقاطعات كحكام عسكريين، وفى المرحلة الثالثة يكف قواد المقاطعات عن أن يكونوا فى الوقت نفسه حكاما عسكريين، وفى المرحلة الرابعة يتخذ ملاك الحكومات العسكرية بالتدريج طابعاً مدنيا مع تخفيض محسوس فى صلاحياته، وبعد تحقيق أهداف المرحلة الرابعة تحقيقاً كاملا، يحكم الألمان أنفسهم بأنفسهم بشرط ممارستنا لإشراف عام، ويكون على رأس الإدارة رجل مدنى لا رجل عسكرى.

فى أواخر عام ١٩٤٥، أخذت أتأمل فى التقدم، أو فى عدم التقدم، الذى حققناه فى المنطقة البريطانية، وكانت معركة الشتاء مستمرة وأنا آمل أن نربحها، وكانت لجنة الرقابة تعمل، ويبدو أننا نتقدم إلى الأمام، أما ما يهددنا الآن فهو التفاؤل المستسلم، لقد بدأنا بداية حسنة، لكن ما يزال هناك الكثير مما يجب عمله، وكنت أحس باقتراب العاصفة.

وبينما كانت خططنا لإنهـاض ألمانيا المعنوى تسير بانتظام، كانت المنطقـة البريطانية هادئة، فالألمان مشغولون بصعوباتهم المباشرة، ومهتمون بشكل خاص بإيجاد الغذاء ووسائل التدفئه، ولكـننى شعرت بأن منازعات ستحدث فيمـا بعد، فإذا نجحنا بأن نجعلهم يجتازون الشتاء بصورة ملائمة، فـإنهم سيستعيدون قوتهم فى عام ١٩٤٦، وسيرون مصانعهم مـفككة وفحمهم غير موجود، وسيتـحققون من أنه لن يسمح لهم الاستـفادة من نهوض بلادهم، فـلقد كانت سـياستنا الصناعـية والاقتـصادية موضوعة بصورة تجعلها مرتبطة ببطالة عامة.

ولقد نحينا عددا كبيرا من الألمان الاشتراكيين الوطنيين عن مناصبهم، وكثير من هؤلاء قديرون جدا ومنظمون من الطراز الأول، وهؤلاء أصبحوا الآن عاطلين عن العمل، وقد يكونون سـببا للاضطراب، ولقد سرحنا فى منطقـتنا نحو مليونين من المحاربين القدماء، ويمكن إضـافة نصف مليون إلى هذا الرقم، وكان فى ذلك بلا شك أرض خصبة يستطيع أن يبذر فيها قوم سيئو النية بذور الاستياء والاضطراب.

وبينما كانت هذه الأفكار تراودنى، خلصـت إلى أن علينا ألا ندع قواتنا المسلحة فى ألمانيا تتـناقص بسرعة أكـثر مما ينبـغى، فقد كـان علينا أن نحتـفظ بقوات كافـية للمحافظة على النظام وتطبيق القانون ومساعدة السلطة المدنية إذا هى ناءت بأعبائها.

وكان هناك احتمالات كثيرة لحدوث اضطرابات، ويمكن أن تسوء أمور كثيرة مما جـعلنى أفكر فى أن علينا أن نكون واثقـين من الأرض التى نقف عليـها قـبل أن نمضى قدما إلى الأمام.

وفى هوايتهول كـان هناك ميل إلى التقدم بسرعـة إلى الأمام، أما أنا فكنت أرى أن السير بسرعة أكثر مما ينبغى سيجعلنا نواجه مضاعفات غير سارة.

على أن رؤسائى من حزب العمال لم يكونوا جمـيعا موافقين على هذا، وكانوا يقولون إنهم يفهمـون أكثر منى فى السياسة، وهذا بالتأكـيد صحيح، لكنى كنت أنا المسئول عما قد يحدث، ولذلك رفضت تغيير سياستى.

ومع ذلك فقد علمت أن الأمـور استعجلت بعض الشىء بعـد أن غادرت ألمانيا فى مايو ١٩٤٦.

* * * *

الفصل الخامس والعشرون
أيامى الأخيرة فى ألمانيا

فى ٢٦ يناير ١٩٤٦، أبلغت رسميا أن الاختيار قد وقع علىّ لمنصب رئيس هيئة أركان الحرب الامبراطورية، وأن علىّ أن أتسلم مهام هذا المنصب فى ٢٦ يونيو، وحيث إننى سأغادر ألمانيا بعد بضعة أشهر، وجهت عنايتى إلى مسألتين كانتا فى رأيى هما الأساس فى كل شىء، **أولاهما:** مشكلة السكان الألمان، **والثانية:** تطوير الإدارة فى المنطقة البريطانية لمواجهة هذه المشكلة.

وكان أحد أهم أهدافنا فى ألمانيا يتلخص - على ما أعتقد - فى تعديل أحاسيس الشعب الألمانى ونمط حياته، ففى خلال السنوات الثلاث عشرة الأخيرة أدخلت أفكار اشتراكية وطنية ودكتاتورية بقوة فى العقول الألمانية، وتضاءلت السلطة العائلية كما تضاءل نفوذ الكنيسة وازدادت قوة الدولة، وقد اقترنت هذه الفترة بالنسبة للشعب الألمانى بالاستخدام الكامل وبمستوى معيشة مرتفع، أما الآن فلم يبق إلا البؤس، وكان هناك خطر من أن نرى الشعب الألمانى يلقى نظرة إلى الوراء بحنين إلى النظام الماضى، وبحسب معلوماتى كانت هناك نسبة مئوية كبيرة ، ربما بلغت ٦٠ ٪ من الشعب الألمانى، أشتراكيون وطنيون متعصبون، وفى منطقتنا كان الرأى العام يتطلب إزاء المنطقة البريطانية نحو ٢٠ مليون ألمانى سيشهدون أوقاتا عصيبة بسبب قلة الأغذية، وعلينا بلا ريب أن ننتظر الدخول فى نزاع معهم، وكان يجب التأثير عليهم وتوجيههم إلى حد ما كى لا يكونوا فى المستقبل سببا للمتاعب ، فكيف السبيل إلى ذلك؟

ولبلوغ مقاصدى كان يبدو لى أن باستطاعتنا أن نقسم هذه الكتلة البشرية إلى ثلاث فئات:

فهناك أولا الأولاد، وهؤلاء لن يصعب توجيههم رغم أن هناك خطرا دائما من أن يحدث عليهم تأثيرا سيئـا أعضاء عائلاتهم الأكبر منهم سنا ممن لا يزالون نازيين مؤمنين.

ثم يأتى الشباب من الجنسين، ممن تتراوح أعمـارهم بين الثامنة عشرة والخامسة والعشرين، وهذه المشكلة هى بلا أدنى شك أصعب مشكلة علىّ.

وأخيرا كان هناك الأشخاص الأكبـر سنا، وربما كان كثيرون من هؤلاء ينحازون إلى جانبنا.

ورأيت أن أفضل طريقة للتأثير على هذه الفـئات الثلاث، هى التركيز أولا على المجال الاقتصادى، ففيـه يوجد بلا شك الحل العام لهذه المشكلة، وكان يجب أيضا أن نعطى الشعب الألمانى الأمل بأيام أفـضل، وأن نوضح للشبان بأنهم لن ينـشئوا لأنفسهم مستقبلا قيما إلا بعملهم الخاص.

وبعد أن نعـيد الألمان إلى العمل، يبقى علينا أن نجـابه المشكلة السياسيـة، فعلى الصعيد العملى كانت تتحـتم لامركزية الحكم والمصالح المدنية، ورأيت أيضا أن من المفيد تشـجيع الاتصالات مع العالم الخـارجى كى يتمكن الألمان من دراسة عـقيدة جديدة تحل محل عقيدة النازيين.

وكان حلمى الكبير اخـتيار عدد من فتيان هذا الجيل وفـتياته يمكن إرسالهم إلى إنجلترا للتعود على نمط حياة جديد عليهم.

كنت قد أصدرت الأمر بأن يـسلم قـادة الجحافل فى ١٥ أبريل ١٩٤٦ سلطاتهم إلى إداريين مـدنيين، وهكذا نكون قـد اجتـزنا المرحلة الثـالثة التى أشـارت إليهـا التعليمـات التى أصدرتها فى ديسمبر ١٩٤٥، وأصـبح من الضرورى الآن إصدار تعليمات للإنتقال إلى المرحلة الرابعة، فوزعت مذكرة بهذا الصدد فى ٢٥ مارس.

كان عليّ أن أغادر ألمانيا فى ٢ مايو ١٩٤٦، إذ يجب أن اتسلم مهماتى الجديدة فى وزارة الحربيـة فى يونيو، وبعد التفكيـر مليا رأيت أن من واجبى إعـداد مذكرة للحكومة عن الوضع فى ألمانيا كما أراه، وهاك نصها:

١ - اللوحة مظلمة إن لم تكن سوداء، والأزمة الغذائية فى الوقت الحاضر تضع كل ما تبقى فى المرتبة الثانية، ولكنها بالتأكيد ليست العامل الهام الأوحد فى الوضع الخطير.

٢ - فالاقتصاد مريض، والفحم غيـر كاف، والصناعات الأساسية هى الوحيدة التى يمكن تنمـيتـها، أمـا الصناعـات الأخرى فـمشلولة وإنتـاج البضـائع الاستهلاكية محدود، ولا يجد السكان فى المخازن شيئا يشترونه.

ولقد عقد الحلفاء اتفاقا يحدد المستوى المقبل للاقتصاد الألمانى، وقريبا يبدأ تفكيك عدد كبير من المصانع الألمانيـة، وسينتج عن ذلك بؤس أكبر للسكان وبطالة متزايدة فى المنطقة البريطانية.

ومستـوى الإنتاج الحالى هو من الإنخفاض، بحـيث أن صادراتنا لا تؤمن أثمان مستورداتنا.

٣ - إن الاقتصـاد المريض لا يسمح بوجود نقد سليم، فلا يمكن شـراء الكثير بالماركات بينما يمـيل السكان إلى تعاطى المقايضة للحصـول على الأطعمة، وشيـئا فشـيئاً يخـسر المارك قيـمته لدى السكـان، وفى مثل هذه الظروف يستحيل تسيير الصناعة من جـديد، إذ هى تفتقر إلى الحافز، إننا نجد أنفسنا فى بداية تضخم.

إن علينا أن نعمل وفقا لخطة محددة محسوسـة تستهدف تغيير أحاسيس الشعب الألمانى، إننى أعلن أن الخطة الاقتصادية يجب أن تكون القاعدة لخط هجومنا.

ويجب أن يعرف الألمان مـا هو مستقـبل بلادهم، ولذلك يجب توفير مـستوى معيشة معقول لهم وإعطاؤهم الأمل بحياة مقبولة.

وإننى أرى أننا إذا لم نتـصرف على هذا النحـو، فإن إحـتلالنا لألمانيـا سينتـهى بفشل.

٥ - إذا أردنا التقدم يلزمنا:

* اقتصاد سليم.

* ميزانية متوازنة.

* رقابة مالية مركزية.

ومن الضرورى إنتاج مقدار أكبر من بضائع الاستهلاك.

والقسم الأكبر من تمويل التـعويضات يجب أن تتحمله ألمانيا كلهـا، أما الآن فهو يقع بعبئه الأكبر على المنطقة البريطانية حيث توجد معظم الصناعات.

٦ - بينما الوضع الاقـتصادى غيـر مستقر، يجـرى تشكيل الأحزاب السيـاسية والنقابات، ولكن يجب الإقـرار بأن هذا يشتمل على خطر مـحتمل، ولا شك فى أن قيام حزب اشتراكى ديمقـراطى قوى فى ألمانيا مكتفية، سيكون ذا فائدة كبيرة، كما سيكون مساهمة فى السلام والأمن فى أوروبا الغربية.

أما إذا كان للألمان على العكس أسباب للاسـتياء، وإذ نحن لاقينا عداوة منظمة تجاه الدول المحتلة، فـالشعب الألمانى سيجد فى الأوسـاط السياسية والنقابيـة جهازا يستطـيع استخـدامه لغـايات إجراميـة، إن هذا الوجه من وجـوه المشكلة يجب أن يدرس بعناية فى السـنوات المقبلـة ، ويجب أن تكون الدعـاية القادمـة من المنطقـة الروسية موضوع رقابة دقيقة.

٧ - سيكون علينا أن نقرر ماذا يؤلف ألمانيا؟ لقد حـددت الحدود الألمانية الشرقية في مؤتمر بوتسدام، على أنه لم يجر إتفاق بعد على الحدود الألمانية الغربية، إن هذه الحدود هي جزء من مشكلة مسـتقبل السار والروهر والريناني، إن علينا أن نُعلم الشعب الألماني كيف ستتألف ألمانيا الغد.

٨ - من الممكن إيجاد مـستوى معـيشة معـقول في ألمانيا على أساس المـستوى الصناعي المتفق عليـه، لكن بشروط معينة أهمـها وجوب اعتبـار ألمانيا كلا اقتـصاديا، وليست هذه هي الحـال الآن، أولا بسبب معـارضة الفرنسـيين وثانيا بنتيـجة موقف الروس، وأشك كثيـرا في أن الروس كانت لديهم يوما نية معاملة ألمانيا اقتصـاديا ككل ، بالمعنى الذي نعطيه نحن لهذه الصفة، وأنا مـتأكـد من أنهم لن يفـعلوا ذلك إلا إذا مـارسنا عليـهم نحن وحلفـاؤنا الآخرون ضغطا شديدا.

٩ - إن البلاد كلها في درجـة من الفوضى تجعل السبيل الوحـيد للعمل هو أن ندع الألمان، ينظمون الحالة بأنفسهم، وهذا ما تفعله المجالس التحكيمية في المنطقة الآن، ولكنه غـير كاف، بل يجب أن تكون هناك إدارات مـركزية، وليس لدينا مـثل هذه الإدارات، ومن الضروري الحـصول علـى موافـقة الفرنسيين لإنـشائها، ويجب الانتباه الشديد إلى ضرورة إنـشائها تحت رقابة رباعية صحـيحة، وإلى ألا تكون في تشكيلها ووظائفها خـاضعة لنفوذ دولة أكثر من خضوعها لنفوذ الدول الأخرى.

١٠ - ويتحـتم علينا أن نقـرر هل سنطعم الألمان أم سندعهـم يموتون جـوعا؟ والفروق الموجودة بين المستوى الغذائي في منطقتنا وهذا المستوى في المناطق الأخرى يجب إزالتها تحقيقا لمستوى واحد بموجب إتفاق يعقد لهذه الغاية.

١١ - إننى أعتبر النقاط الأربعة التى تضمنتها الفقرتان السابعة والعاشرة من هذه المذكرة، كالدعامات الأربعة التى يجب أن نبنى عليها ألمانيا الجديدة، والدعامة الرئيسية هى الرابعة، أى الغذائية، فإذا هى انهارت، إنهارت سائر الدعامات، وحتى الآن ليست الدعامات الأربعة موجودة، فلا نستطيع إذن التقدم إلى الأمام، فيتحتم علينا الشروع فى بناء الدعامات الأربعة، وعلينا قبل كل شىء أن نعلم الشعب الألمانى بما سيحل به وببلاده.

فإذا لم نفعل لا هذا ولا ذاك، فإن من المحتمل أن نواجه فشلا، وسيكون نتيجة هذا الفشل عداء متعاظما من قبل الأهالى الذين سينتهون إلى التطلع نحو الشرق.

إن ألمانيا كهذه تشكل تهديدا لسلامة الامبراطورية البريطانية، وعلى العكس من ذلك، فإن ألمانيا المكتفية المزودة ببناء سياسى سليم يمكن أن تكون ذات فائدة ثمينة فيما يتعلق بسلامة الامبراطورية وسلام العالم.

* * * *

الفصل السادس والعشرون
قبل العمل فى هوايتهول

لقد أدركت أن من مقتضيات عملى فى لجنة رؤساء أركان الحرب، أن أعمد فور وصولى إلى هوايتهول إلى تقديم رأيى، والاشتراك فى القرارات المتعلقة بمشاكل تقوم فى جميع أجزاء العالم المضطرب، ولن يمكننى بالطبع أن أتكلم بالسلطان الضرورى دون أن أكون قد زرت مسبقا البلدان التى يتناولها البحث، وانتهيت إلى أن علىّ أن أزور على الأقل بلدان المتوسط التى ترابط فيها قوات بريطانية، (مالطة، مصر، فلسطين، اليونان، وإيطاليا)، وأن ألقى نظرة كذلك على شرقى الأردن، وأن على أن أفعل ذلك قبل أن أبدأ عملى فى هوايتهول، وعندئذ أصبح فى وضع يمكننى فيه أكثر مما يمكننى الآن أن أعطى رأيا فى المشاكل الجارية للجنة رؤساء أركان الحرب وللوزارة بعد أن أتسلم مهمام منصبى كرئيس لهيئة أركان حرب الامبراطوية.

عندما قمت بزيارتى لمصر، فى يونيو ١٩٤٦، كانت المفاوضات المتعلقة بعقد معاهدة مستمرة منذ بعض الوقت قد بلغت نقطة جمود، وكنت أعرف الشرق الأوسط معرفة كافية لجعلى أدرك أننا قد نطلب فى زمن الحرب - أو إزاء خطر الحرب - تسهيلات شبيهة بتلك التى استفدنا منها فى ظل المعاهدة الإنجليزية المصرية القادمة، ولم يكن لنا غنى فى زمن السلم عن استعمال قناة السويس، والاستفادة من التسهيلات التى نحتاج إليها لمواصلاتنا الامبراطورية مع الهند وإستراليا والشرق الأقصى، ويجب أن نكون قادرين على الإحتفاظ بمنشآتنا الأساسية التى تستعملها قواتنا فى وقت الحرب، وأن يكون لنا حق إبقاء قوات فى المناطق الاستراتيجية وحق مرورها فى الشرق الأوسط.

ولكن الوفد البـريطانى الذى كان موجوداً آنذاك فى مـصر أطلعنى على أن كل محـاولة نبذلهـا للإحتـفاظ بمتطلباتنـا ستكون نتيـجتـها حدوث اضطرابـات خطيرة والاضطرار لاستعمال القوة واللجوء أخـيرا إلى مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، وارتأى الوفد - كحل وحيـد ممكن - أن نقترح سحب جميع القـوات البريطانية فى مصر، والمفاوضة بعد ذلك فى سبيل الوصول إلى اتفاق مرض، وقد أدلى بتصريح بهذا المعنى ولكنه لم يعط النتائج المرجوة، إذ لم يبد المصريون أى قبول ولا أى عزم على ملاقاتنا فى منتصف الطريق.

وفى هذه الظروف وصلت إلى مـصـر فى ١٠ يونيـو، بعد أن قـضـيت الليلة السابقـة فى مالطة، وجرت لى أحـاديث مطولة مع سفـير بريطانيا، السـير «رونالد كامبل»، ومع القائـد الأعلى للشرق الأوسط، الجنرال «برنارد باجت»، وكذلك مع ملك مـصـر ورئيس وزرائه صـدقى باشـا، ولقد تحـدثت مع هذين الأخـيـرين بصراحة، فقلت لهما: إننا نرغب فى أن يكون مفهوما فى مصر أن مصلحتها، فى حال وقوع حرب عالمية، أن تتعاون قوات بريطانية مع الجيش المصرى للمحافظة على كيـان مصر ودول الشـرق الأوسط العربية، ولذلك يجب أن تـقدم فى زمن السـلم تـهيـلات كافية للقـوات البريطانية من أجل إقامـة قاعدة فى الحدود التى تتطـلبها حاجات الحرب، وإذا كان الوضع على خلاف ذلـك، فإن البلدين سيبدآن الحرب بسلسلة من الكوارث لا يستطيعان النهوض منها، وهذه القاعدة يجب أن تكون فى مصر.

ولكن شيئا لم يتتج عن هذه المباحثات، لأن الوفد المصرى لم تكن لديه تعليمات واضحة من رؤسائه السـياسيين.

ولم يبد على الملك أنه إهتم أى اهتمـام بأقوالى، ولم يكف عن تكرار أن مصر قد عـانت منذ أربعين سنة من سـوء الإدارة البريطانيـة، ولذلك لم أضُع معه وقـتا

آخر، أما «صـدقى» فقد أظهر تفـهما أكثـر، وأعلن موافقتـه على اسلوب عرضى للمشكلة واعدا بالتعاون.

وأعلنت أننا سنخلى فى أقـرب وقت ممكن مدن الدلتـا، وسرعـة هذا الإخلاء سيقابلها إخلاء بطىء لمنطقـة القناة التى قد يتطلب الجلاء عنها خمس سنوات حسب تطور الوضع الدولى.

ثم أرسلت إلى هوايتهول تقريرا عن نتائج المحادثات التى أجريتها فى مصر. وقد انتهيت - بعد زيارتى لمالطة ومصر - إلى أننا لا نزال نستطيع - دون إحتلال مصر- أن نسيطر على المتوسط الشرقى، وأن نكون قادرين على حماية مصالحنا الحيوية فى حالة الحرب بشرط إمكان تحقق المتطلبات الآتية على الأقل:

أ - الوصول إلى اتفاق يعطينا حق إقامة ما نشاء من القوات فى ليبيا، ويمكن أن تكون ليبيـا قاعدة ممتازة لقواتنا الجوية، فـحين تكون مالطة فى أيدينا، وتكون لنا قوات بريـة وجوية فى ليـبيا، فسـنكون فى وضع جيد لحـماية مـصالحنا الحيوية فى المتوسط وأفريقيا الشمالية.

ب - إقامـة قوات أمـاميـة برية وجوية فى قـبرص، وقـوات جوية فى شـرقى الأردن، وفقا لاتفاقات تعقد لهذا الغرض.

جـ - الاحتفاظ بكامل حقوقنا العسكرية فى فلسطين.

د - الاحتفاظ بحق العودة إلى مـصر فى حال خطر الحرب، على أن يحافظ لنا المصريون على نواة لقواعدنا فى زمن السلم.

هـ - من المهم أن نبـقى أقـوياء فى السـودان فى حـالة نشـوء صـعـوبات مع المصريين، كى نكون قادرين على السيطرة على النيل شريان مصر الحيوى.

وكانت فلسطين المحطة التالية فى رحلتى، وكان الوضع فيها قد تدهور منذ زمن طويل، وقامت المنظمـات اليهودية غيـر الشرعيـة مثل منظمة «إيرغون»، وعـصابة

«شترن» بأعمال إرهابية، وقبل زيارتى بقليل وضعت اللجنة الإنجليزية الأمريكية تقريرها مقدمة توصيات، بينها توصية بقبول ١٠٠ ألف يهودى على الفور، وكان هذا التقرير ما يزال قيد الدرس، وقد أحدث نشره تباطؤا مؤقتا فى أعمال الإرهاب، ولكن اليهود أبدوا دلائل نفاذ صبر بسبب التأخير فى تحقيق رغباتهم، وكان يبدو أن الهدوء لن يدوم طويلا.

وكنت منزعجا كل الإنزعاج مما سمعته ومما رأيته، فكان إتخاذ قرار سياسى أمرا ضروريا بالتأكيد، ولكن لم يكن فى الوقت الحاضر من صلاحياتى تعيين حدود هذا القرار، وظهر لى أن المفوض السامى عاجز عن اتخاذ قرار، فالتردد يسود كل مكان، ابتداء من هوايتهول، لقد كان يجب تحديد خط للسلوك، وكانت قوة الشرطة الفلسطينية أقل خمسين بالمائة عما كان يجب أن تكون عليه، خاصة فى وقت يقترب فيه الوضع من الإنفجار، ومن كل هذا نتجت حالة لم تعد فيها السلطة البريطانية إلا سلطة إسمية، وبدا لى أن الذين يمسكون حقا بزمام السلطة هم اليهود.

وقد أبلغت القائد الأعلى فى فلسطين بوضوح أننا نخطىء السبيل، إن قرار إعادة السلطة البريطانية بشكل فعال قرار سياسى- وعلينا تطبيقه- فإذا أسفرت عن ذلك حرب مع اليهود، فستكون من وجهة نظر الجيش حربا ضد عدو متعصب واسع الحيلة أسلحته القتل والخطف والتخريب، وسيقاتلنا النساء كما يقاتلنا الرجال، ولن يعرف أحد الصديق من العدو، وكل هذا يتطلب مراجعة دقيقة لنشاط الموظفين المكلفين فى فلسطين بالمصالح العمومية، ويجب أن تعلق النشاطات الاجتماعية وتتخذ أدق التحفظات، وبصورة عامة على كل فرد أن يعى مسئولية المهمة التى تنتظره، وألححت على أن تعطى توجيهات صارمة وبالغة الوضوح إلى الشرطة والجيش، قائلا: إن القوات ستنال تأييدى الكلى لتنفيذ مهمتها الصعبة.

وقبل أن أغادر فلسطين، أبرقت إلى هوايتهول معربا بقوة عن وجهة نظرى قبل أن أسافر إلى الهند، توجهت بالطائرة إلى عمان وتناولت الغذاء مع الملك عبد الله الذى كان صديقا قديما لى، وأكد لى الملك أنه سيستخدم كل نفوذه للدفاع عن القضية البريطانية لدى الدول العربية، وأضاف أن اتخاذ قرار لمصلحة العرب فى فلسطين لا غنى عنه للمصالح البريطانية فى الشرق الأوسط، فأجبته أن هذا شأن الرجال السياسيين، وأنى سأطلع رئيس الوزراء على ملاحظاته، وقد فعلت ذلك.

قضيت فى البصرة ليلة فى طريقى إلى الهند، وكان الاهتمام الأكبر هنا بالطريقة التى تجرى فيها الأحداث فى إيران وخصوصا فى المناطق البترولية بإيران الجنوبية، فقد أقام حزب توده بنفوذ الروس وتأييدهم حكومته الخاصة فى مقاطعة أذربيجان التى أعلنت مؤخرا استقلالها، وهو يبذل قصارى جهده لمساعدة السياسة الروسية فى بقية إيران، ويشتمل هذا على محاولات لمضايقة المصاح البريطانية فى المنطقة البترولية، وقد درست المشكلة مع القائد الأعلى للقوات البريطانية فى العراق، وكانت مهمتة حماية الأرواح والمصالح البريطانية والهندية فى «عبادان» وفى مناطق آبار البترول الرئيسية الخمس على بعد نحو ١٥٠ ميلا شمالى شرقى وشمال عبادان، ولم تكن لديه قوات كافية لذلك، وهو يحتاج إلى لواء مشاة إضافى، فأبلغت لندن بالأمر موصيا بأن يعسكر اللواء المشار إليه فى الشعيبة مع مساندة جوية بمستوى فوج.

ومناخ هذا الجزء من العالم لا يلائم الجنود البريطانيين الشباب مهما كانت مدة الإقامة، فعزمت على أن أسال نائب الملك فى الهند وقائده الأعلى إذا كانا يستطيعان إرسال لواء هندى، إذ أن أهمية هذه المنطقة البترولية كبيرة جدا بالنسبة للهند، كما هى كبيرة بالنسبة لبريطانيا، وقد قبل هذا الطلب فيما بعد وجاء اللواء فى مطلع أغسطس ١٩٤٦ من الهند إلى الشعيبة.

وفى الهند، كانت المشكلة العسكرية متوقفة على القرارات السياسية المقبلة، وقد قال لى «وايفل» إنه مقتنع بأن على البريطانيين أن يتركوا البلاد للهنود، ولم يكن هناك إقبال على التوظف فى المصالح المدنية، ولم نكن نستطيع أن نحكم البلاد فترة طويلة فى مثل هذه الظروف، وكان «وايفل» يريد السير بالتدريج، إبتداء من الجنوب، بينما كانت الحكومة البريطانية تريد أن يتم الأمر بسرعة، وكانت هناك فى ذلك الحين بعثة من الوزارة البريطانية فى دلهى، وكنت مهتما بالمضاعفات العسكرية أيا كانت الخطة التى ستتبناها الحكومة أخيرا، فإذا نشأت اضطرابات من جراء تطور الموقف فسيكون على العسكريين أن يحافظوا على الأرواح والمصالح البريطانية، وفى هذه الحال سيكون موقف الجيش الهندى عاملا بالغ الأهمية.

وبالإضافة إلى محادثاتى المطولة مع نائب الملك ومع أوكنلك، جرت لى مناقشات مع المرحوم مولانا «آزاد» رئيس حزب المؤتمر، ومع السيد «جناح» رئيس الرابطة الإسلامية وأعرب «غاندى» عن أسفه لعدم تمكنه من المجىء إلى دلهى لمقابلتى، إذ كان يشترك فى اجتماع للجنة حزب المؤتمر العليا.

وكانت هذه المحادثات قيمة بالنسبة لى، لا لأنها تنبأت بالمستقبل فحسب، بل لأنها أيضا أظهرت أن زعماء الحزبين السياسيين راغبون على السواء فى الإبقاء على القوات البريطانية فى الهند مهما كانت أقوالهم العلنية.

وكنت أنا محتارا بشأن الموقف الذى ستجد القوات البريطانية نفسها إزاءه إذا تسلمت حكومة هندية صرفة زمام الأمور، وقد بدا لى أن اهتمام «أوكنلك» منصرف إلى الجيش الهندى كليا، فهو قليل الإهتمام برفاهية الجنود البريطانيين فى الهند، ولذلك قررت بموافقة «وايفل» التامة أن أسعى لتعيين ماجور جنرال للقوات البريطانية فى مقر القيادة العليا فى دلهى، وإرساله فورا إلى الهند، ووافقت لندن وعينت الماجور جنرال «هويسلر» فى هذا المنصب.

وقد جـرت كل هذه المحادثات فى دلهى خـلال يومين اثنين، ولكنـها زودتنى بصورة صحيحة عما كان عليه الوضع العام فى الهند، وهكذا تبين أن توسيع نطاق رحلتى كان مثمرا.

وكانت عودتى يجب أن تتم بطريق أثينا ونابولى، ولكننى قررت أن أتوقف ساعة فى اللد فى فلسطين لأتحدث مرة أخرى مع الجنرال باركر، ورجوت كذلك الجنرال «باجت» أن يلقانـى فى اللد، ومرة أخرى أوضـحت أنه يجب أن لا يكون هناك أى ضـعف فيـما يتـعلق بالمحافـظة على النظام وتطبيـق القانون عندمـا يتصل الأمـر بالإغتيالات والمحاولات الإرهابية.

وكان «باركر» يـشكو من عدم مساندة السلطات الحكومـية له، فوعدته بتـأييدى الكامل فى مهمته الشاقة، ثم واصلت سـفرى نحو أثينا مع توقف فى قبرص للتزود بالبترول.

عرض لى السـفيـر البريطانى السـير «كليـفورد نورتون»، والقائد الـعام الجنرال «كروفورد»، الموقف فى اليونان، وكان الصراع بين اليمين واليسار قد أصبح مشكلة خطيرة، وقد أثارت الأعمـال الوحشية التى إرتكبها اليـسار المتطرف فى الإنتخابات الأخيرة حـقدا عميـقا على الشيوعيـين لدى أكثرية الشعب اليـونانى، ولولا وجود القوات البريطانية لنجحت الأقلية الشيوعية التى يدعمها النفوذ الروسى فى الاستيلاء على الحكم بالإرهاب وبقـوة السلاح، وفى ذلك الحـين لم تكن الشرطة اليـونانية، حتى مع دعم الجـيش اليونانى، قـادرة على فرض احـترام القانون والمحـافظة على النظام، وكانت السلطات المدنية والعسكريـة البريطانية فى اليونان ترى أن هناك خطرا حقيقيا فى ترك اليوغسلافيين والبلغاريين والروس يتدخلون فى شئون اليونان، وقيل لى إن حجم الجيش البريطانى فى اليونان يجب أن يتوقف على ضرورة الحيلولة دون وقوع إنقلاب مدعوم بأسلحة أجنبية، ولكننى أوضحت أن سياستنا فى اليونان يجب أن تقوم على أن اليونانيين يعود إليهم هم أمـر فرض إحترام القانون والمحافظة على

النظام فى بلادهم، فهذه هى مسئوليتهم الأولى، ونحن لا نستطيع أن نبقى القوات البريطانية فى اليونان إلى الأبد.

أما أكثر مهمات الجيش البريطانى فى اليونان إلحاحا فهى مساعدة الجيش اليونانى وتدريبه من أجل جعله قادرا فى أقصر وقت ممكن على السيطرة على الوضع الداخلى فى البلاد، فلا ريب أن الإعتداء من الخارج لن يحدث إلا إذا إنفجرت اضطرابات داخلية خطيرة لا يمكن السيطرة عليها.

إن تعديل برنامج رحلتى بإضافة الزيارة إلى الهند أدى إلى تقصير إقامتى فى إيطاليا ثمانى عشرة ساعة، كى أستطيع العودة إلى إنجلترا فى ٢٦ يونيو، وهو اليوم الذى يجب أن أتسلم فيه مهمام عملى الجديد.

وبعد أن نزلنا فى نابولى توجهنا إلى كاسرتا، حيث إنصرفنا فورا إلى العمل، وكان فى إيطاليا خوف من أن يغزو اليوغوسلافيون مقاطعة البندقية.

وكما كان الأمر فى اليونان، كانت خطورة الموقف تولى مقدارا من الأهمية أكبر مما يبرره مظهرها المحلى، فحرب الأعصاب الروسية لم تكن تعتبر خدعة بل دليلا على أن العمليات الحربية يمكن أن تنفجر فى كل لحظة.

وقلت إن نشوب حرب صغيرة مع يوغوسلافيا لا يمكن إلا أن يستتبع حرباً عالمية عظمى، مما يدركه المعسكر الخصم كل الإدراك، فإذا اضطررنا للقتال من أجل منطقة البندقية، فسيكون من واجب الحلفاء الغربيين أن تكون قواتنا قادرة على مجابهة العدو فى ظروف جيدة، وليست هذه هى الحال الآن.

ووعدت بألا أغفل المسألة ، وبالوصول إلى اتفاق للجلاء عن بولا، فلم يكن لتعهدنا بشأنها ما يبرره من الوجهة العسكرية، وكان يبدو لى أن الإلتزامات التى أخذناها على عاتقنا فى النمسا وإيطاليا كانت مترابطة أوثق الترابط، وكنت أرى

تخفـيض حجم القـوات البريطانيـة فى النمسـا لتعـزيز القوات الموجودة فى مـنطقة البندقية.

وغادرت إيطاليـا فى صبـاح يوم ٢٦ يونيو، ووصلت فى مسـاء اليوم نفـسه إلى لندن متعباً، لكن مقتنعا بأننى أفضل تزودا لإبداء رأيى فى المشاكل الخارجية مما كنت عندما غـادرت ألمانيا فى شهـر مايو، فقد علمت أن قـوادنا العسـكريين فيـما وراء البحار يكافحـون كثيرا من المشاكل الصعـبة، وأن القوات المتوفرة لديهم غيـر كافية على الإطلاق، وقد بذلت قصارى جهدى فى كـل مكان لأزرع الثقة واعدا بتقديم مساعدتى من أجل حل المشاكل وبتقديم تأييدى لمجابهة أوضاع غير سارة.

* * * *

الفصل السابع والعشرون
أيامي الأولى في هوايتهول

لم يسبق لى أن علمت فى وزارة الحربية، ولم أكن أعلم إلا القليل من تنظيمها وعن طريقتها فى العمل، وسرعان ما أدركت ضخامة العمل الذى أنجز فى هذه الوزارة خلال الحرب، وقبل أن أتركها فى عام ١٩٤٨ خلصت إلى الإعتقاد بأن وزارة الحربية هى بلا شك أفضل وزارات هوايتهول.

وفى أول اجتماع حضرته لمجلس الجيش، قدمت مذكرة كنت أعددتها فى «هندهيد» فور عودتى من ألمانيا فى مايو ١٩٤٦ حول مشكلة جيش ما بعد الحرب، وهاك النقاط الرئيسية فى هذه المذكرة:

أ - ضرورة الاتفاق على البنية التى يجب أن تكون بنية الجيش فى السنوات العشر أو الخمس عشرة المقبلة.

ب - أهمية الجيش المكتفى والعوامل الضرورية لتحقيق ذلك.

جـ - الجيش النظامى والأمة المسلحة يجب أن يشكلا كلا متوازنا قادرا على العمل السريع عندما تنفجر الحرب، والوحدات الاختصاصية التى لا يمكن الإحتفاظ بها بسبب الحد الأعلى لإعداد جنود الجيش النظامى يجب أن يقدمها الجيش الشعبى.

د - ضرورة قيام صلة جيدة مع جيوش الدومنيون.

هـ - بناء الجيش النظامى وقوته العددية، القوات القاعدة وقوات الأمن الموزعة فى كل الامبراطورية مع القوات الاحتياطية الاستراتيجية فى المملكة المتحدة والشرق الأوسط.

و - بناء الجيش الشعبى وقوته العددية ودوره.

ز - أهمية الأبحاث العلمية وتنميتها.

ح - مفهوم الحرب الحديثة، عقيدة واضحة مستوحاة من دروس الماضى يجب أن تلقن للجيش كله.

ط - التدريب الجماعى يجب أن يكون خلاقاً واقعيا منسجما مع شروط القتال الحديث، ويجب أن يجرى فى كل الفصول لا فى فصل الصيف وحده كما جرت العادة سابقا.

ى - مدارس عسكرية لإكمال تعليم الضباط، لا فى سلاحه فحسب بل فى دائرة أوسع أيضا تشمل تعاون جميع الأسلحة والتنظيم والإدارة.

ك - تدريب كبار الضباط والقادة على مستوى أعلى.

ل - المعنويات، ضرورة درس هذه المسألة وتعليم الطريقة التى يمكن الحصول بها على معنويات عالية.

م - أهمية إقامة تعاون وثيق مع سلاح الجو الملكى.

وقد ألحقت بهذه الوثيقة ملاحظات تتعلق بمبادىء الحرب الأساسية، كما ألحقت بها مذكرة ألححت فيها على إدخال نظام مختلف عن النظام الموجود فى الجيش فيما يتصل بالعلاقات بين القائد الأعلى وأركان حربه، وكان النظام البريطانى يترك آنئذ للقائد الأعلى مسئولية تنسيق أعمال أركان حربه، والتجارب التى جرت خلال الحرب العالمية الثانية أقنعتنى بأن هذا النظام أصبح بالياً، إذ يجب أن يكون للقائد الأعلى إمكانية رؤية جوهر المشاكل التى يواجهها مع التفاصيل البالغة الأهمية فعلا، لكن مع هذه التفاصيل وحدها، ففى هذه الظروف فقط يمكن أن يضع القائد الأعلى بنفسه خطة من الخطط، ولا يجوز أن يضعها شخص آخر، ولا يجوز أن

تفرض عليـه هذه الخطة لا من جانب أركان حـربه ولا من جانب الظروف ولا من جانب العدو.

وأعلنت أن نظامنا القائم لأركان الحرب لا يعطى أفضل النتائج، فالقواد الأعلون المنهمكون بكثير من التـفاصيل معرضون لإهمال الإعتبـارات الكبرى، أن التفاصيل هى من شـأن أركان الحـرب، ورئيس أركان الحـرب المكلف بالتنسـيق لا غنى عنه ليخفف عن القائد الأعلى، ويتيح له التفكير والتأمل فى هدوء.

وكانت فى وزارة الحربية معارضة كبيرة لهذا التعديل سواء من جانب العسكريين أو الموظفين المدنيين، ولإقتناعى بأن مثل هذا التغيير فى نظام أركان الحرب ضرورى للوصول إلى إدارة حسنة فى زمن السـلم، ولتحقيق قيادة فـعالة فى زمن الحرب، فـقد إنتـهيت إلى القـول بإننى إذا لم يدخل نظام رئيس أركـان الحرب فى الجـيش البريطانى فسـأقدم إستقالتى، وأدع لرئـيس الوزراء أمر الاهتمام بتعـيين رئيس آخر لهيـئة أركـان الحرب الامبـراطورية، وقد وضع هذا حـداً نهائيـا للمناقشـة وجرى التغيير، لكن الأمر إقتضانى السعى عدة أشهر لتحقيقه.

وبعد أن قضـيت بضعة أسابيع فى وزارة الحـربية إنتهيت إلى استـنتاج أن ليست هناك سيـاسة واضحة فـيما يتعلق بالبـحث العلمى، وضرورة الإنتقـال إلى مرحلة الإنتاج فى مدة مـعينة، فالآراء المتعـارضة والتردد قد وضع هذه المسـألة فى المرتبة الثانية، وقد أدركت أن من غير المجدى طلب المشورة فى هذا الموضوع من الرجال السياسيـين، وبعد أن درست كل الوثائق المتصلة بهذه القضـية، خلصت أن الجيش النظامى يجب أن يجهز تجهيزا كافيا فى مهلة خمس سنوات، ١٩٥١، ليتغلب على الصعـوبات الصغـرى التى يمكن أن تنشأ، يضـاف إلى ذلك أن المجمـوع المتوازن للجيش النظامى والجيش البرى يجب أن يكون فى مهلة خمسة عشرة سنة، ١٩٦١، لجهة العتاد وإعـداد الجنود والذخائر والاحتياطى، مستعـدا لمواجهة حرب عظمى،

وأن يحافظ فـيما بعد على هذا المستوى، ولقد أحدث اتخاذ قـرار حازم فى هذه المسألة إرتيـاحا كبيـرا لدى الجميع فى وزارة الحربيـة، وأبلغت بالطبع رئيس الوزراء ووزير الحربية ولجنة رؤساء أركان الحرب بالتـعليمات التى أصدرتها، ولم يكن هناك تعليق، وفيما بعد أبلغت الجنرال «إيزنهاور» ورؤسـاء أركان حرب جيوش الدومنيون بما فعلت فكانوا جميعا موافقين.

أما فيما يتعلق ببنية الجيش، فقـد تحققت خطوة كبرى إلى الأمام، وانتهيت أخيرا إلى استـنتـاج أن ليس لدى الأوسـاط الوزارية والعـسكرية فى هوايتـهـول أية فكرة واضحـة عن الطريقة التى يجب أن نخوض بهـا حربا واسعة النطاق، وفى مـذكرة حول الدفاع عن الامبـراطورية - كتبتها قبل أن أصبح عـضوا فى لجنة رؤساء أركان الحرب - وصـفت الشـرق الأوسط بأنه إحدى مناطق إرتكازنا الـرئيسـية والأكـثر حيـوية، ولم يتقبل رئيس الوزراء «اتلى» هذه النظرية وقـاومها أثناء الاجتـماع الأول الذى شهدته، وبعد هذا الاجتماع، قلت لزميلى: إن على رؤساء أركان الحرب أن يضعوا دراسة عن الاستراتيجية الغربية فى حرب عامة، ورفعها إلى رئيس الوزراء، فلم يقبلا إقتراحى استنادا إلى نقص المعلومات الحـاسمة حول قوة الأسلحة المقبلة، وإلى أن أركان حربهم ليس لديها الوقت لكتـابة مثل هذه الدراسة فقلت عندئذ إننى سآخذ على عاتقى وسأقدم هذه الدراسة إلى وزارة الحـربية بعد اسبوع، وقد كتبت الدراسة فى اسـبوع واحد، وأرسلت منهـا نـسخا إلى قـائد الأسطول الأعلى وإلى رئيس أركان حـرب سلاح الجو، وعلى الرغم من أن كليـهما لم يخـالفانى إلا فى النقطة الأولى من هذه الدراسة، والخـاصة بإقامـة كتلة غربية مـتينة لحماية شـعوب العالم الغربـى وأراضيه وحضارته ضـد غزو يأتى من الشرق، فقـد رفضا أن ترفع المذكرة إلى رئيس الوزراء بوصفها صادرة من لجنة رؤساء أركان الحرب.

تلك كانت بداية الصراع الذى كان على أن أخوضه فى هوايتهول للوصول إلى تحديد للاستراتيجية البريطانية يشترك فى وضعه الجميع، وتلك أيضا كانت بداية إحتكاكات كثيرة داخل لجنة رؤساء أركان الحرب.

ونشأ خلاف هام فى لجنة أركان الحرب يتعلق بطريقة وضع خطط المستقبل، وكان رأيى أن على رؤساء أركان الحرب أن يعطوا توجيهات كبرى لهيئة المخططين المشتركة، حين تدعى هذه الهيئة إلى درس المشاكل القائمة، وحين تتصل هذه المشاكل على الأخص باستراتيجية الحرب وسيرها، وكان زميلاى يريان أن الأفضل ترك الهيئة تعمل دون توجيهات ليتاح المجال على هذا النحو لوضع أفكارها الخاصة، وكان ردى أنه حين يتعلق الأمر بمشاكل تقتضى استخدام وحدات هامة من الجيش البرى وسلاح الجو والبحرية، فليس من المعقول أن يطلب إلى ضباط صغار أن ينصرفوا إلى العمل دون توجيهات مسبقة، وواجبنا هو على العكس أن ندلهم أين توجد وجهة الحل، على أن حججى لم تؤثر فى رئيس الأركان الاخرين، ولذلك لم تعط أعضاء هيئة المخططين المشتركة أبدا أى رأى رسمى، بيد أننى أبلغت زميلى أننى بوصفى رئيسا لأركان الحرب الامبراطورية سأعطى دائما ممثلى الجيش البرى المكلفين بوضع الخطة مع ممثلى الطيران والبحرية وجهة نظرى فى المواضيع المطروحة، وبما أن ممثلى السلاحين الآخرين لم يكونوا مطلعين على وجهة نظر رؤسائهم، فقد كان رأى وزارة الحربية هو الذى يسود بصورة عامة.

ويجدر أن تذكر أيضا نقطة خلاف أخرى، فعلى جانبى الأطلسى كان يسود الإهتمام بمعرفة إلى أين ستقودنا متاعبنا مع الروس؟، وأصبح واضحا فى مطلع شهر أغسطس ١٩٤٦، أن على البريطانيين والأمريكيين أن يضعوا مبدأ مشتركا، وكانت هناك محادثات جارية فى هذا الصدد مع الأمريكيين على الصعيد الدبلوماسى، ولكن لم يكن هناك بعد شىء نهائى على الصعيد الحكومى.

وذهب زميـلاى فى لجنة رؤسـاء أركان الحرب إلى أن علـينا أولا أن نستـعرض مشاكل الساعة العالمية، واستـخدام هذا العمل المسبق كمدخل لبحث المشاكل التى يعتبر حلهـا أقل إلحاحا، وكان هذا هو أيضا رأى الأمريكيـين كما اتضح من تبادل وجهات النظر بين الدبلوماسيين.

ولم أكن موافقا على ذلك، بل أوضحت أن من غير المنطقى النظر فى العمليات المحليـة، فى منطقـة البندقـيـة أو فى ألمانيـا، أو فى أى مكان آخـر، خـارج نطاق الاستراتيـجية التى أعددناها إحتـياطا لاحتمـال نشوب حرب عالمية ثالثـة، فالحروب المحلية قد تثـير حربا شاملة، ولذلك يجـب أن تكون خططنا المحلية داخلة فى إطار واسع.

وبعد مناقشة طويلة إنتهيت بإقناع القائد الأعلى للأسطول الذى وافق على وجهة نظر وزارة الحربية، وعندئذ تخلى قائد سلاح الجو الملكى عن معارضته.

وفى ١٩ أغسطس ١٩٤٦، أبحـرت فيه من ليفـربول إلى كندا لزيارة هذه البلاد وزيارة الولايات المتحدة أيضا.

وقد قمت بهاتين الزيارتين تلبية لدعوتين وجههما إلى المستر «ماكنزى كنج» باسم الحكومـة الكندية، والجنرال «إيزنهاور» وكـان القصـد الأول تمكينى من رؤية هذين البلدين اللذين لم أكن أعـرفهما بعـد، واللذين كانت جيـوشهما قـد خدمت فى مناسبات مختلفة تحت قيـادتى خلال الحرب، وبالطبع كانت هناك فى كلتا الزيارتين مواضيع أهـم أنوى معالجتهـا، وبعد ذلك أتاحت لى الظروف فرصـة تجاوز المجال المحدد أولا ومباشرة أعمال كـانت تبدو فى بداية الرحلة خارج الموضوع تماما، وكنا قد واجهنا فى (أوتاوا) مسـألة توحيد مستوى الأسلحة والعتـاد وإجراءات العمليات بين بريطانيا وكندا والولايات المتحدة وقد أرسلت تقريرا إلى رؤساء أركان الحرب فى لندن مقـترحا أن تدرس هـذه المسألة الآن فى المراجع العليـا من جميع وجـوهها

وسائلا إن كان لدى هوايتهول إعتراض على أن أبحثها فى واشنطن، ولدى وصولى إلى جسبر تلقيت برقية تأذن لى بالمضى قدما فى الطريق الذى اقترحته، لكن فى جسبر كانت أفكارى قد تجاوزت مسألة توحيد المستوى هذه، إذا أخذت فى ذهنى فكرة أن الوقت قد حان كى تتعاون بريطانيا العظمى وكندا والولايات المتحدة تعاونا تصميمياً فى جميع الميادين المتصلة بالدفاع، فالمباحثات يجب أن لا تقتصر على توحيد المستوى بل يجب أن تشمل كل ما له صلة بالتعاون والعمل المشترك فى حالة نشوب حرب وقد أعلن رئيس وزراء كندا أنه موافق كل الموافقة على اقتراحاتى، وأذن لى أن أنقل هذا الموقف إلى رئيس الولايات المتحدة.

وصلت إلى الولايات المتحدة فى ١٠ سبتمبر، ووافق «إيزنهاور» على أن الوقت قد حان لدراسة عمل مشترك والتخطيط له، لا فيما يتعلق بتوحيد المستوى فحسب، بل فيما يتصل بجميع وجوه الدفاع والاستعداد لكل الإحتمالات، وأن الأوان قد آن فى رأيه لجعل رؤساء الدول يتدخلون.

وقابلت الرئيس فى صباح اليوم التالى، وكنا وحدنا، فافتتحت الحديث قائلا: إن «إيزنهاور» وأنا نعتبر أن الوقت قد حان للدخول فى مباحثات تتعلق بمشكلة الدفاع فى مجملها وحدثته عن موافقة «ما كنزى كنج»، وقلت له أخيرا إنه إذا تفضل رؤساء الدول بأن يعطوا موافقتهم فقط، فإن هيئات أركان الحرب ستنصرف فورا إلى العمل، فوافق الرئيس دون تردد.

وعلى هذا النحو إنتهت هذه الزيارة المكللة بالنجاح بشكل ظاهر، وإلى أبعد ما يمكن لى أن أحلم به، فقد تجلى أن رئيس الولايات المتحدة ورؤساء أركان الحرب الأمريكيين قبلوا- دون مناقشة- استمرار عمل جهاز أركان الحرب المشتركة.

والحقيقة أننى نجحت فى فترة من الزمن لا تتجاوز بضعة أيام، فى الحصول على موافقة رؤساء الدول، ورؤساء أركان الحرب لكل من كندا والولابات المتحدة

والمملكة المتحدة، بشأن إفتتاح مباحثات عسكرية على أساس واسع، مما قاد الامبراطورية البريطانية والولايات المتحدة إلى توحيد سياستهما الدفاعية وخططهما قبل أن تفرض عليهما حرب أخرى.

* * * *

الفصل الثامن والعشرون
رحلاتى فيما وراء البحار
فى عام ١٩٤٧

خلال الحرب، توليت قيادة قوات من كندا واستراليا ونيوزيلندا وأفريقيا الجنوبية وروديسيا الجنوبية والهند وكثير من المستعمرات، وعندما إنتهت الحرب تلقيت من حكومات هذه البلدان دعوات لزيارتها.

فى مؤتمر بوتسدام، الذى انعقد فى يوليو ١٩٤٥، تعرفت على المارشال «ستالين» الذى دعانى لزيارته فى موسكو فى موعد لاحق، ووافق رئيس الوزراء تشرشل على أن ألبى هذه الدعوة.

ووصلت إلى موسكو فى ٦ يناير ١٩٤٧ على طائرة من طراز يورك تابعة لسلاح الجو الملكى، وكان فى استقبالى المارشال «فاسيليفسكى»، رئيس أركان حرب القوات الروسية، على رأس جمهور من المارشالات والمصورين والصحفيين.

وكانت أكثر لحظات زيارتى إلى موسكو إثارة حين تحدثت إلى «ستالين»، وقد جرى هذا الحديث فى مكتبه بالكرملين فى الساعة ١٧ من يوم ١٠ يناير، وهو آخر يوم من أيام إقامتى فى روسيا.

ومن كل ما رأيت وسمعت نشأ لدى الإنطباع بأن روسيا فى حالة سيئة، فالغزو الروسى قد أحدث فيها تدميرا هائلا، وفى روسيا البيضاء دمرت القرى والمدن، وفى أوكرانيا كانت المعارك عنيفة والتدمير مريعا، وهذه المنطقة التى تضم نحو ٦٠ بالمائة من إمكانات روسيا الصناعية قد خربت خرابا تاماً، وكان الطعام قليلاً، إذ أن موسم ١٩٤٧ كان ضعيفا، وكانت ظروف السكن مرعبة، وكان إنطباعى أن الروس

منهكون، وليس الأمر مجرد تعب ناشىء عن الحـرب، إذ قد قيل لى إن البلاد فى مجملها متـعبة، وإنما أنا أقدر أن روسيا كانت عاجـزة كل العجز عن الإشتراك فى حرب عالمية ضد ائتلاف قوى للدول الحليـفة، وأنها كانت تعرف ذلك حق المعرفة، إنها تحتاج إلى وقت طويل من السلام لتنهض.

فى ٢١ يونيو ١٩٤٧، غـادرت لندن بطريق الجو لزيارة أسـتراليا ونيـوزيلندا بناء على دعوة من حكومتى هذين البلدين، وفى مـؤتمر رؤساء وزارات الدومنيون عام ١٩٤٦ أعلنت أستراليا ونيوزيلندا أنهـما تتمنيان أن تتحملا مسئولية أكـبر فيما يتعلق بمسـائل الدفاع فى المحـيط الهادىء، ولذلك كـان لموقـفى أثناء هذه الرحلة أهميـة خاصة فى هوايتهول، ورأيت أن من واجبى أن أكـون على أتم الاستعداد للتباحث مع حكومات الدومنيون.

اتخذت عدتى لـزيارة الهند وأنا راحل إلى أستراليا لسـببين، أولهمـا بغية وضع منهاج إنسحاب القـوات البريطانية من هذا الجزء من العالم، وثانيهمـا بغية الوصول إلى اتفاق مبدئى للإسـتمرار فى استخدام وحدات الغـوركا فى الجيش بعد أن تنال الهند استقلالها.

ووصلت إلى دلهى ظهـر يوم ٢٣ يونيو، وبدأت المحادثات مـع «نهرو» و«جناح» بعد الظهر، وفى ذلك الحين كان مشروع التقسيم قد قبل، فلم تكن هناك صعوبات حول هذه النقطـة الأولى، وكان «نهرو» و «جناح» مـتفقـين على أن يبدأ إنسـحاب القوات البريطانيـة فى ١٥ أغسطس ١٩٤٧، وهو موعد إنتقـال السلطة، وأن ينتهى فى آخر فبراير ١٩٤٨.

وقد ناقش «نهرو» وحده النقطة الثـانية، فأثار عدة اعتراضات ولم يعلن مـوافقته النهائية إلا فى مساء اليوم التالى ٢٤ يونيو.

غادرت دلهى فى ٢٥ يونيو وطرت إلى سنغافورة مارا بسيلان حيث قضيت السهرة، وفى سنغافورة أطلقت شرارات أثارت ردود فعل غير حسنة، إذ قلت إننى أرى أن على القائد الأعلى للأسطول فى الشرق الأقصى أن يقيم مقره العام فى سنغافوره، مع زملائه قواد الطيران، بدلا من أن ينعزل فى هونج كونج، وقد أعربت رسميا عن وجهة نظرى لرؤساء أركان الحرب فى لندن، وفى الوقت نفسه اطلع بحارة الإميرالية عليها، وقد غضب وزير البحرية غضبا شديدا ، وطلبت أن ترفع مسألة المكان الذى يجب أن يقوم فيه المقر العام البحرى إلى رئيس الوزراء لإتخاذ قرار بشأنها، وأخيرا ربحت القضية ونقل المقر العام البحرى فى الشرق الأقصى إلى سنغافورة ، على كل حال كنت سعيدا بمغادرة سنغافورة فى ٣٠ يونيو.

وصلت إلى دارون فى ٣٠ يونيو وتوجهت إلى كانبرا فى اليوم التالى، أول يوليو، وكانت رحلتى تشتمل على زيارة كل ولاية من ولايات أستراليا، وجرت لى محادثات طويلة مع أعضاء الحكومة الأسترالية الذين توثقت بينى وبين كثير منهم عرى الصداقة، وقد إستأثر بمحادثاتنا موضوعان هامان، أولهما مقدار المسئولية التى تعتبر أستراليا نفسها على استعداد لتحملها فى تطور مشاكل الدفاع التى تثيرها سلامة منطقة المحيط الهادىء، ففى لندن كانوا يعتقدون أن أستراليا مستعدة لأن تأخذ على عاتقها فورا مسئولية رئيسية فيما يتعلق بمصالح الكومنولث الإستراتيجية فى المحيط الهادىء، ولكن سرعان ما اكتشفت أن هذا الإفتراض غير صحيح، فالذى تريده أستراليا قبل كل شىء هو إنشاء جهاز مختص تستخدمه لتوسيع نطاق مسئوليتها بالتدريج، وكنت شخصيا موافقا على وجهة النظر الأسترالية، وأبلغت لندن بذلك.

والموضوع الآخر يتعلق بمسألة تمثيل الأسلحة الثلاثة فى أستراليا كما كانت تمارسه بريطانيا العظمى، وفى هذا الموضوع كنت على خلاف كلى مع زميلى عضوى لجنة

رؤساء أركـان الحرب البريطانيـين، فحسب النظام القـائم كان رؤساء أركـان الحرب البريطانيـين ممثلين فى أستراليـا بهيئة ثلاثيـة، وكل ممثل يتلقى من قيادة سـلاحه فى هوايتهول تعليمات خاصة، وكان الأستراليون مصممين على الوصول إلى إزالة هذا النظام، أى أنهم كانوا يريدون أن يكون لرؤساء أركان الحـرب الثلاثة ممثل وحيد مع هيئة أركان حرب تشترك فيها الأسلحة الثلاثة وتعمل تحت إدارته، يضاف إلى ذلك أن هذا الممثل يجب ألا يكون عضوا فى لجنة رؤساء أركان الحرب الأستراليين- كما كانت الحال بالنسبة لأعضاء الهيئة الثـلاثية الحالية- ويجب ألا يحضر اجتماعاتهم إلا عندما تبحث مسائل تؤثر فى المصالح البريطانية.

وكنت موافقا كل الموافقة على وجـهة النظر هذه، ورفعت تقريرا بهذا المعنى إلى لندن، مصراً على أن تقبل وجهة النظر الأسـترالية، ولكننى أبلغت أن وزير البحرية ورئيس أركان حرب سـلاح الطيران لم يكونا موافقيـن، وأن وزير الدفاع طلب إليه أن يفصل فى الخلاف، وباختصار إنتهت القضية أخيرا وفقا لوجهة النظر الأسترالية.

فى ١٦ يوليو ١٩٤٧، غادرت أستراليـا بطريق الجو ووصلت فى اليوم نفسه إلى نيـوزيلندا وتناولت المحادثات العـسكرية بشكل خـاص الطريقة التى سـتمـثل فيـها نيوزيـلندا فى جهـاز الكومنولث الدفاعى فى هذا الجـزء من العالم، وكـان رئيس الوزراء يرغب فى التـعاون الوثيق مع أسـتراليا، ولكنه أضـاف أنه يجب أن يكون للحكومة النيوزيلندية صوت فعال فيما يتعلق بتنفيذ السياسة المقررة، وأن التوحيد مع أستراليا يجب أن يكون على أساس المساواة.

وقبلت دعـوة وجهت إلىّ لزيارة اليابان بطريق عـودتى للإجتمـاع بالجنرال «ماك أرثر» والوقوف على وجهة نظره فيمـا يتعلق بهذا الجزء من العالم، لكن بينما كنت فى نيـوزيلندا تلقـيت من لندن أنبـاء خطيرة عن أزمـة اليـد العامـلة والصعـوبات الاقتصادية، وعن التهجم الذى يتعرض له الجـيش نتيجة تهربات الحكومة فى الشرق

الأوسط على العمـوم وفى فلسطين على الخصـوص، وتفيد هذه الأنبـاء أيضا أن «سمبسـون» نائبى فى رئاسة هيئة أركان الحرب الامبـراطورية، يتلقى وحده غضب وزير البـحرية ورئيس أركـان حرب سـلاح الطيران بشـأن المسائل التى أثرتهـا فى سنغافـورة وفى أستـراليا، وكان ألمى يزداد لكل هذا، إذ كنـت أخشى أن يكون له مضاعفات سيئة على الجيش إذا لم أكن مـوجودا هناك لاتخاذ جميع الإحتياطات، فرأيت أنه مـن الضرورى أن أعود إلى إنجلتـرا بأسرع وقت ممكن، ولذلـك ألغيت بأسف زيارتى لليـابان وغادرنا نيوزيلندا فى ٣١ يوليـو، فقضـينا يومين فى سـيدنى لتوضيح بعض النقاط الغامضة، وعقدنا مؤتمرات فى سنغافورة وفى مصر مع القائد الأعلى فى كل منهما وعدنا إلى لندن فى مساء ٨ أغسطس.

وفى منتصف شهر نوفمبر ١٩٤٧، غـادرت لندن للقيام برحلة فى أفريقيا تشمل البلدان الآتيـة: مراكش الفرنسـية، جـامبيـا، شاطئ الذهب، نيـجيريا، الـكونغو البلجيكى، إتحاد جنوب أفريقيا، روديسيا الجنوبية، كينيا، الحبشة، السـودان، مصر.

وخلال هذه الرحـلة جرت لى محـادثات مع كثـير من الناس من كل الفـئات الاجتماعية وطرحت علىّ أسـئلة ذات صلة بالجيش، وتلقيت طلبات باتخاذ قرارات أو بإصدار توجيهات.

وقد ختمت رحلتى فى أفريقيا بزيارة للقوات البريطانية فى منطقة قناة السـويس.

* * * *

الفصل التاسع والعشرون
غيوم سوداء فى سماء فلسطين

منذ زيارتى للمتوسط الشرقى فى يونيو ١٩٤٦، خلف «دمبسى» باجيت كقائد أعلى للشرق الأوسط، وبقى باركر قائدا للقوات البريطانية فى فلسطين، وقد إزداد الموقف فى هذا البلد خطورة.

وفى أواخر أكتوبر ١٩٤٦، فكر وزير المستعمرات «كريتش جونس» أنه إذا أطلق الإنجليز سراح زعماء الإرهابيين، وعلقت أعمال التفتيش على الأسلحة، فقد ينشأ جو أفضل ، بل قيل إننا إذا تصرفنا على هذا النحو، فستتخلى الوكالة اليهودية عن الإرهاب وتوجه نداء إلى جميع اليهود الواعين لمحاربته، ونتيجة لذلك أفرج عن زعماء الإرهابيين المعتقلين جميعا فى مطلع تشرين الثانى، وتوقفت التفتيشات للعثور على الأسلحة باستثناء ما يجرى منها أثر حوادث إرهابية جديدة.

وكانت نتيجة هذا التنازل من جانب حكومة العمال أن فرضت قيود متزايدة على القوات البريطانية فى فلسطين لجهة نشاطها فى سبيل المحافظة على النظام، وفى هذه الأثناء استمر قتل الجنود البريطانيين وأفراد الشرطة الفلسطينية وجرحهم.

وقد أغضبنى هذا الوضع، فإتخذت استعداداتى للتوجه إلى فلسطين بطريق الجو فى ٢٨ نوفمبر ١٩٤٦، وجرى لى مع رئيس الوزراء حديث عنيف فى هذا الصدد قبل سفرى، وأعلنت أن من الأفضل أن ننسحب من فلسطين إذا لم نكن عازمين على المحافظة على النظام وفرض إحترام القانون فيها، وأضفت أننى لا أستطيع أن أقبل أن يقتل جنود بريطانيون شبان من أجل لا شىء.

وقد أحدث هذا التصريح ضجة كبرى، وطلب منى رئيس الوزراء تقريرا سريعا فى الموضوع، فتوجهت عندئذ إلى فلسطين.

وفى ذلك الحين كان المندوب السامى فى فلسطين، الجنرال السير «آلن كننجهام»، وفى ٢٩ نوفمبر عقدنا اجتماعا أنا و«كننجهام» و«دمبسى» فى القدس تدارسنا فيه الموقف العام، ولم نناقش العوامل السياسية العديدة التى تتداخل فى استخدام الجيش، لكن «كننجهام» اضطر إلى الإقرار من الوجهة العسكرية بأنه لم يكن هناك عمل عسكرى مناسب فى فلسطين، وأن الجيش لم يقم بمساعدة قوة الشرطة على المحافظة على النظام وفرض احترام القانون بسبب القيود التى فرضت عليه، وكنت كلما أمعنت فى دراسة الوضع فى فلسطين إزداد استيائى منه، فقد كانت تحت تصرف المندوب السامى القوات الضرورية للمحافظة على النظام وفرض إحترام القانون، أعنى الشرطة والجيش، فلم تستعمل أى من هاتين القوتين استعمالا صائبا، وهكذا أصبح المجهود العام غير فعال.

بيد أن المندوب السامى أعلن أن الوكالة اليهودية والهاغانا سيتهيان بشرط أن نمتنع نحن عن إتخاذ أية تدابير تنفيذية ضد الفوضوية، وكان يقدر أننا لا نستطيع السيطرة على الفوضى بواسطة عمل هجومى، وأننا إذا حاولنا أن نفعل ذلك فلن نصل إلا إلى تنفير اليهود وزيادة الموقف خطورة، وبعبارة أخرى أننا لا نستطيع أن نحكم فلسطين إلا إذا خضعنا لليهود، فقلت: إذن فى هذه الحال، فلنترك فلسطين.

وحيث إننى كنت أجهل إلى أين يمكن أن تقودنا سياسة الحكومة فقد أصدرت الأمر برفض السماح بعد اليوم لعائلات العسكريين بالسفر إلى فلسطين، وبعد يوم واحد، إتبع المندوب السامى سياسة أكثر شدة مصدرا أمره بأن يغادر فلسطين على الفور جميع النساء والأولاد البريطانيين وجميع المدنيين البريطانيين الذكور الذين لا ضرورة لإبقائهم، وهكذا أصبح المجال مفتوحا الان للقيام بعمل.

وعندما بلغ الصراع فى فلسطين ذروته، قامت منظمات لا شرعية مختلفة بهجمات كثيرة على الأشخاص وعلى الأبنية ، حتى أن إحدى هذه المنظمات

وتدعى «عـصابة شـترن»، أرسلت أحـد رجال الـكومندوز إلى أوروبا وتمكنت من نسف السفارة البريطانية فى روما.

وفى فبراير ١٩٤٧، قررت الحكومة رفع قـضية فلسطين إلى الأمم المتحدة دون أية توصية بريطانية حول ما يمكن أن تقتـرن به هذه القضية من نتيجة، وعينت الأمم المتحدة لجنة كلفتها بأن تقدم إلى الجمعية العـمومية فى أول سبتمبر تقريرا لا يشتمل على معلومات إيجابيـة حول قضية فلسطين فحسب، بل على إقـتراحات أيضا من أجل حل هذه القضـية، وقد دافـعت روسيا عن قضـية اليهـود وأصرت فى وقت واحد على إنهاء الإنتداب البريطانى.

وإجتزنا فى فلسطيـن فترة عصيبـة خلال صيف عام ١٩٤٧ وأخذ يتـضح أكثر فأكثر أنه أياً مـا كان قرار الأمم المتحدة فالحكومة عـازمة على التخلى عن الإنتداب وسحب جمـيع القوات البريطانيـة من فلسطين فى أول أغـسطس ١٩٤٨، لكن فى ذلك الحين اقترعت الجمعية العمومية للأمم المتحدة فى آواخر نوفمبر ١٩٤٧ لصالح تقسـيم فلسطين بين اليهود والعـرب، وكلفت لجنة لتعيـين الحدود، وعلى أثر هذا القرار، أعلنت الحكومة البـريطانية عزمها على إنهـاء الانتداب فى ١٥ مايو ١٩٤٨، وإنجاز سحب القوات البريطانية فى أول أغسطس التالى، واخيراً جرى تعديل الموعد الأخير فقدم حتى أول يوليو.

وتدهور الموقف بسرعة فى فـلسطين ابتداء من ديسمبر ١٩٤٧، إذ أخـذ اليهود يسعون لأن يضمنوا لأنفسهم كل ما يستطيـعون أن يضمنوه من الإمتيازات التكتيكية أثناء الفترة السابقـة لنهاية الإنتداب، أما العرب فلم يعمدوا فوراً إلى الـقيام بأعمال حربية، باستـثناء جيشهم المسمى جيش التـحرير، مكتفين بتجميع قـواتهم النظامية، محـاولين دون نجاح كبـير الإتفاق على شكل القـيادة فى الكفاح المقـبل، ومطلقين التهديدات لليهود عما سيحل لهم بعد ١٥ مايو ١٩٤٨.

وفى ١٥ مايو سلمنا الإنتداب على فلسطين إلى الأمم المتحدة، وسحبنا قواتنا سليمة فى أول يوليو.

وكان من نتيجة اضطرارنا لمغادرة فلسطين إضعاف مركزنا الاستراتيجى فى الشرق الأوسط، وبصورة عامة إضعاف المركز الاستراتيجى للعالم الغربى فى الصراع بين الشرق والغرب.

وفى ذلك الحين فقدنا الهند التى قسمت إلى قسمين ، وكنا على وشك أن نطرد من مصر.

وقد بات ذا أهمية أكثر من أى وقت مضى أن يكون لنا الآن مركز متين فى السودان وفى ليبيا، وهذا ما لم أكف عن الإشارة إليه للسادة الوزراء .

* * * *

الفصل الثلاثون
أصبحت مصدر إزعاج فى هوايتهول

فى سبتمبر ١٩٤٦، أصبح واضحا أنه لابد من اتخاذ تدابير صارمة إذا نحن أردنا أن نسيطر على الموقف الذى يزداد خطورة نتيجة السرعة التى تتم بها عملية التسريح منذ إنتهاء الحرب، وكان فرض الخدمة العسكرية الإجبارية فى زمن السلم ضروريا ولا غنى عنه، وقد أملت الحكومة فى أن تتضاءل إلتزاماتنا العسكرية حالما تنتهى الحرب، ولكن لم تكن هذه هى الحال، فنحن على ما يبدو سنبقى بعض الوقت فى منطقة البندقية وفى اليونان، وكانت فلسطين تحيا فى حالة من الاضطراب الذى يبعث على القلق، ومصر فى غليان بسبب التأخر الذى طرأ على مفاوضات المعاهدة، وهناك اضطرابات تهدد المنطقة البترولية فى الخليج الفارسى، وينتظر نشوب منازعات داخلية فى الهند. ولم يكن التطوع ليوفر أعداد الجنود التى نريدها، فالخدمة فى الجيش لم تكن يوما عملا ذا شعبية وخصوصا على أثر إنتهاء حرب من الحروب.

ولدى عودتى من أمريكا فى سبتمبر ١٩٤٦، خلصت إلى أن التفاهم مع الحكومة بشأن مسألة أعداد الجنود كلها أصبح أمرا لابد منه، ويجب أن يشمل هذا التفاهم الخدمة العسكرية الإجبارية، العملية والإحتياطية، ومقدار سرعة التسريح فى المستقبل، ولم يكن زميلاى فى لجنة رؤساء أركان الحرب يهتمان بهذا الموضوع إهتماما كافيا حتى يدرساه.

على أن هذا لم يثبط من عزيمتى، فقدمت فى أكتوبر ١٩٤٦ إلى لجنة رؤساء أركان الحرب دراسة شاملة تثبت حاجة الجيش الملحة إلى الخدمة العسكرية الإجبارية

فى زمن السلم، وبعد مناقشات كثيرة رفعت دراستى إلى الحكومة مع ملاحظة تقول إنه على الرغم من أن هذه الدراسة لا تتناول إلا الجيش البرى، فإن مبدأ الدعوة إلى الخدمة يجب أن يطبق بصورة متساوية فى الأسلحة الثلاثة، ومهرت الحكومة المشروع بموافقتها.

وفى مطلع مارس ١٩٤٧، أودعت الحكومة مكتب المجلس مشروع القانون القاضى بالخدمة الوطنية، وهو يجسد كل مقترحات وزارة الحربية، وقد أقر البرلمان مشروع الخدمة الوطنية، واقترن هذا المشروع بالموافقة الملكية فى يوليو ١٩٤٧، ودخل حيز التنفيذ فى أول يناير ١٩٤٩، فمنذ هذا التاريخ كان يجب على جميع المدعوين للخدمة العسكرية أن يقوموا بها مدة سنة ثم يقضوا ستة أشهر فى الإحتياطى أو فى القوات الإضافية مع فرض فترات من التدريب عليهم، ويقضى القانون بأن تخفض بالتدريج مدة خدمة المدعوين بين أول يناير ١٩٤٨ وأول يناير ١٩٤٩ من سنتين إلى سنة واحدة، وقبلت وزارة الحربية بكل هذا بشرط قيام سلام كامل.

لكن مع الأسف جاء شتاء ١٩٤٧ - ١٩٤٨ يحمل تعقيدات خطيرة فى الموقف الدولى بلغت ذروتها بحصار برلين الغربية الذى بدأ فى ٢٤ يونيو ١٩٤٨، وأصبح واضحا أن شرط السلام الكامل لن يتوفر قبل وقت طويل، وقد يستمر إختيار القوة على كل حال طوال السنة المقبلة على الأقل.

فما العمل إذن بأزمة أعداد جنودنا؟

لقد كان جواب الحكومة على هذا السؤال أنها إقترحت أن تتوقف جميع التسريحات مدة ستة أشهر.

وفى رأيى أن هذا لابد أن يؤدى إلى موقف غير معقول، فمن غير المنطقى أن نفرض هذا التدبير، وأن نطبق فى الوقت نفسه فى أول يناير ١٩٤٩ قانون الخدمة

الوطنية، فمن الناحية القانونية يترتب على المواطن الذى يدعى للخدمة فى ٣١ ديسمبر ١٩٤٨، أن يقوم بها سنتين، بينما لا يترتب على المواطن الذى يدعى بعد يوم واحد، أى فى أول يناير ١٩٤٩، إلا خدمة سنة واحدة.

والطريقة العملية الوحيدة لحل مشكلة الجيش هى ربط التسريحات بدورة مدتها ستان من خدمة العلم الوطنية إلى أن يتسنى لنا أن نرى الأمور بوضوح أكثر، وقلت لرئيس الوزراء أن ما يريده الجيش قبل كل شىء هو الاستقرار ، فمسألة أعداد الجنود لا يمكن أن تحل بصورة مرضية كليا إلا بإنشاء خدمة وطنية مدتها ستان ابتداء من أول يناير ١٩٤٩، فيتحتم على الحكومة أن تعدل قانون الخدمة الوطنية وفقا لذلك.

وقد خلصت إلى الإعتقاد بأننا لن نتوصل إلى حمل الحكومة على القبول بأن ترفع مدة خدمة العلم الوطنية إلى سنتين، وإنما نستطيع أن نقدم مشروعا يحدد هذه المدة بثمانية عشر شهرا فلا يمكن الإعتراض عليه، ونسعى لإقراره.

وفى ٩ أكتوبر ١٩٤٨، جمعت الأعضاء العسكرين فى مجلس الجيش وسألتهم إن كانوا مستعدين للإستقالة من وظائفهم كجسم واحد أكون أنا على رأسه، إذا قررت الحكومة أن تكون مدة خدمة العلم الوطنية أقل من ثمانية عشر شهرا؟ فوافق الجميع على ذلك، وأبلغت ذلك لوزير الحربية، المستر «إيمانويل شنويل»، الذى بدا عليه القلق بعض الشىء، وكان عليه بالطبع أن يبلغ رئيس الوزراء أنه فى سبيل خسارة مجلس جيشه، وكان الأمر ملحا، إذا أن قانون الخدمة الوطنية سيدخل حيز التنفيذ بعد أكثر من شهرين بقليل، وقد راهننى أحد أعضاء أركان حربى على شلنين ونصف، على أن الحكومة ستتخذ قرارها فى أول نوفمبر، وكان على فى هذا التاريخ أن أترك وزارة الحربية لأترأس لجنة القواد العامين للإتحاد الغربى، وكنت أعتقد أن الحكومة ستنتظر ذهابى وتقرر عندئذ فترة السنة الواحدة للخدمة الوطنية

لعلمها أن الأميرالية ووزارة الطيران لن تثيرا على ذلك إلا قليلا من الإعتراض، وقد ربحت الشلنين ونصف الشلن، إذ لم تتخذ الحكومة قرارها إلا فى آخر نوفمبر، لكن فى هذه الأثناء وضعت بين يدى خليفتى« بيل سليم» كل معطيات المشكلة فاستطاع أن يحصل على قرار يجعل مدة الخدمة ثمانية عشرة شهرا، ولا أعلم أن كان قد هدد بالإستقالة من منصبة.

أما وقد قلنا هذا كله، فمن الإنصاف أن نمتدح شجاعة حكومة العمال التى قدمت فى زمن السلم مشروع القانون بإنشاء الخدمة الوطنية على الرغم من المعارضة القوية التى كانت تظهر فى قلب حزب العمال نفسه، فلقد استطاع «إتلى» و«بيفن» أن يقرا المشروع من أجلنا.

فى مطلع شهر أغسطس ١٩٤٧ أعلن وزير الدفاع المستر «الكسندر»، أن رئيس الوزراء يرغب فى أن تبحث على الفور إمكانية تخفيض أعداد الجنود فى أجهزتنا المقاتلة، وكان رئيس الوزراء يقول إن النفقات الإجمالية لتدابير الدفاع يجب أن تخفض إلى ٦٠٠ مليون جنيه استرلينى، وقد شجبت وزارة الحربية بقوة هذه الطريقة فى التخفيضات الاعتباطية، وقلت: إننا لا نستطيع فى أية حال قبول هذا الأسلوب فى تخفيض مجموع النفقات.

ومع ذلك فإن وزارة الدفاع أمرتنا بأن ننصرف إلى العمل على أساس أنه من المحتمل أن يكون الحد الأقصى لمجموع نفقات القوات المسلحة ٦٠٠ مليون جنيه، وأن علينا أن نتأكد من أن تجاوز هذا الحد المالى يتضمن مجازفات كبيرة.

وعلى هذا الأساس تقيد رؤساء أركان الحرب بهذه التوصيات مع الإحتجاج الشديد.

وبلغ الوضع درجة من الخطورة رأيت معها أنه لابد من إعادة تكييف الجيش البريطانى والعمل على أساس فكرة الجيش الوطنى، والجيش النظامى والجيش البرى

يجب أن يشتمل كلاهما على جنود يأتون من الجيش المحترف والجيش الوطنى، مع عنصر متطوع فيما يتعلق بالجيش البرى، وما ينقص الجيش العامل يؤمنه له الجيش البرى عند التعبئة، فيجب أن يصهر الجيشان بحيث يشكلان معا جيشا وطنيا متوازنا.

وكان المستر «شنويل» قد جاء إلى وزارة الحربية، حيث جرى التعديل الوزارى فى أكتوبر ١٩٤٧، وكانت التوصية بشأن هذا الجيش النموذجى الجديد أول توصية قدمتها إليه، فقبلها.

وفى مطلع يناير ١٩٤٨، وزع وزير الدفاع مذكرة ذكر فيها أن مجموع موازنة الدفاع لعام ١٩٤٩ - ١٩٥٠ سيكون ٦٠٠ مليون جنيه، وطلب أن يخول توزيع هذا المبلغ وفقا للأفضليات التى سبق أن عرضها فى البرلمان فى ٢٧ أكتوبر ١٩٤٧.

وقد احتججت بشدة على هذا التمييز طالبا ألا تستعمل كلمة أفضلية عندما يتصل الأمر بتوزيع المخصصات بين الأسلحة الثلاثة، وقد ربحت القضية فى هذا الصدد، إلا أن وزير الدفاع أنبأنى فى ١٤ يناير أن حصة الجيش من المبلغ الإجمالى هو ٢٢٢ مليون جنيه، وأن أعداد الجنود ستكون كما يلى:

- ١٨٥٠٠٠ جندى فى الجيش المحترف، بمن فيهم النساء.
- ١٠٥٠٠٠ جندى فى الخدمة الوطنية.

وقد استتبع هذا عمليات بتر جديدة حادة فى نظام وحدات الجيش، ورفضنا قبول الرقم ١٨٥٠٠٠ الإجمالى للجنود النظاميين، ذاهبين إلى أنه يجب أن يكون ٢٠٠ ألف، فتمت الموافقة على ذلك، ونشر كتاب أبيض لوزارة الدفاع فى شباط ١٩٤٨، وكان علينا عندئذ أن نضع تصميم الجيش للعام ١٩٤٩ - ١٩٥٠ والسنوات اللاحقة على أساس الأرقام المذكورة أعلاه.

وفى خلال الفترة الممتدة من شهر أغسطس ١٩٤٧ إلى شهر فبراير ١٩٤٨، كنت أحتج على الدوام مظهرا استحالة حصولنا على جيش يبعث على الرضا

بالإعتمادات والأعداد المخصصة، نظر لالتزاماتنا، فنحن سائرون إلى وضع لن يسمح للبلاد بأن تكون لها قوة مقاتلة فعالة ذات حجم كبير إذا تطلبت الأحداث ذلك، والجيش يتدهور تدريجيا، ففى أول يناير ١٩٥٠ لن يكون ثلث الجنود فى الجيش العامل إلا فى الثامنة عشرة من العمر، مع أقل من سنة من الخدمة فى ظل العلم، وستضعف الوحدات المقاتلة إلى حد بعيد بانضمام جنود غير ذوى علم كاف إليها، وكان هذا وضعا لا يمكن قبوله على الإطلاق.

وفى أشهر عام ١٩٤٨ الأولى، ساء الوضع الدولى بالتدريج وباستمرار، وبدأ حصار برلين الغربية فى ٢٤ يونيو كما سبق أن ذكرت.

بيد أن الحكومة أقرت بأنه يمكن اتخاذ ترتيبات لجعل القوات المسلحة فى أفضل وضع ممكن فى حالة الحرب، بشرط ألا تتضمن هذه الترتيبات أية دعاية ولا تستتبع مضاعفات جدية على اقتصاد البلاد، وكان هذا أمرا لا يمكن تطبيقه، إذ لا يمكن عمليا أن يتحقق شىء دون دعاية أو دون نفقات إضافية فى النقود وفى المواد.

عندما جئت إلى وزارة الحربية فى يونيو ١٩٤٦، لم ألبث أن اكتشفت أن لجنة رؤساء أركان الحرب لم تعد ذلك الجهاز الفعال الذى كان فى الماضى، فذهاب الجنرال «إيسماى» والسير «أيان جاكوب»، وأعضاء بارزين عديدين من أركان حربهما قد أضعف أمانة سر تلك اللجنة إضعافا كبيرا.

فقد أظهر المستر الكسندر «أولا»، على الرغم من أنه كان وزير البحرية زمنا طويلا، أنه غير قادر كليا، على الاضطلاع بمهام وزير الدفاع، لقد كان وجها تافها فى البرلمان خلال المناقشات التى دارت حول قانون الخدمة المدنية، ولم يعط فى أى وقت من الأوقات الانطباع بأنه يفهم مشاكل الدفاع الامبراطورى وطريقة معالجتها.

أضف إلى ذلك أنه لم يكن بين رؤساء أركان الحرب أنفسهم أى انسجام ولا أية ثقة متبادلة، وكان الذنب ذنبى إلى حد كبير، فقبل أن أتسلم مهام عملى وبعد أن تسلمت منصبى، قمت برحلات كثيرة وزرت نقاط الاضطراب وبحثت المشاكل الأساسية، وشرحت كل ما بدا لى مغلوطا، وأبرقت إلى معاونى فى وزارة الحربية بالتعليمات الضرورية لكى يعالج الأمر على الفور فى هوايتهول، ولم تكن هذه الطريقة طريقة زميلى، بل كانا يكتفيان بترك الأمور تجرى فى مجراها بهدوء ولا يهتمان إلا بالمشاكل التى تحيلها إليهما أمانة سر وزارة الدفاع، ثم يتقيدان، بعد الدرس، برأى هئية أركان الحرب المشتركة للأسلحة الثلاثة ، وبما أن هذه الهيئة مؤلفة من مدراء التصميم فى الوزارات الثلاث، الحربية والبحرية والطيران، فقد كانت التقارير التى تسفر عن ذلك تضمن دائماً توصية قائمة على تسوية، وكانت نتيجة مثل هذا الإجراء اعطاء هيئة أركان الحرب المشتركة صلاحية ليست لها ولا يمكن أن تكون لها، فأحيانا كان يطلب إلى أعضاء هذه الهيئة حل مشاكل كان رؤساء أركان الحرب أنفسهم عاجزين عن أن يصلوا بشأنها إلى اتفاق.

وكان ضميرى يثور ضد هذه الطريقة فى العمل، وأخشى أن أكون قد أظهرت ذلك بجلاء، ولم يكن زميلاى يبديان أفكاراً جديدة، إلا فى النادر، بل كانا ينتظران أن تأتيهما هذه الأفكار من أمانة السر، ولذلك لم يكونا يتقبلان الأفكار التى أتقدم بها بقبول حسن، ولم يخفف من استيائهما أن مقترحاتى كانت فى نهاية المطاف تقبل غالبا.

وقد درجت على عادة الإصرار بأن ترفع كل مسألة أراها هامة بالفعل إلى رئيس الوزراء لاتخاذ قرار نهائى بشأنها، وكان هذا القرار فى أكثر من حالة يجىء متفقا مع توصيتى.

وعندما أعـود بالذاكرة إلى تلك الفتـرة، استطيع أن أذكر ثلاثة أسـباب رئيسـية كانت هى وراء افتقار لجنة رؤساء أركان الحرب إلى الإنسجام والفاعلية:

١ - وجود وزير دفاع تافه.

٢ - وجود أمانة سر ذات مستوى أدنى من مهمتها فى الوزارة.

٣ - عدم توافق أمزجة رؤساء أركان الحرب الثلاثة.

وفى مارس ١٩٤٨، خلصت إلى الاقـتناع بأن الموقف أخطر من أن يسمح بأى تأخير جـديد، فكتبت مذكرة أوصـيت فيها بأن تدرس لجنة وزارية تنظيـمنا المتعلق بالدفاع فى هوايتهول، وأرسلت منها نسختين بصورة غير رسمية إلى رئيس الوزراء وإلى وزير الدفاع، وطلبت منهـما الإذن بتقديم هذه المذكـرة إلى لجنة رؤساء أركان الحرب، فـقد كان من شـأنها أن تحدث ضـجة فى هوايتهـول، ولم أشأ أن تكون مفاجأة للحكومة، فأجابنى المستر «إتلى» فى اليوم نفسه موافقا على ما طلبت.

والمذكرة مؤرخة فى ١٦ مارس ١٩٤٨، وهذه هى:

١ - إننى أرفع الآراء التالية بـشأن لجنة رؤساء أركان الحرب وبشـأن تنظيم جهاز الدفاع الذى نعتمده.

٢ - أن لجنة رؤسـاء أركان الحرب، وهى لجـنة فرعيـة منبثـقة عن لجنـة الدفاع الامبـراطورية قد أُنشئت عـام ١٩٢٤ بغرض تنبيـه الحكومة تنبيـها جماعـيا وأفراديا.

وبعد عشر سنوات أثبتت أنها أداة مفيدة لإجراء استشارات مشتركة بين الأسلحة الثلاثة على مسـتوى عال، فى وقت الأزمة، ولبحث الشئـون اليومية الأقل أهمية، ولكنها خيبت، بشكل ظاهر، الآمال الكبار المعلقة عليها.

٣ - والعلاج الذى اقترحـه اللورد «ترنشارد» فى عام ١٩٣٥ يتلخص فى وضع شخصـية وزارية بصورة دائمة على رأس لجنة الدفاع الامـبراطورية، تترأس

بانتظام اجتماعات لجنة رؤساء أركان الحرب الفرعية، على أن يكون لهذا الوزير سكرتير دائم للجنة الدفاع الامبراطورية، وهيئة أركان حرب مستقلة تتألف فى معظمها من ضباط لهم مستقبل يؤخذون من الأسلحة الثلاثة، وهذه الاقتراحات لم تقبل على ما أعلم، رغم أنه ظهر فيما بعد أن من الضرورى تعيين وزير مكلف على الأخص بتنسيق تدابير الدفاع ومخول بأن يدعو إلى الاجتماع من حين لآخر لجنة رؤساء الأركان الفرعية للاستشارة.

٤ - إن نظام تعيين وزير مكلف بتنسيق تدابير الدفاع استمر خلال الحرب حتى أبريل ١٩٤٠، حين ألقيت على عاتق المستر «تشرشل» وزير البحرية مسئولية خاصة مع صلاحية إعطاء توجيهات للجنة رؤساء الأركان، ودعوتها لهذا الغرض فى أى وقت للاستشارة، وقد عدلت هذه الترتيبات عندما أصبح المستر «تشرشل» رئيسا للوزراء، إذ أصبح أيضا وزيرا للدفاع، وبهذه الصفة أخذ يترأس اجتماعات لجنة الدفاع التى يحضرها بانتظام وزراء الأسلحة الثلاثة ورؤساء أركان الحرب، وكان وزير الدفاع يترأس أيضا فى زمن الحرب اجتماعات رؤساء أركان الحرب، وكان له فى هذه اللجنة ممثل خاص.

٥ - ما من شك فى أن الترتيبات التى اعتمدها المستر «تشرشل» فى زمن الحرب كانت فعالة، فكانت شئون الإستراتيجية العليا وخط سير العمليات تعالج بسرعة دون أن يسعى رؤساء أركان الحرب إلى إزالة الإختلافات الأساسية.

والكتاب الأبيض الصادر فى تشرين الأول ١٩٤٦ يعترف بهذا بوضوح، مع إظهاره نقائص النظام الذى استمر فى زمان السلم وحتى نيسان ١٩٤٠، وغرض

هذا الكتـاب الأبيض الحض على إنشـاء نظام لزمن السلم يكـفل توحيـد سـياسـة الدفـاع، ولذلك دعا إلى تعـيين وزير دفـاع مسـتقل، تشـبه عـلاقاته مـع رؤساء الأركان، تلك التى كان المستر «تشرشل» قد حددها فى نيسان ١٩٤٠.

٦ - والسؤال الذى يطرح نفـسه الآن هو ما إذا كانت التـرتيبات التى دعا إلـيها الكتاب الأبيض عام ١٩٤٦ وطبقت قد أدت غايتها الرئيـسية التى هى ضمان توحيـد سيـاسة الدفاع؟، أمـا أنا فلا أتردد فى التـأكيد أن هذه الـغاية لم تتحقق، وسأعرض فيما يأتى أسباب هذا الفشل.

٧ - وأبدأ بالحقيقة البديهية السافرة التى تقول إن الحرب والسلم أمران مختلفان، وإن كـان السلم فى الواقع حـربا باردة، ففى زمن الـسلم تكون حاجـات الأسلحة الثـلاثة من الرجال والمال والعتـاد ، حاجات محـدودة بالضرورة وعلى الرغم أنه من البـديهى القول إن مبلغـا أدنى لنفقـات الدفاع الوطنى يجب أن يكون أول ما تقتطعه الدولة من مواردها، فإنه ليحدث فى حالات نادرة جدا أن تعطى الأسلحة الثلاثة مـجتمعة ما تعتبـره منفردة كحد أدنى لابد منه، ويحـدث هذا على الأخص حين لا يكون لدى الدولة مـا يكفى من المواد الأولية، واليد العاملة والموارد الآتية من الخارج لتحافظ على سير حياتهـا، وهذا التضييق يتـجلى أقل بكثير فى زمن الحـرب، لأن حاجات الدفاع حـينئذ يجب أن يكون لها الأفضليـة على جميع الحـاجات الأخرى باستثناء حـد أدنى من المواد الغذائية والملابس للمحـافظة على حياة السكان المدنيين وصحتهم وإنتاجهم، ومن المحـتمل إذا اعتمدت بريطانيا فقط على مواردها الخاصة وخصوصا تلك التى تردها من صادراتها، ألا تكون قادرة أبدا على خوض الحرب بالمقدار الذى نريده من الزخم والعزم والشدة.

ولكننا فى الحربين الأخـيرتين الكبيرتين تلقينا مـساندة ضخمة هى مـساندة قوة الولايات المتحـدة الإنتاجيـة وعزمـها الصادق، ولذلك يمكننا القـول أن القليل من

طلباتنا العسكرية قد صرف عنه النظر منذ البداية باعتباره غير مبرر، وفى هذه الظروف أمكن لرؤساء أركان الحرب أن يتوصلوا بسهولة إلى الاجماع بإقرارهم صحة طلبات زملائهم، ولم تختلف اراؤهم إلا بشأن أى من هذه الطلبات تكون له الأفضلية.

٨ - فى الفترة التى توجد فيها تحديدات منذ البداية تسود اعتبارات مختلفة جدا، فرؤساء الأركان الثلاثة هم- مهنياً - على رأس أسلحتهم الخاصة، أنهم ليسوا فقط مستشارى الحكومة فيما يتعلق بالاستراتيجية والتكتيك، ولكن كلا منهم هو أيضا المدافع عن مصالح سلاحه الحاضرة والمقبلة وحامى آفاق المستقبل لأعضاء هذا السلاح إلى حد ما، فكل منهم يكافح بصورة طبيعية لقضيته الخاصة ولا يتنازل عن شيء، وأحد الثلاثة هو رئيس اللجنة، وهى مهمة عاقة لرئيس أركان حرب، إذ مطلوب منه أن يكون رئيسا حياديا مما هو بشريا مستحيل لأنه يميل إلى فرض رأيه الخاص على الباقين.

٩ - وهكذا نصل إلى الوضع الذى وصفه اللورد «ترنشارد» عام ١٩٣٥، وأننى أرى أن هذا الوصف ينطبق حرفيا على وجه التقريب على الظروف الحالية.

١٠ - ومع ذلك فأنا لا أرى أن العلاج موجود فى اقتراح اللورد «ترنشارد»، أى فى تعيين شخصية وزارية تترأس على الدوام لجنة رؤساء أركان الحرب وإنما أرى أن ما نحتاج إليه هو اعتماد طريقة تزود وزير الدفاع برئيس أركان حرب لا يكون ضابطا بالضرورة، فمثل هذا التدبير يدفعنا خطوة كبيرة إلى الأمام نحو هدفنا النهائى، ورئيس أركان حرب وزير الدفاع هذا يكون حكما الرئيس الدائم للجنة رؤساء أركان الحرب.

١١ - إن ما يحتاجه وزير الدفاع هو أن تقدم إليه هيئة رؤساء أركان الحرب خطة دفاع منسجمة يدرسها ثم يوصى بها الحكومة، وهذه الخطة يجب أن:

أ - تبقى فى حدود الموارد التى تكون الحكومة على استعداد لتخصيصها للدفاع.

ب - تحدد بوضوح ودون إلتباس الحصة التى تعود إلى كل من الأسلحة الثلاثة والهيئات المدنية المتصلة بها.

جـ - تكون متلائمة فى عناصرها المختلفة.

على أن وزير الدفاع لا يمكنه فى الوقت الحاضر أن يحصل على شىء من اللجنة فيما يتعلق بوجوه سياسة الدفاع الأبعد مدى، لأن آراء رؤساء أركان الحرب الثلاثة مختلفة إلى حد أنهم يلجأون إلى موقف الامتناع دون أن يضعوا اى تقرير، أو يقدموا توصيات لا طعم لها ولا تؤدى إلى أية غاية.

وكان يمكن الوصول إلى نتيجة ما لو أن رؤساء أركان الحرب يقدمون إلى وزير الدفاع بيانا مشتركا يعرض خلافاتهم، ولكن الحاجة إلى أكثر من هذا، فوزير الدفاع يحتاج إلى الإنتهاء من المناقشات العقيمة فى لجنة رؤساء الأركان، وعليه أن يحصل على خطة تقف على قدميها وتكون قابلة للتحقيق ويسهل شرحها للرؤساء الذين سيتخذون بشأنها القرار.

وإذا كان لوزير الدفاع رئيس أركان حرب هو فى الوقت نفسه رئيس للجنة رؤساء أركان الحرب لأمكنه فى كل الأحوال الحصول على الأمرين التاليين:

أ - عرض بعيد عن الهوى لجميع وجهات النظر المتعارضة.

ب - خطة تأخذ بعين الأعتبار حدود الموارد، خطة معقولة ومتوازنة ولا تتعارض إلا بأقل قدر ممكن مع توصيات كل من الأسلحة الثلاثة.

١٢ - إننى أدرك أنه ليس من السـهل العـثور على رئيس أركـان الحرب المثـالى لوزير الدفـاع، ولكن هذا لا يؤثر فى المبـدأ بأية صـورة، إن علينا أولا أن نقرر إن كنا نقبل المبدأ وإن كان مثل هذا التعيين ضروريا، ويمكننا فيما بعد أن نجد الرجل، ويكفى لكى يـؤدى المهمة التى تقع على عـاتقه أن تكون له خبرة عملية واسعة بالحـرب الحديثة، وأن يكون قد تولى قيادات عليا، وأن يتقبل الأفكار الجديدة.

١٣ - إننى مقتنع بأن علينا أن نبدأ بالقيام ببعض التقدم نحو إيجاد توازن لقواتنا، وقريبا ينقضى على انتهاء الحرب العالمية الثانية ثلاث سنوات، فنحن لم نتلكأ عن التقدم فحسب ، بل كان لدينا ميل إلى أن نرجع القهقرى.

١٤ - لقد أنشأ كل سلاح فى داخله نظاما يحتـاط للإختصاص الذى يحتاج إليه ويضمن وحـدة الاتجاه بصـورة عامة، ولكن الواقع أننا لـم نتوصل إلى أن نوجد للأسلحة الثلاثة مجتمعة نظاما شبيها بالذى أوجده كل سلاح لنفسه، إن الاخـتصـاص قائم، هـذا صحـيح، ولكن مـا ليس موجـودا هو هذا الترابط على مستوى أعلى، وهو وحده الذى يؤمن لنا الحذق الاستراتيجى الذى نسعى إليه.

١٥ - إن هناك أسبابا كـثيرة يجب علينا من أجلها ألا نتسامح فـى استمرار هذا الوضع.

أولاً: إن مهمات الأسلحة الثلاثة ليست متباعدة إلى الحد الذى إعتدنا أن نظنه، فالأسطول لديه طائـرات، وسلاح الجو يوجـه جزءا كبـيرا من جهـوده نحو تحطيم جيش العدو ونحو نقل جيشنا، والأسلحة الثلاثة تخوض العمليات باسم واحد حين يكون الموضوع موضوع غزو.

ثانيــا: إن تقدم الإكتــشافات العلمية أوجد أفكارا وأسلحـة لا تتفق مع صورة الأسلحة الثلاثة مستقلة بعضهـا عن بعض، إنها تجنح إلى توحيد العمليات الحربية، وقد أصبح من المهم أكثر من أى وقت مضى أن تتولى عقول موضوعية تطبيق العلم على الحرب.

ثالثاً: إن أمتنا فى موقف عصيب جدا، ولا نستطيع أن نسمح لأنفسنا وقتا أطول بممارسة ترف الجـمع بين أعمال متـعددة، ولا بالتبذير الناشىء عن إضـافة طلبات الأسلحة الثلاثة بعضها إلى بعض.

١٦ - إننا بحاجة إلى تصميم موحد للدفاع، وليس الأمر فقط أن ليس لدينا مثل هذا التـصميم الآن، بل لـيس لنا أى أمل بأن يكون لدينا تصمـيم فى ظل نظامنا الحالى.

١٧ - إننا بحاجة إلى تحقيق تقدم فيما يتعلق بجعل قواتنا الوطنية متوازنة، ونحن لم نحقق أى تقدم.

١٨ - إننا بحاجة إلى نظام فـعال للقيادة، وللإشراف على مـختلف الميادين فى زمن السلم يجـعلنا قادرين على توثيق جـهودنا وتنمـية إمكانياتـنا إلى الحد الأقصـى دون أن نخشى أن يتـخلخل هذا النظام بالتعـديلات الناشئـة عن الأخطار الخارجية، وليس لدينا الآن مثل هذه النظام.

١٩ - إننى أوصى بأن تدرس لجنة وزارية الموضوع فى مجمله ودون تأخير.

وفى اجتماعات مختلفـة ناقشت هذه المذكرة مع زميلى ، وسرعان ما اتضح أن أية مناقشة داخل لجنة رؤساء أركان الحرب لن تؤدى إلى تـسوية الخلافات فى الرأى القائمة حول هذا الموضوع، وكنت الوحيد الذى يريد أن يدرس تنظيم الدفاع، أما رئيسا الأركان الآخـران ورئيس أركان وزير الدفاع ، فقد كانوا ضد مـثل هذا الدرس، أو ضد أى تعـديل للنظام، واتفقنا أخـيرا على أن

يرفع رئيس أركان الطيران بوصفه رئيسا للجنة، المسألة إل وزير الدفاع لاتخاذ قرار فيها، ففعل فى ١٤ أبريل ١٩٤٨.

وجاء رد الوزير بعد خمسة أيام، وقد احتمى وراء الرأى الذى أعرب عنه وزير البحرية ورئيس أركان الطيران، وهكذا انتهت محاولتى للحصول فى هوايتهول على تنظيم سليم للدفاع الوطنى، ولكننى نجحت على الأقل فى طرح الموضوع والدفع إلى درسه وفى تسجيل القرار رسميا.

وفى عام ١٩٥٥، شرعت حكومة «إيدن» فى تحسين جهاز هيئة الدفاع الوطنى بعض الشىء، لكن لم يعط يومئذ لوزير الدفاع حق التقرير الذى هو صلاحية أساسية ولم يكن له أبدا رئيس أركان حرب، ولم يقبض على زمام الأمر بقوة إلا فى عام ١٩٥٧، ففى يناير من هذا العام أعطت حكومة «ماكميلان» توجيهات واضحة لوزير الدفاع الجديد حددت له فيها ما يجب عليه عمله وأعطته صلاحيات مطلقة لذلك.

وأخيرا صار لوزير الدفاع رئيس أركان حرب مسئول إزاءه، ورئيس أركان الحرب هذا أصبح رئيسا للجنة رؤساء الأركان.

* * * *

الفصل الحادي والثلاثون
بداية التعاون الدفاعي في أوروبا

لدى مجيئى إلى وزراة الحربية فى يوليو ١٩٤٦، لا حظت أنه ليست هناك فكرة واضحة عما يمكن أن تكون الإستراتيجية البريطانية فى حرب كبرى، وأن زميلى فى لجنة رؤساء أركان الحرب لم يكن من رأيهما أن علينا أن نحرر فى ذلك الحين مذكرة فى هذا الصدد، ولم أكن على اتفاق معهما، فنشأت عن ذلك مناقشات بيننا، وأخيرا وضعت وزارة الحربية مذكرة تحدد الإستراتيجية.

وفى ٢٥ يوليو، أحلت هذه المذكرة إلى لجنة رؤساء أركان الحرب، وأهم ما تضمنته هذه المذكرة أن علينا أن نوطد قوة حلفائنا الفعليين فى أوروبا وإنشاء كتلة غربية متينة على هذا النحو تحمينا جميعا ضد غزو يأتى من الشرق، وعلينا نحن أن نكون مستعدين ومنظمين للقتال إلى جانب حلفائنا على أرض القارة الأوروبية بكل ما يقتضيه ذلك.

وفى عام ١٩٤٧، تبدل المشهد، فقد اشترك وزراء خارجية الدول المحتلة لألمانيا فى مؤتمر إنعقد فى لندن بشأن هذه البلاد - ألمانيا - وأصبح واضحا أنه لا يمكن الوصول إلى أى اتفاق مع روسيا.

وعندما عدت من جولتى فى أفريقيا، استدعانى «أرنست بيفن» فى ٢٣ ديسمبر ١٩٤٧ ليقول لى إنه اقترح على وزير الخارجية الفرنسى أن الوقت قد حان للإهتمام بتشكيل اتحاد أو مجموعة أوروبا الغربية، وحث الأمريكيين على الإشتراك فيها، وأضاف أن على بريطانيا وفرنسا أن تتفقا أولا على استراتيجية ما، وأن محادثات أركان حرب يجب أن تجرى فى هذا الصدد.

وبمبادرة من وزارة الخارجية، دعى الجنرال ريفير، رئيس أركان حرب الجيش الفرنسى، لزيارة لندن وجرى لى معه حديث طويل حول مجمل المشكلة، وفى هذه الأثناء كان المستر «بيفن» يدفع إلى الأمام بمشروع إقامة إتحاد غربى.

ورحب الجنرال مارشال، وزير الخارجية الأمريكى، بحرارة بفكرة إنشاء اتحاد سياسى واقتصادى لبلدان الغرب الأوروبى والمتوسط فى الخط المشار إليه، وتشجع بيفن بهذه الموافقه، فاقترح أن نبدأ محادثات غير رسمية مع الأمريكيين، إنطلاقاً من فكرة أنهم قد ينضمون أخيرا إلى تحالف أوسع، على أن الأمريكيين لم يقبلوا هذا إذ لم يكونوا مستعدين لمواجهة الكونجرس فى ذلك الحين بشأن التقيد بالتزام بالقتال فى أوروبا.

وكانت وجهة نظرى فى جميع هذه الأمور أن علينا أولا، وقبل البدء بالحديث مع الآخرين، صياغة أفكارنا الخاصة بشأن استراتيجية المملكة المتحدة فى حال نشوب حرب فى أوروبا قد تؤدى إلى حرب شاملة، وكنت أقول إن على رؤساء أركان الحرب تقديم مذكرة فى هذا الموضوع نشترك جميعا فى كتابتها، وكنت مستعداً لأن أقوم بالبادرة الأولى بتقديم مذكرة فورية تحمل رأى وزارة الحربية، ولكن هذا لم يقبل، وكان ضباط الأسلحة الثلاثة المكلفون بوضع خطة منهمكين فى إعداد مذكرة يرفعونها إلى رؤساء الأركان، وكنا نحن ننتظرها، وجاءتنا هذه المذكرة فعلا، وقد أشارت إلى ثلاثة طرق للعمل فى أوروبا:

١ - استراتيجية جوية.

٢ - استراتيجية قارية.

٣ - استراتيجية نصف قارية، تشتمل على الحفاظ على أسبانيا والبرتغال وتحرير أوروبا عن طريق هجوم يشن عبر جبال البرانس.

وقد استبعدت المذكرة الاستراتيجية القارية ببضعة أسطر، تاركة الخيارين الاستراتيجية الجوية واستراتيجية جبال البرانس.

وقمت بإحداث ضجة قائلا إننى لا أوافق كليا على استنتاجات التقرير، فماذا يعنى القول: إن أفضل استراتيجية هى الاستراتيجية الجوية على ما يبدو؟

إن علينا أن ندافع عن أوروبا لا أن نحررها، فإذا تركنا الشرق يجتاحها فلن يبقى شىء تقريبا لتحريره.

وقلت إن هذه الدراسة تظهر مرة أخرى كم هو غير مجد ترك هذا الفريق الممثل للأسلحة الثلاثة يحرر المذكرات حول مواضيع ذات أهمية حيوية من غير أن يتلقى مسبقا توجيهات من رؤساء أركان الحرب، وأضفت أننى سأقدم فى اليوم التالى مذكرة تلخص وجهة نظرى الخاصة، وقد قلت فى هذه المذكرة المؤرخة فى ٣٠ يناير ١٩٤٨:

إن علينا الإقرار بأن دول الإتحاد الغربى مضطرة إذا هى هوجمت، لأن تصد الهجوم فى أبعد مكان ممكن إلى الشرق، وعلينا أن نعلن بوضوح أن بريطانيا العظمى ستقوم بقسطها الكامل من مسئوليات هذه الاستراتيجية المشتركة وأنها ستدعم النضال بكل ثقل قوتها البرية والجوية والبحرية.

وما لم يتم إقرار بريطانيا لهذه النقطة الأساسية فى استراتيجيتنا وموافقتها عليها بكل صدق، فلن يكون للإتحاد الغربى أى أمل بالحياة ، وستجد بريطانيا نفسها عندئذ فى خطر كبير.

وتناقشنا أنا وزميلاى فى هذه المذكرة فى ٢ فبراير، ولم يوافقا كما توقعت، وانتهى الاجتماع فى غموض، لكن بعد أن توصلت إلى الموافقة على أن ترفع مذكرتى إلى رئيس الوزراء.

وانعقد المؤتمر مع رئيس الوزراء فى ٤ فبراير ١٩٤٨، فقلت إنه سيكون أمرا بالغ الصعوبة تحقيق إتحاد غربى فعال إذا نحن لم نتمكن من تقديم مساندة برية فى حال الحرب، فعارض رئيس الوزراء عندئذ معارضة شديدة تقيدنا بأى التزام بأن نرسل جيشنا إلى القارة الأوروبية.

ورددت بأن لدينا الآن جيشا هناك، هو جيش، الراين البريطانى، فهل يقترح رئيس الوزراء أن نسحبه، عن طريق دنكرك، إذ قام الروس بهجوم؟إن مثل هذه الفكرة غير معقولة.

وعندئذ قام «أرنست بيفن» بهجوم مضاد على أتلى، وكذلك فعل المستر «الكسندر»، فأيدنى كل منهما على طريقته، واتفقنا أخيرا على درس مقتضيات الاستراتيجية التى أدعو إليها، بما فيها مضاعفاتها فى حال إقرارها على بنية قواتنا المسلحة وإتساعها، وهكذا هزمت على كل حال أصحاب استراتيجية البرانس،

وعندئذ بدأ نشاط كبير واستمر خلال شهرى مارس وأبريل ١٩٤٨، وواصلت شرح آرائى للجميع دون إستثناء والتأكيد على الإيمان، بالاتحاد الغربى، وكنت مقتنعا بأنه لا مفر من حملة فى أوروبا الغربية، وأن الأزمة ستحدث عام ١٩٤٨، أو بعد عشر سنين أو حتى عشرين سنة، فالذى لم يكن منه إذن بد هو درس الطريقة التى يجب أن تتبع لمواجهة هذه الأزمة.

وقد انطلقت من الفكرة الآتية: إن فرنسا ودول البنلوكس ليس لها فى الوقت الحاضر إلا قيمة عسكرية محددة، إذ يجب أن يعاد تنظيم قواتها، وخصوصا قواتها البرية، وأن تنفخ فيها روح مقاومة العدوان، وهذا لا يمكن أن يحدث إلا إذا اتبعت حكومات الإتحاد الغربى نهجا واضحا يؤكد أنه مهما جرى فإن أى اعتداء روسى سيلاقى مقاومة تجابهه بكل القوة والوسائل المتوفرة، وعلى كل منا أن يقاتل بكل ما يملك، ومع الوقت ستتعاظم الطاقات العسكرية لدى الدول الغربية، أما إذا لم يتم

إقرار مبدأ المقاومة الفعالــة الكلية لأى تهديد روسى ضد أوروبا الغربية، فإن بإمكان الإتحاد الغربى أن يقفل أبوابه.

وواضح أننا بحاجة إلى المساعدة الأمريكية، لكن ما دامت الولايات المتحدة غير مقتنعــة بأننا سنقاتل جميعا مــهما كان الموقف، فلن نحصل على مســاعدتها، ولن نكون جديرين بهذه المساعدة.

وكانت حــجتى أنه إذا ارتابت فــرنسا ودول البنلوكــس فى أن القوات البريــطانية المرابطة فى ألمانيا ستــسحب فى حــال الحرب، فلن يكون هناك أمل فى حثــها على أداء دورها، إن بلدان أوروبا الغــربية قــد إحتلهــا الألمان خلال الحــرب وهى الآن تكافح لتنهض ، وأشد ما هى بحاجة إليه زعامة ملهمة.

إن على بريطانيا العظمــى أن تضع قدمها فى أوروبا وتؤمن هذه الزعــامة، وإذا بقينا مبتــعدين، فإن فرنسا ودول البنلوكس وألمانيا الغربية أيضــا ستنهار تحت الضغط الشيوعى المــتزايد الآتى من الشرق فنخســر عندئذ السلام، وفى اجتمــاع عقد فى ١٠ مايو ١٩٤٨ مع وزير الدفاع توصلت إلى الموافقة على الضرورة الجوهرية للقتال فى أوروبا الغربية، بكل ما يشتمل عليه هذا القرار وكان هذا إنتصارا كبيرا.

وتبــدل الموقــف فى أوروبا بســرعــة خــلال النــصف الأول من عــام ١٩٤٨، وتوصلت إلى الإقــرار بأن نحــارب فى أوروبا إذا لزم الأمــر، وكان هذا حــاصل نضال شديد إســتمر أكثر من أربعة أشــهر، وقد أصبحنا نحتــاج الآن إلى أكثر من هذا، إلى تنظيم يعتــمد بصورة ملائمة لقــيادة القوات التى ستــخوض هذه الحرب والإشراف عليــها، وحقائق الحــرب القاسية تفــرض أن نصاب بكوارث إذا لم يكن لدينا مثل هذه التنظيم، والتنظيم الجيد فى ميدان القــيادة سيتيح لنا أيضا حل مشاكل

أخرى كتنمية روح القتال وإنشاء أجهزة وطنية تعمل على إيجاد القوات المطلوبة، وكان لا يزال هناك أسئلة كثيرة دون جواب، منها مثلا:

* من يتولى قيادة القوات البرية فى أوروبا؟

* من يقرر كيفية تجمع الجيوش بالنظر إلى طبيعة الأرض الجغرافية؟

* من يقرر المكان الذى يستند إليه الجناح الأيسر أو الجناح الأيمن، والمكان الذى يجب أن يعزز فيه الموقف، وأين يمكن تجربة الحظ؟

* من يقرر القوة التى يجب أن تحفظ فى الإحتياطى من أجل القيام بهجوم مضاد؟

* من الذى يمزج جيوش الغرب ليجعل منها آلة حرب فعالة؟

لقد كان الجواب على كل هذه الأسئلة واحدا، وهو أنه لم يكن هناك أحد يقوم بكل ذلك، وفى أول يونيو ١٩٤٨، لفت نظر زميلى إلى هذه النقاط، ولكنهما أجابانى إجابات متهربة، وأخيرا رفع الأمر للتحقيق إلى الفريق الممثل للأسلحة الثلاثة والمكلف بوضع التصميم، وكان الوقت مضى، وفى ٢٣ يونيو، كنا ما نزال نتناقش دون نتيجة، وقد مالت الأكثرية نحو إيجاد سلطة فى لندن، تكلف بوضع التصميم وتكون شبيهة بهيئه كوساك القديمة.

وقد أعربت عن رأيى بقوة معلنا دون لبس أن المسألة يجب أن تكون مسألة جهاز محدد بسيط مخصص لقيادة قوات الإتحاد الغربى، والإشراف عليها إشرافاً فعليا، وأن هذا الجهاز يجب أن يوجد على الفور.

وفى ٢٤ يونيو ١٩٤٨ بدأ الروس حصار برلين الغربية، وكان رد الفعل فى لندن سريعا، ففى ٢٨ يونيو، أعلن رؤساء أركان الحرب للحكومة أن أجد سبل لإقناع الروس وإقناع دول أوروبا الغربية أيضا بعزمنا وتصميمنا، هو تعيين قائد أعلى

حليف لقوات الإتحاد الغربى، ولكن فى اجتماع لاحق ذهب وزير البحرية إلى أن اقتراح تعيين قائد أعلى حليف ليس إلا بادرة سياسية ذات صلة بأزمة برلين التى أخذت - كما قال - تظهر منها أمارات التضاؤل وألح من جديد على إنشاء نوع من هيئة كوساك.

ومع ذلك فقد أخذت «تدر» رئيس أركان الطيران بعد الاجتماع على انفراد، وقد سبق أن واجهنا معا خلال الحرب عددا كبيرا من المعارك القاسية، فأقر معى بأن إنشاء هيئة صالحة للقيادة، قد أصبح الآن مسألة جدية ملحة.

وعقدت بضعة اجتماعات أخرى، وفى ٩ يوليو وافقت الحكومة على أننا بحاجة إلى:

أ - لجنة دفاع للإتحاد الغربى مؤلفة من وزراء الدفاع.

ب - لجنة رؤساء أركان الحرب للإتحاد الغربى.

جـ - هيئة قيادة تقرر بنيتها فيما بعد.

وهكذا ربحنا معركة أخرى فى هوايتهول، لكن ذلك لم يحدث إلا بعد تدخل الروس المباشر فى برلين.

وفى ٢٠ سبتمبر ١٩٤٨، استدعانى وزير الدفاع فى الساعة ١٢,٤٥، وعرض المستر «الكسندر» علىّ تعيين رئيسا للجنة القواد العامين للإتحاد الغربى. وفى ٢٧ أيلول وافق وزراء الدفاع فى دول الاتحاد الغربى الخمس المجتمعين فى باريس، بالاجتماع على تعيينى ، وأعلن هذا التعين فى الصحف فى ٣ أكتوبر.

وهكذا توصلنا إلى ما كافحت من أجله كثيرا، أى إلى قرار يقاتل الجيش البريطانى بموجبه على أرض القارة الأوروبية فى حال الحرب، وإلى شىء ملموس فيما يتعلق بتنظيم القيادة ، لكن ذلك إقتضى جهدا شاقا إستمر عدة أشهر، وها أنا الآن مضطر للعناية بالتفاصيل.

الفصل الثاني والثلاثون
وحدة الغرب

لكى نفهم المحاولات التى بذلت خلال السنوات التى أعقبت الحرب من أجل تحقيق الوحدة والتعاون فى أوروبا الغربية، يجب علينا أن نعود إلى عام ١٩٤٥.

فعندما إنتهت الحرب مع ألمانيا فى مايو من ذاك العام، أخذت الدول الأوروبية تضل السبيل شيئا فشيئا، ومع ذلك فقد عقد بعد ذلك عدد من المعاهدات التى سجلت بداية الأمن الجماعى فى أوروبا، وأولى هذه المعاهدات معاهدة «دنكرك» التى عقدت فى مارس ١٩٤٧ بين فرنسا وبريطانيا، وكانت تستهدف صد أى عدوان ألمانى جديد، أما المعاهدة الأخيرة، وهى أهمها، فمعاهدة شمالى الأطلسى المعقودة عام ١٩٤٩.

وفى ربيع ١٩٤٥، كانت دول أوروبية كثيرة فى وضع اقتصادى سىء، وسرعان ما اتضح أنه لابد من مساعدة خارجية، وأن الحاجة إلى هذه المساعدة ملحة، إذ أن الشيوعية الروسية كانت قد بدأت فى الانتشار نحو الغرب، حيث توجد تربة ملائمة لنمو هذا الشر الخفى المخادع.

وقد تحقق ذلك فى الولايات المتحدة، ففى ٥ يونيو ١٩٤٧ ألقى الجنرال مارشال فى جامعة هارفرد خطابه الشهير عن مساعدة أوروبا، الذى عرف منذ ذلك الحين باسم مشروع مارشال، وقد قبل «أرنست بيفن» هذا العرض بسرعة، ونظم مؤتمرا يعقد فى باريس فى شهر يوليو بغية تحديد التفاصيل، وفى هذا المؤتمر أعلن الروس أنهم لا يرغبون فى مساعدة مشروع مارشال لأنفسهم، ولا لأى بلد من البلدان الدائرة فى فلكهم.

ومع ذلك فعلى الرغم من الرفض الروسى اكتسب مشروع مارشال الصفة الشرعية فى الولايات المتحدة فى ٣ أبريل ١٩٤٨، وأنشئت اللجنة المكلفة بتنفيذ المشروع فى يوينو ١٩٤٨ برئاسة «أفريل هاريمان»، وأن دول أوروبا الحرة لمدينة أكبر الدين للولايات المتحدة لهذه المساعدة، التى قدمت إليها بكل حرية، وساهمت أكبر مساهمة فى نهوضها.

وعندما رفض الروس عام ١٩٤٧ مشروع مارشال ، إشتدت الحرب الباردة التى كانت مستمرة آنذاك منذ بعض الوقت، وأخذ القلق يستبد بمجموعة من دول أوروبا الغربية لهذا التهديد المتعاظم الآتى من الشرق، وتجلت الحاجة إلى الوحدة بغية التمكن من صد هذا التهديد، وكان البنلوكس- إتحاد بلجيكا وهولندا ولوكسمبورج - أول منظمة أنشئت، وكان اتفاق هذه البلدان الثلاثة فى البدء منحصرا فى التدابير الاقتصادية، ثم ظهرت ضرورة قيام منظمة أوسع، فانضمت المملكة المتحدة وفرنسا إلى البنلوكس لتشكيل الإتحاد الغربى الذى أنشئ بموجب معاهدة بروكسل الموقعة فى ١٧ مارس ١٩٤٨، وقد اقتصرت هذه المعاهدة أيضا فى البداية على الشئون الاقتصادية وتقدم المبادىء الديمقراطية وما شابه.

وبعد توقيع معاهدة بروكسل بقليل، باشر الروس فى يونيو ١٩٤٨ حصار برلين الغربية الذى فشل نهائيا بفضل الإنتصار الكبير الذى حققه الجسر الجوى، وقد أوجد هذا الحصار توترا كبيرا فى العالم الغربى، الذى اشتد فيه القلق، واعتبر وضع خطة للدفاع عن الغرب أمرا ضروريا، فاجتمع وزراء الدفاع وقادة الأسلحة المشتركة للبلدان الخمسة الموقعة على معاهدة بروكسل لدرس مشاكل الرجال والعتاد، وهكذا تقرر فى سبتمبر ١٩٤٨، إيجاد منظمة الدفاع عن الإتحاد الغربى، تعد الخطط لعمل مشترك فى حال حدوث هجوم، وعينت رئيسا دائما للجنة القواد الأعلين للقوات البرية والبحرية والجوية للإتحاد الغربى، وأقمنا مقرنا العام المشترك فى فونتينبلو تحت اسم مختصر هو يونيفورس.

وفى هذه الأثناء كانت تجـرى محادثات على الجانب الاخـر من الأطلسى حول مقدار ملاءمـة إقامة جهاز وحيـد للدفاع المشترك يتضمن مـعاهدة بروكسل ويحل محلها، فـقد أدرك المسئولون فى الولايات المتـحدة وكندا أنهم إن كانوا يسـتهدفون الأمن الكامل فعلى هاتين الدولتين وغيـرهما من بعض الدول أن تشترك فى الأمر كى يبقى المحيط الأطلسى آمنا إلى حد يسمح بمساعـدة أوروبا مساعدة فعالة، وقد بدأت محـادثات تمهيـدية فى واشنطن فى شـهر يوليـو ١٩٤٨، بعد حصـار برلين الغربية بقليل واستمر طوال العام.

وأخيرا وقعت فى ٤ أبريل ١٩٤٩ معاهدة شمالى الأطلسى التى إتحدث بموجبها إثنتا عشرة دولة فى تحالف دفاعى للحفاظ على السلام والأمن الدوليين، والمساهمة فى استقـرار منطقة شمالى الأطلسى وغـيرها، وأتخذ هذا التحـالف اسم :منظمة معاهدة شمالى الأطلسى التى تعرف بالاسم الموجز «الناتو».

وأصبح واضحا لدى وضع الخطط أن المنظمـة العسكرية للاتحاد الغربى يجب أن تمتصـها منظمة «الـناتو» العسكرية، فتم إجـراء ذلك، ثم فى ٢ أبريل ١٩٥١ تولى الجنرال «إيزنهاور» الإشراف العملى على القوات العسكرية للحلف الدفاعى، وفيما بعد دخلت اليونان وتركيا الناتو فى ١٨ فـبراير ١٩٥٢، مما رفع عدد الدول المشتركة إلى أربع عشرة دولة، وكانت آخر دولة دخلت الناتو، هى جمهورية ألمانيا الاتحادية، «ألمانيا الغربيـة»، التى انتسبت إلى الحلف فى مايو ١٩٥٥، وما تزال منظمـة معاهدة شمالى الأطلسى «الناتو» تضم حتى اليوم خمس عشرة دولة.

وقـد أنشئ مقـر القيـادة العليا للـدول الحليفـة فى أوروبا ، وذلك فى ٢ أبريل ١٩٥١ فى باريس ، وعلى رأسه الجنرال «إيزنهاور» كقائد أعلى، وأصبحت أنا نائب القائد الأعلى.

ومنذ البداية كان «إيزنهاور» مصمما على وجوب أن ينسى جميع ضباط أركان حرب مقر القيادة العليا للدول الحليفة فى أوروبا أنهم ينتمون إلى دولة معينة أو إلى جيش خاص، فكلهم يجب أن يكونوا دوليين ومن الأسلحة المشتركة.

وفى زمن السلم، يهتم مقر القيادة العليا للدول الحليفة فى أوروبا بصورة رئيسية بأن نكون مستعدين للحرب، وهذه الغاية تشمل تنظيم القوات العاملة وقوات الإحتياط التابعة لدول الناتو، وتعبئتها، والإحتياطات المتعلقة بعتادها وتدريبها ودعمها اللوجستى، وتنظيم المواصلات وتنظيم الدفاع الجوى.

أما فى زمن الحرب، فمقر القيادة العليا يترك للقواد العامين التابعين له مهمة أدارة المعارك التكتيكية لينصرف هو إلى الإدارة الاستراتيجية ووضع الخطط والاستعلامات واللوجستيا والأشراف على سلاح الجو والصواريخ، ولقد خدمت فى مقر القيادة العليا للدول الحليفة فى أوروبا تحت قيادة أربعة قواد أعلين ، ولا شك أننى الضابط الوحيد الذى أتيح له ذلك.

وكان أول هؤلاء «إيزنهاور»، ثم استقال «إيزنهاور» من الجيش الأمريكى وغادرنا، فقد قرر أن يرشح نفسه للرئاسة.

ووصل الجنرال «ريدجواى» إلى باريس فى ٢٧ مايو ١٩٥٢ وخلف «إيزنهاور» فى ٣٠ مايو، ولقد غادر «ريدجواى» أوروبا فى ١١ يوليو ١٩٥٣، وأصبح «غرونتر» قائدنا الأعلى الجديد، وفى نوفمبر ١٩٥٦ حل محل غرونتر «الجنرال نورستاد»، ضابط سلاح الجو الأمريكى اللامع، وهو صديق أكيد لى، وقد كنت سعيدا بالخدمة تحت قيادته.

ولقد إزدادت قوتنا العسكرية باستمرار تحت قيادة إيزنهاور وخلفائه، أضف إلى ذلك أن تقدم العلم زودنا بالأسلحة النووية بكميات متزايدة على الدوام، ومنذ ذلك الحين أخذ عاملان يؤثران فى استراتيجيتنا، أولهما أن السلاح النووى زودنا

بإمكانية التدمير بأحجام لم تكن نعرفها من قبل، وهذه الإمكانية قد تصبح سلاحا هجوميا بالغ القوة إلى حد أصبح واضحا أن أية دولة لن تستطيع الإستفادة من الحرب، فالمعتدى قد يلحق أضراراً مرعبة بالحضارة الغربية، ولكنه سيصاب هو أيضا بأضرار مساوية لها أو تفوقها.

والعامل الثانى، أن دول «الناتو» أوجدت قوات تقليدية بقصد كسر الهجوم المعادى، وكان يبدو لى واضحا أننا إذا اعتمدنا فقط على مثل هذه القوات فلن نتمكن أبدا من أن نضاهى القوة التى قد تجابهنا، فلكى نضمن ذلك تلزمنا قوات متزايدة، مما سيضخم ميزانيات الدفاع تضخيما ليست الدول مستعدة لمواجهته، والبديل الوحيد هو أن نعلن صراحة أننا إذا هوجمنا فسنستعمل ضد المعتدى جميع الموارد التى فى حوزتنا بما فيها السلاح النووى، حتى لو لم يستعمل هذا السلاح ضدنا أولاً.

إن إقامة تنظيمنا الدفاعى على أساس السلاح النووى قد أدت إلى تعديل كبير فى مفاهيمنا، لكن كان لابد من إجراء هذا التعديل، واعتقد أننى لعبت دوراً ما فى تحقيقه، فلقد كنت دائما أذهب إلى أن الروس قرروا منذ البداية ألا يتورطوا فى حرب إلا بأقل المجازفات، وتكتيكنا يجعل الحرب الآن غالية جدا بالنسبة إليهم، إذ أنهم سيصابون بأضرار كبرى وخسائر جسيمة فى الأرواح، كما سنصاب نحن، ولذلك لن يهاجمونا ما دمنا أقوياء وقادرين على الرد فورا بأسلحتنا النووية.

وليس هناك بديل آخر لهذه الاستراتيجية إلا الإتفاق على نزع السلاح، وهذا ما لم نتوصل إليه، ولدينا الآن الرادع، وهذا شىء حسن، فقدحال دون حرب شاملة، ولكن ليس من المؤكد أنه أيضا أداة دفاع جيدة.

أما وقد تحقق لنا الآن الهدف الرئيسى الذى هو الدفاع الحائل دون الحرب، فقد حان الوقت لإعادة نظر كاملة فى منظمة «الناتو» كلها، وعلينا أن نبدأ بأن نعلن دون

أى تحفظ أن مساهمة «الناتو» فى ضمان أمن العالم الحر كانت مساهمة عظيمة، وهناك منظمتان إقليميتان آخريان هما «حلف بغداد» و«معاهدة جنوب شرقى آسيا».

وفى عام ١٩٥٨، أدخلت الأسلحة الذرية فى نظامنا الدفاعى وأنشانا رادعا نوويا قويا ضد الهجوم، ومن جهة أخرى أصبحت ألمانيا الاتحادية، فى عام ١٩٥٥، عضوا فى «الناتو» وشرعت تتسلح من جديد، وبات الهجوم المباشر الآن على (أوروبا الناتو) غير محتمل الوقوع على الإطلاق، فالخطر إنما يوجد فى غير هذا المكان.

إن على الزعماء السياسيين أن يدركوا الفروق فى المفاهيم الراسخة فى المناطق الرئيسية الثلاث المحيطة بالكتلة الشيوعية، فروسيا بما تستهدفه من السيطرة العالمية، المتحققة بواسطة الشيوعية الدولية، هى العدو فى أوروبا الغربية وفى مجمل منطقة الناتو على العموم، أما بالنسبة لدول الشرق الأوسط العربية، فالعدو المباشر ليس روسيا بل إسرائيل، وليس لدى العرب نية التعاضد لمحاربة الشيوعية، بل هم ينوون التعاضد فقط لمحاربة إسرائيل ومنع توسع الدولة اليهودية، وأما فى الشرق الأقصى، فلئن كانت الدول تخشى من خطر خارجى، فإنما هو الخطر الذى تمثله الصين لا روسيا.

إن الزعامة العالمية فى جميع هذه الأمور هى الآن من نصيب الولايات المتحدة الأمريكية، وهذه الدولة لم تكن دائما فى مثل هذا المركز، فقد إضطلع البريطانيون زمنا طويلا بالزعامة وعالجوا المشاكل العالمية خلال عدة قرون، أما الولايات المتحدة فليس لها إلا خبرة بعض العقود ، على أن العالم الغربى يجب أن يدرك أن الحلف الغربى ينهار بدون الولايات المتحدة الأمريكية، وعلى الولايات المتحدة من جانبها

أن تمارس بطريقة مقنعة كفاءاتها كزعيمة للعالم الحر فى الميادين السياسية والاقتصادية والعسكرية.

وكثيرا ما رأيت أن سياسة الولايات المتحدة الخارجية غير منسجمة، ففى الأمم المتحدة تبدو لها سياسة وعندما تكون مصالحها الوطنية الخاصة فى الميدان تكون لها سياسة أخرى، إنها تدعم الدول الاستعمارية السابقة فى أوروبا الغربية، ولكنها تعمل لتحطيم نفوذ هذه الدول وقوتها فى آسيا وفى أفريقيا، إن سياسة الولايات المتحدة هذه غير المنسجمة قد ساهمت كثيرا فى إضعاف مركز الغرب الاستراتيجى، وقد تؤدى إذا هى استمرت إلى إنهيار الحلف الغربى.

إن خبرتى كجندى دولى علمتنى أن على الغرب، إذا أراد أن يبقى أن ينمى أهدافه المشتركة ومسئوليته المشتركة إلى درجة أعلى بكثير مما فعل حتى اليوم، إنه أحوج إلى تعاون أوثق فى ميادين أوسع من ميدان الدفاع وحده عن الأراضى القومية، ولذلك يجب أن يستند الحلف الغربى إلى الوحدة والأمل والشجاعة، وأن تحكم لحمته القوة المتفاعلة الموحدة، قوة نحو أربعمائة مليون نسمة.

إن الوحدة الغربية هى الشىء الوحيد الذى يخشاه الروس، وكل خططهم مبنية على هذا الهدف الأساسى، الذى هو منع هذه الوحدة، إن وحدة الغرب يجب أن تقام بأى ثمن.

* * * *

الفصل الثالث والثلاثون
خواطر آخرى

ها قد بلغت نهاية هذا الحديث، ولقد سررت بلا شك فى كتابته، وإنى لأشعر الآن أننى - حين كنت تلميذا صغيرا وربما مراهقا أيضا- لم أكن أرى الرؤية الصحيحة إلا فى النادر، ولم تكن لى الرؤية الكاملة أبدا ، ولم أكن أفرق على العموم بين ما هو مهم وما هو تافه، لكن مع تقدمى فى السن أخذت أتعلم أمورا كثيرة، ومن الممكن أن يكون ما قد أفادنى أكبر الإفادة فى حياتى قدرتى على تبسيط أية مشكلة واكتشاف العنصر الجوهرى الذى يجب أن يكون فى أساس كل عمل، فأحصر همى به تاركا التفاصيل لإركان حربى.

وتعلمت أيضا أن أنظم حياتى، وألا أبالغ فى نشاطاتى الاجتماعية، وألا أقلق نفسى أبدا، وهاهنا أيضا اقتضانى بعض الوقت أن أتعلم أن الشخصية ذات أهمية كبرى فى هذه الحياة، فطريقتك الخاصة فى أن تكون سعيدا، واسلوبك فى الخدمة الصافية الصادقة، ويد النجدة تمدها، إلى الآخرين، واهتمامك بكسب ثقة الذين تعاملهم، هذا كله هو المهم على الخصوص.

ولقد شرحت فى الفصل الأول كيف تعلمت قبل أن أترك المدرسة أن بين الصفات المتعددة الضرورية للنجاح صفتين أساسيتين هما العمل الحثيث الدائب والتجرد المطلق، وأرغب الآن أن أضيف صفة ثالثة هى الشجاعة، وأقصد الشجاعة المعنوية التى بفضلها لا يخشى المرء أن يقول أو يفعل ما يعتقده صوابا.

وعندما يتحمل المرء مسئوليات مخيفة، ليس من السهل دائما أن يكيف حياته وفقا لهذه المثل العليا، وأخشى أن أكون فى أحيان كثيرة قد بقيت أقل مما كان يجب علىّ أن أكون.

ولقد كنت أشعر أيضا بقلق فكرى إزاء وجوه القيادة التكتيكية للحرب العالمية الثانية، كما كان يعذبنى التفكير بأن الشعب البريطانى اضطر لهذا السبب أن يتحمل آلامه زمنا أطول مما كان يجب مع كل ما يقتضيه ذلك من خسائر فى الأرواح.

وعندما يكون المرء مشدود الأعصاب على هذا النحو، يصعب عليه أن يظهر دائما بمظهر المبتهج، وقد يساق إلى إفراغ استيائه على شخص من الأشخاص، وهذا الشخص كان هيئة أركان حربى الشخصية، وأخشى أن يكون هذا قد آلمها أحيانا.

وأظن أننى قد اكتسبت بعض الشهرة فى الوقت الذى أترك فيه الحياة العسكرية العاملة، ولكننى تعلمت أن الطريق الذى يقود إلى ذلك طريق شاق ملىء بالحجارة، وتعلمت كم هو صعب الطريق لبلوغ القمة.

ولقد استحوذت مشكلة القيادة على جزء كبير من حياتى، فالسلطة اليوم يجب أن تمارس بحكمة ومنطق.

ولقد دعيت غير مرة إلى الإشتراك فى الصراع السياسى، ولكننى رفضت الدعوة دائما، فأنا لا أعتقد أننى أستطيع أن أكون سياسيا جيدا.

إن معظم الكتب تبدأ بتوجيه الشكر إلى الذين ساهموا فى إخراجها وقد فعلت ذلك فى مقدمة هذا الكتاب، ولكن علىّ أيضا واجب الشكر والعرفان لبعض الأشخاص، فأنا حين ألقى نظرة على الماضى أذكر دائما إلى أى حد أثر أربعة أشخاص فى حياتى: والدى فى سنى صباى، والفيلد مارشال «ألن بروك» خلال حياتى العسكرية، والسير و«نستون تشرشل»، والجنرال «إيزنهاور».

ومنذ أخذت أقوم برحلات إلى الخارج، أى منذ خريف ١٩٤٨، حظيت بشرف معرفة رؤساء حكومات الدول الغربية ووزرائها، ومن بين أصدقائى شخصيات

تختلف كل الأختـلاف كقداسة البابـا والمارشال «تيتو» الذى كثـيرا ما كنت أزوره، وأقدر كل التقدير صداقة الدكتور سالازار رئيس وزراء البرتغال.

لقد تـركت الجيش العـامل فى سبـتمبـر ١٩٥٨، بعد خـمسـين سنة من تأدية الواجب دون أى عجـز فى خدمـة مليكى، ومنذ عام ١٨٥٥- وهو الـتاريخ الذى ألغى فيه مـجلس العتاد الحربى وأنشئت وزارة الحربيـة - لم يخدم أى ضابط أطول من هذه المدة.

وفى اللحظة التى أترك فـيهـا الجيش أود أن أوجه تحـية إلى الجندى البـريطانى، صديقى ورفيق سلاحى طوال هذه السنوات الأخيرة كلها.

والجندى البريـطانى ليس على الإطلاق فى المرتبة الثـانية من مـراتب المحاربين، وقد يكون جنود آخـرون أكثر منه إندفاعـا وأكثر انتظاما، ولكن مـا من جندى آخر يفوقة فى مختلف المزايا.

ولقد كان الجندى البريطانى الأمل الأخـير للعالم الحر فى أحيان كثـيرة، فصمد بقوة فى وجه الظلم والطغيان.

إننى أعرف أكثـر من أى شخص آخر أى مستوى يـستطيع الجندى الإنجليزى أن يبلغه، إن عظمتـه هى على قدر الخلق البريطانى، ولقد شـاهدت مزايا جنسنا تبرز أحيانا كثيرة فى ميدان القتال.

أما وقـد آذنت شمس حياتى بالأفـول، فإنى أضع جانبـا كثيرا من الإنطبـاعات ولكن الإنطبـاع الذى أحـتـفظ به فـوق كل شىء وكـأنه كنز، هو صـورة الجندى البريطانى وإخلاصه وقوة بأسه فى حـالة الشدة واعتداله فى حال النصر. إنه الرجل الذى كانت الأمة، دائما وأبدا، مدينة له بسلامتها وشرفها.

* * * *

الفهرس

مذكرات قادة الحرب العالمية الثانية

- جوبلز
- ديجول
- مونتجمري
- آيزنهاور
- تشرشل
- موسوليني
- روميل
- أدولف هتلر

I.S.B.N. 977-436-074-5



مكتبة النافذة